وسم على أديم الزمن

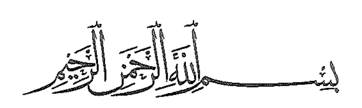
"لمحات من الذكريات"

عبدالعزيز بن عبد الله الخويطر

الجزء الرابع

الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

فهد الدهمش





وسم على أديم الزمن

«لمحات من الذكريات»

(في مكة المكرمة)

الجزء الرابع

تأليف

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخويطر ، عبدالعزيز بن عبدالله
وسم على أديم الزمن (لمحات وذكريات) ـ الجزء الرابع./
عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر . ـ الرياض، ١٤٢٦هـ.
٥٠٤ ص، ١٦ × ٢٢,٥ سم
ردمك : ٥ ـ ٦٨٠ ـ ٤٩ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله ـ مذكرات أ ـ العنوان
ديوي ٨١٨,٠٣٥٣١ ١٤٢٦/٥٩٩٨

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٥٩٩٨
ردمك : ٥ ـ ٦٨٠ ـ ٤٩ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

مقدمة

هذا هو الجزء الرابع من مذكراتي «**وسم على أديم الزمن**»، ويدور ما فيه عن بدء حياتي في مكة المكرمة ـ شرفها الله ـ بعد أن انتقلت إليها من عنيزة، مسقط رأسي، أنا ووالدتي وأخي وأختي. وفي هذا الجزء ملامح من عيشنا في مكة، ودراستنا، وما مر بنا. وأرجو أن تسعفني الذاكرة بالتفاصيل التي تسهم في رسم صورة متكاملة عني وعن المجتمع الذي عشت فيه، وأن تظهر شيئاً من بدء التحول في المجتمع، وما ارتسم فيه من جراء الحرب العالمية الثانية، التي رغم بعدها عنا كان لصداها أثر على حياتنا في ارتفاع الأسعار،وشح الموارد، ونزول

أعداد الحجاج، وما قام به الملك عبدالعزيز من اليقظة والمتابعة، ووزن أمور المؤن بين المدن حتى لا يستغل بعض التجار الوضع فينقلوها من مدينة إلى أخرى جرياً وراء رفع السعر.

وفي هذا الجزء لمحة عما كان عليه السفر في تلك الأيام بين نجد والحجاز، وما كانت عليه الطرق، وأهمية السائقين في «بدع» خطوط السير في الصحراء، وما في ذلك من معاناة، ومن طرق التغلب على الصعوبات التي تواجههم بسبب ذلك، أو بسبب تعرض السيارات للخراب والاستهلاك، مع قلتها، وبداءة صيانتها.

وهذه الحقبة شهدت الانتقال من السفر بالجمال إلى السفر بالسيارات، وما أدّى إليه هذا في تغيّر

أساليب الحياة، ومواءمة الأمور للتمشي مع ما يتطلبه هذا التغيير، مما بدأ بإحلال عادات محل عادات، وتقاليد محل تقاليد، وهذا جاء إرهاصاً لاستقبال تقدم آخر أدى إلى بدء السفر بالطائرات.

وفي هذا الجزء كذلك لمحة عما كان مقبولاً في ذلك الزمن، وما كان مفروضاً، وما كان معروفاً في مكة ومجهولاً في عنيزة، وما كان محارباً حرباً شعواء، ويوجب المعاقبة القاسية مثل اقتناء الجرامافون، مما سوف يجعل ابن اليوم يستغرب هذا الأمر. وكذلك الدخان وهو مقبول في مكة وشاربه محارب في نجد، ويتعرض لأقسى العقوبات عندما يُعرف أنه يشربه. وسرعان ما أصبح كل من الدخان والجرامافون يُباع ويُشترى في كل مكان في المملكة،

وهذا أمر طبعي لأن الجديد أحياناً يقابل بالنفور، ثم تدريجاً يبدأ يأخذ محله المتسامح في ذهن الناس، وما كان مرفوضاً البتّة بالأمس يصبح مطلوباً وبأغلى الأثمان اليوم. وهذا ما مر بقهوة البُنّ أول إدخالها في عهد السلطة العثمانية.

وكانت السلطة العثمانية في مكة تُكسِّر أواني القهوة وتعاقب جالبها ومقتنيها، وانبرى العلماء لمهاجمتها وتحريمها، وألف أحدهم رسالة في ذلك سماها: «الصفوة في تحريم القهوة»، ثم دار الزمن دورته فقُبلت القهوة، ونالت مكانها المريح في البيوت، وفي الأماكن العامة، وألف أحدهم رسالة في ذلك سماها: «الصفوة في تحليل القهوة»!!.

ولا بأس هنا من ذكر حادثة تَمُتُّ إلى هذا الأمر

بصلة، فالنظرة إلى القهوة بازدراء لم يقتصر على العرب وإنما تعداهم إلى بعض الأمم في الغرب، وإليكم القصة بتفصيلها:

كنت مع زميل لي أمريكي يدرس اللغة التركية في المتحف البريطاني، المكتبة المركزية في لندن، واسمه ماكس كورت بيتر، وكنا في القاعة الكبرى، فجاءني وبيده كتاب (نسيت الآن أهو مطبوع قديم أو مخطوط)، وقال لي: هذه مذكرات القنصل البريطاني في البلاط السلطاني العثماني، يصف فيها البلاط، ومن جملة ما قال ما معناه:

«ويقدمون في البلاط السلطاني شراباً أسود يسمى «الكافا» يساعدهم على كفرهم».

فقال ماكس: ماذا يقول عنا نحن الأمريكيين لو عاد للحياة ورآنا نفطر أول ما نفطر في الصباح بالقهوة؟!.

وهكذا الحياة.. رفض لبعض الأمور ثم قبول، ثم حماس.

وفي هذا الجزء صورة لانبهارنا عند دخولنا إلى مكة ـ شرفها الله ـ وما رأيناه من الأنوار في الليل، وكثرة الناس، وعدم احترازهم من السيارات، وما قابلناه من اختلاف اللهجة، وسرعة استطاعتنا اتقانها نتيجة الاختلاط، ولمقدرة الصغير عادة على اتقان اللهجة واللغة، وكان للمدرسة نصيب واف في هذا.

كان كثير من الأمور المعتادة في مكة غير معتادة في ضوء ما نعرفه، وما تعودنا عليه، ولكننا سرعان ما وطّنا أنفسنا على قبول ما في حياتنا الجديدة، وفي هذا الجزء صورة صادقة لهذا التأقلم، وهذا القبول، حتى أصبحنا لا نرى بديلاً لمكة ـ شرفها الله ـ.

في هذا الجزء لمحة عن المدرسة وعن أساتذتنا؛ أرجو أن تضيف لبنة إلى تاريخ التعليم المضيء في بلادنا، وقد حاولت أن أعطي فكرة عن بعض أساتذتي، إقراراً بفضلهم، وتخليداً لذكرهم، ووفاءً لهم، وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، ولو على الأقل في أن استمطر دعوة تَرَحُّمٍ عليهم عندما يمر القارئ بأسمائهم ـ رحمهم الله ـ فقد كانوا قناديل مضيئة، ليس بينهم إلا من شعرنا أنه والد، حتى الحازم منهم، ومن يرى بعض الطلاب أنه كان قاسياً ثبت لنا بعد أن عرفنا الحياة أن الحكمة القائلة:

قسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس أحياناً على من يرحم

تنطبق على بعضهم ـ رحمهم الله رحمة الأبرار ـ فليس

لهم في ذهني إلا الذكرى العبقة، والصورة الجميلة المضيئة.

بعض الحياة الاجتماعية أخذت مني شيئاً من الالتفات، وحرصتُ عليها، لأنها لم تعد قائمة الآن، ومع مرور الزمن سوف لا تُذكر، مثل مهنة السقائين، والكناسين في الحرم، وما كانوا عليه، والألفة التي بينهم وبين المصلين.

ورسمت صورة للطلاب، وما يأتون به من ازعاج لمدرسيهم، وما يأتي بينهم من عراك داخل المدرسة وخارجها، مما يُعد حرباً فيها الغالب والمغلوب، والسالم والمعطوب، وتحدثت عن صلة الأبناء بالآباء.

وفي هذا الجزء لمحة عن الطائف ودوره في الصيف،

وذهاب الناس من جدة ومكة إليه، والطريق إلى هذا المصيف وازدهاره في الصيف ازدهاراً جعل أهله يتطلعون إلى مجيء المصيفين كما يتطلع أهل مكة للحجاج والمعتمرين. وجاذبية الطائف تأتي من طقسه البارد ومن بساتينه الكثيرة، وما فيها من فواكه ومياه ومجال للنزهة والفسح.

والحج، وهو مظهر رئيس في مكة، أخذ حيزاً كما استحق، ولم يأت هذا في مكان واحد من المذكرات، بل في عدد منها.

وكانت كل خطوة لنا فيه تحتاج إلى تسجيل، لجدتها،ولأن فيها تطبيق عملي لما نأخذه في الدراسة نظرياً، وكان في مراقبة الحجاج القادمين من جميع أنحاء المعمورة وسيلة ثقافة لنا لا حدود لها. وكان

الحج يختلف كثيراً عما هو عليه الآن، وكانت الإبل و «الشقادف» (المحامل) (الهوادج) مظهراً مدهشاً، فعند «الطلوع» إلى منى، تصبح «برحات» مكة كأنها خلية نحل، ينطبق عليها قول الشاعر وهو يصف استعداداً للحرب:

أجمعوا أمرهم بليلٍ فلما
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من منادٍ ومن مجيب ومن
تصهال خيل خلال ذاك رغاء

هذه لمحة سريعة عما في هذا الجزء، أرجو أن تكون وافية بالغرض، والله ولي التوفيق.

عبدالعزيز الخويطر

بدء المذكرات في هذا الجزء

السفر من عنيزة إلى مكة:

في نهاية عام ١٣٥٦هـ، وقبل نهاية دراستي في الصف الثاني التحضيري في المدرسة السعودية[١]، أول نظامية فُتحت في عنيزة، وفي حدود الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة من هذا العام، غادرنا عنيزة إلى مكة، أنا ووالدتي وأخي حمد وأختي حصة.

لقد حجّت زوجة الملك سعود ـ رحمه الله ـ في هذا العام، وعادت إلى عنيزة، وكانت وسيلة النقل سيارتين، إحداهما صغرى، والثانية كبرى، فسافرنا

(١) سميت فيما بعد العزيزية.

بهما، وكان المسؤول عنهما على ما أذكر إبراهيم المحمد الوابل، وكان محرم الوالدة ابن اختها محمد العبدالله القاضي، وهو أخي من الرضاع، فركبنا معه في السيارة الصغيرة، هو بجانب السائق، ووالدتنا وأخي وأختي وأنا في المقعد الخلفي. والسيارة اللوري تمشي خلفنا، وفيها أغراضنا، والسيارة كانت فورد موديل ١٩٣٦م.

كانت الرحلة ممتعة، وأول درجات المتعة ركوب سيارة أمام الناس بعنيزة، فقد تجمع أناس كثيرون كالمعتاد عند مجيء سيارة أو مغادرتها، وكان التجمع في طرف عنيزة. هناك حوشان معروفان تغادر السيارات، وما أقلها، من أحدهما.

وثاني درجات المتعة البقاء مدة طويلة في سيارة

تنهب الأرض، وتترك وراءها سحائب من الغبار، وعندما تقف السيارة لا يُعرف لونها مما ركبها من الغبار. ننظر من النوافذ فنرى الأرض تمر مسرعة إلى خلفنا، ولا يقطع متعتنا إلا «مطب» مفاجئ، أو منحنى حادّ.

كان كل شيء يخص السيارة مدهشاً لنا، تكوينها الحديدي، ومقاعدها الوثيرة، ونوافذها الزجاجية، وعجلاتها، و (مكينتها) التي إذا وقفنا فُتحت حتى تبرد، أو «شنطتها» التي في الخلف، والقربتان اللتان على جناحيها (الرفرفان). وهذا الذي يقودها، يُصرِّفها يميناً ويساراً وإلى الأمام وإلى الخلف أحياناً، عينه على الطريق لا تطرف، يقظ دائماً، لا يلتفت يميناً أو يساراً إلا خطفاً، ومع هذا فإنه يتحدث مع

من بجواره، والحديث لا يشغله عن القيادة، وهناك تناغم بين حركات يده وقدمه، بينهما تفاهم متقن، وهو مدهش في الإمساك بعنان هذا العملاق، الذي يحمل ما يحمله عدد من الجمال، هذا العملاق الذي لا يخيفه مرتفع ولا يزعجه منحدر، وتسمع حنينه وهو يصعد، وتحس جهاده وهو يلهث، وترى اهتمام قائده، وتجميعه جميع حواسه ليكمل عمله بإتقان، ويزيد اهتمامه، إذا ما قابله، وهو صاعد، منحنىً أو صخرة معترضة، أو حفرة عميقة.

ثم يتبع هذا، الاستعداد للإنحدار، والقائد ومن معه ممسك كل منهم نَفَسه، والسيارة تتلمس طريقها رويداً رويداً، كأنها تشم الطريق شماً، أو كأنها «مَرِّي» يقص أثراً، فإذا انتهى الإرتفاع

والانخفاض انطلقت السيارة، وكأنها أطلقت من عقال، تكاد تسمع ضحكاتها من فرحتها بالأرض السهلة، وقد أخذت سرعتها المعتادة، فلا خوف من الرجوع إلى الخلف، كما كان الخوف من الطريق المرتفع، ومن الانقلاب في المنحدر.

ثم يأتي عدو السيارة الثالث، عدوها وعدو قائدها وراكبيها، يأتي الرمل، وكأنه واقف لها بالمرصاد، وقائدها يعرفه، وعنده دواؤه، يوقد المكينة ناراً، ويضغط مسرعاً ما وسعه الجهد، ليكون دخوله الرمل قوياً ومستقيماً، فينجو بإذن الله ثم بالتجربة الطويلة. وهو يعرف أنه بنجاحه خلّص ركابه من محاولة إخراج السيارة من الرمل إذا غرست عجلاتها، وبقيت تدور وتدور، وتغرس في

الأرض، وتغرس وتغرس، وكأن دوران عجلاتها وهي تغرس قهقهة استهزاء بجهود من يعملون لإخراجها، أو تراه الرمل الذي يقهقه؟ وهو يقارن بين عجلات خائبة من صنع الإنسان وخف الجمل الذي هو من صنع الرحمن.

ونسير بعد أول وقفة لنا في وادي الرمّة، حيث ملأنا القِرَبَ، ورُتِّب الحمل الذي في السيارة الكبيرة، وشربنا الشاهي، ثم غادرنا، ولا أذكر المدة التي مرت بنا قبل أن نقف وننام نوماً مريحاً، فالجو جميل، ووالدتنا معنا، وحبيبنا أخونا محمد العبدالله القاضي، يحملنا على «رموش عينيه»، فنحن نحبه وهويحبنا، ونرى أن عمره أكبر من عمرنا، وهذا يملؤنا ثقة بالحماية، وهو أصغر من والدنا وعمنا

وجدنا، فلا نهابه، ولا نتردد في سؤاله، وإبداء ملاحظاتنا، بل نجرؤ ونطلب أموراً نابعة من الرغبة في المتعة، مثل الذهاب مع الذين يذهبون للريّ وملء القرب، وملء عجلة السيارة بالهواء، الذي لا نستطيعه، ولكن شيئاً في النفس كان يدفعنا إلى المحاولة.

وكنا ننهض في الصباح نشيطين بعد أن كانت أجسامنا منهكة من السير الطويل في النهار، وقد أراحها النوم راحة تامة، ثم نسير ونسير، من أرض إلى أرض، هذه أرض مثل سابقتها رملية، وهذه صلبة، وهذه فيها سواد، وهذه فيها احمرار، ونصل إلى ما يُسمّى بالأشعرية.

الأشــعرية :

وفيها جبال فيها (غيران) جمع غار، وأظننا «ضحينا» فيها، و «أروينا» أسقينا من مكان قريب منها، والذي يذهب للريّ هو «اللّوري»، والماء أهم شيء يُحرص عليه، ويُعتنى به، ويُقتصد فيه، والمياه أنواع: مورد حلو، ومورد هماج، ومورد مالح، والأمر بين هذه الموارد يوزن، فإن اقتربوا من المالح، ومعهم من الماء ما يكفي تركوه، أو أخذوا منه «احتياطاً»، وقد يُستعمل للأكل. ثم تُشترى ذبيحة وتُذبح، ويُطبخ الأكل، ونأكل، ويبرد الوقت، فنسير.

ولا أدري هل فرحتنا بالوقفة أفضل، فنود أن تطول، أم بسرعة ركوبنا السيارة التي لم نشبع بعد

من ركوبها، ونود أحياناً أن لا تقف. وكنا نشغل أنفسنا بالنظر إلى الأرض تمر من جانبنا، وأحياناً بالنظر إلى السيارة الكبيرة وهي تسير محاذية لنا، فإذا كان الهواء باتجاهنا نسمع غناءًا شجيّاً من ركابها، فنتمنى أننا معهم، فإذا ما رأينا كيف تلعب بها الرمال والمنحنيات حمدنا الله أننا لسنا فيها.

يبدو أننا لم نكن في عجلة من أمرنا، فكنا نقف وقفات منتظمة، وكان إبراهيم أمير القافلة رجلاً دمث الخُلُق، ولا تشعر أن له سلطة على الآخرين، لأنه لا يبديها إلا في ترتيب السير والوقوف، وجلب الماء، وإلا فهو «عود من عرض حزمة»، رحمهم الله جميعاً.

حب ركوب السيارة و «سياقتها» :

سوف يبقى حب الصغير لركوب السيارة وقيادتها، مثلما كان البدوي الصغير يحب ركوب الجمل وقيادته، متعة يأخذها من رؤيته الكبار أثناء مزاولتهم هذا الأمر، وقد يصل الأمر ببعض الصغار إلى مخاتلة أهلهم، وانتظار غفلتهم، فيقدم أحدهم على قيادة السيارة، معتمداً على ما كان يراه من حركات سائقها، وكم حدث من حوادث مؤلمة بسبب ذلك، ولهذا يعمد بعض الآباء إلى تعويد ابنه على (سياقة) السيارة على أصول (السياقة) الصحيحة، وتحت رقابته لكي يمكّنه من إشباع رغبته ما أمكن.

سُئل أطفال عن أمنيتهم عندما يكبرون، فقال أحدهم: أتمنى أن أكون سائق تاكسي عندما أكبر،

فلما سُئل عن أسباب اختياره لهذه المهنة، أجاب: «حتى أشبع من السياقة»، وتابعه آخرون.

سوف يأخذ هذا الطفل مستقبلاً عندما يكبر كفايته من (السياقة) ويطلب من الله أن يعفيه منها، ويغنيه عنها!!

الدّفينة وعفيف:

أذكر أن هذين الأسمين قد ذُكرا أثناء هذه الرحلة، وأذكر أننا وقفنا في عفيف، وقالوا إنها المفرق بين منطقة العارض ومنطقة القصيم، ولعلنا لاحظنا أنه مر بنا بعد أن بدأنا سيرنا من عفيف سيارتان أو ثلاث بعضها ذاهب إلى مكة، وبعضها آت من مكة وذاهب للرياض. وكانت وقفتنا في عفيف طويلة، ورأينا بادية لم نر مثلها من قبل في

مجيئنا هذا. وتُعد عفيف مورداً مهما بسبب موقعها، وهو مفرق يجمع بين طريقين رئيسين، طريق الرياض وطريق القصيم، وطريق الرياض أهم، وأوضح، لكثرة ما يمر بها من سيارات بالنسبة لطريق القصيم التي لا يطرقها عشر سيارات في السنة، أما طريق الرياض فتأتي أهميتها من مرور الملك عبدالعزيز وحاشيته إلى الحج سنوياً وعودته بعد شهرين أو ما إليها، هذا إضافة إلى أهمية الصلة بين الرياض ومكة.

المُوَيْه :

وهذا الاسم تصغير ماء، وهو محطة مهمة، وفيها قصر لأمير المويه، وأظنه في ذلك الوقت من رجال الملك عبدالعزيز المهمين، وأذكر أننا وقفنا هناك،

ولا أدري هل كان وقوفنا (للمُضَحَّى)، أو أنه لتسجيل مرورنا، وهذا التسجيل في الغالب إجراء في صالحنا، فيما لو احتجنا إلى مساعدة، وفيه برقية، وهي مهمة لمثل هذا. وأهمية المويه أيضاً تأتي من أنه يأتي قبل ركبة.

رُكبة :

رُكبة منطقة يَهابُها الناس، لأنها مَهْمَهٌ، ومتاهة، تضيع السيارة فيها بسهولة، لأنه ليس فيها علامات، ولهذا يحاول السائقون أن لا يمروا بها، أو يعبروا دوَّها إلا في النهار، ومسافتها طويلة، ويحسُن حالها وقت الربيع، لأن فيها نبتاً وافياً منوعاً، فتكثر فيها البادية، ووجود البادية يطمئن السائرين فيها من أهل الحضر، لأنهم إذا ما استدعى الأمر يستدلون

بهم على الطريق، وسأتكلم عن ركبة في رحلة قادمة، إن شاء الله.

عشيرة:

عشيرة هي أول بشائر أرض الحجاز، ويفرح بالوصول إليها القادمون من نجد، لأنها تأتي بعد ركبة التي تشغل ذهن قاطعها، وسميت عشيرة لكثرة شجر «العشار» فيها، وهو شجر ورقه مليء بسائل أبيض مثل الحليب، والشجر منتشر انتشاراً كثيفاً إلى حد ما.

ولن أنسى تلك القيلولة التي قضيناها فيها، في ظل أشجارها، وتغريد طيورها، والنسيم العليل الذي يطرقها، ويتخلل أغصان أشجارها، ونحن هناك، وسيارتنا الصغيرة رابضة بجانبنا، كأنها أحد

أفراد العائلة، ولو كان لها إحساس الحيوان لبدا عليها الفرَح بقربها من مكة، وبجمال المكان الذي هي فيه، والجو المحيط بها، والراحة التي تتمتع بها مؤقتاً إلى أن تأتي راحتها الكبرى في مكة.

السيل الكبير والزيمة :

وصلنا السيل الكبير، وأقمنا في عشة من عششه المعدّة للواصلين إليه للعمرة، فهو ميقات الآتين من نجد والطائف، والمياه فيها متوافرة، ووسائل الاستحمام مهيأة لمن يريد أن يُحرم.

وتناولنا غداءنا هناك وأحرمنا واسترحنا، ثم واصلنا الرحلة، واختلف محيط الرؤية الآن، فلا نرى إلا جبالاً، ولا نسير إلا في وديان. ومررنا، دون

أن نقف، بمكان نرى عن بُعد بعض الأشجار فيه، منها النخيل والموز، وقيل لنا هذه هي «الزيمة»، فمررنا بحذائها مروراً، ولم نعرج عليها، لأن وقتنا موزون، واتجاهنا الآن هو إلى «الشرائع».

الشـــرائع :

وصلنا الشرائع، وهي آخر محطة قبل مكة، وفيها مركز من أهم المراكز المنشأة لأغراض التفتيش والمراقبة، التي أمر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بإنشائها، وكانت هذه المراكز تقوم بدور ثابت، وأحياناً بدور طارئ، فمثلاً عندما قامت الحرب العالمية الثانية خشي الملك عبدالعزيز أن يستغل التجار المسابلة بين المدن للكسب، فشدّد في عدم دخول المؤن أو خروجها إلا حسب نظام وضعه،

يمنع التلاعب بالأسعار.

وفي الشرائع مركز على رأسه عبدالعزيز الحمد العبدلي ومعه موظفون لمساعدته، وقد أنشؤا عششاً تجلس فيها النساء المصاحبات للرجال، وجلسنا في عشة هناك، ورأينا ما بهر عقولنا، وما فغر أفواهنا دهشة عندما رأيناه، وكنا وكأننا في حلم: رأينا «صندوق» الغناء، المسمى أحياناً (الشنطة) وهو «الجرامافون» المشهور، وكانت الماركة «هزْ ماستر فُويس»، أي «صوت سيدهِ»، وكانت عليه صورة كلب يستمع أمام سماعة جهاز قديم، مرسوم هناك، يوحي بأن الكلب يستمع لصوت صاحبه. رأينا كيف يملأ «زَمْبَلك» هذا الصندوق، ثم توضع عليه السماعة، وفيها إبرة توضع على الإسطوانة

المسجل عليها الأغنية، ثم تدور، فيأتي صوت الأغنية منساباً.

أجل لقد أدهشنا وأطربنا ذلك، وما أزال أذكر بعض الأغاني المصرية التي سمعناها، ومنها أغنية أم كلثوم: «على بلد المحبوب ودّيني، زاد وَجْدي والبُعد كاويني». وأغنية فريد الأطرش: «يا ريتني طير لاطير حواليك»، وأغنية للورد كاش: «غنوا معايا: البرتكانة»، وأغاني كويتية لعبداللطيف الكويتي، وأغان عدنية. وكان الصندوق والاسطوانات تأتي تهريباً بطرق مختلفة من خارج المملكة، ولو عثر عليها مع مهربها لحطمت، ولجوزي هو.

وفي مكة يكون الحذر على أشده، والحيطة في منتهاها، في أخذ الخطوات التي تمنع الصوت من

أن يُسمع خارج البيت الذي «تدقّ» تُشَغَّل فيه الاسطوانات، فكانت تُحشر فوطة في مخرج الصوت في الصندوق، فينكتم الصوت، وفيما لو كَبَسَتْ الهيئة على البيت، فهناك تصرفات سريعة لإخفاء الصندوق والاسطوانات.

عقاب مقتني الجرامافون:

وأذكر أن أحد أقاربنا كان شاباً موظفاً، وله أصدقاء يأتون إليه للاستماع لصندوق عنده، أحياناً بعد الظهر، وأحياناً بالليل، ويبدو أن شخصاً كان مغتاظاً من هؤلاء الشباب، إما لسبب ديني، وإما حسداً، لأنه لم يُدْعَ مع هؤلاء السامرين، فدل عليهم رجال الحسبة، «فَكَبَسُوا» عليهم، واقتادوهم، وحملوا الصندوق على رأس صاحبه من أعلى

مكة إلى الحميدية، مركز الشرطة الرئيس، حيث حطموا الصندوق أمام الناس بعد صلاة العصر، وسجن قريبنا ثلاثة أيام، فسعى والدي ـ رحمه الله ـ لإخراجه، فأفرج عنه بتعهد أن لا يعود.

ولكن صاحبنا الشاب عاد، ولكن بحذر أكثر من ذي قبل، وأحسّ في يوم من الأيام أنه قد وشي به، فاحتاط للأمر، فأخفى الصندوق والاسطوانات. وحَمَّلتها والدته على رأس إحدى قريباتهم، ولم نعلم إلا وقد دخلت بحملها إلى بيتنا، فأخفته عندنا، وهذه جرأة متناهية، ولكن هذه الحركة كانت ناجحة، فقد فشل الواشي عندما لم يجد هو ولا الهيئة ما كانوا جاؤوا من أجله.

الجرامافون وانتشاره :

الجرامافون أو الصندوق، كما كان يسمى، كان منتشراً بالسرّ عند كل قادر، وكان يُستعار هو والاسطوانات، وأحياناً الاسطوانات وحدها، خاصة إذا كانت جديدة، وكان المكان المأمون هو في أماكن النزهات خارج مكة، لأن الصوت لا يُسمع، وإذا وشي بصاحب الصندوق فإن رجال الهيئة يُلاَحَظون من بعيد، مما يسمح بإخفاء الصندوق وزوال أثره. وكان أغلب كبار الدولة يقتنونه، ويتفاخرون بعدد الاسطوانات ونوعها، وكان الوالد ومعه بعض موظفي وزارة المالية يذهبون إلى منطقة العدل في الليل، بعد العمل، ويتناولون عشاءهم هناك على ضوء الأتاريك، ويسمرون مع الصندوق والاسطوانات

إلى أن يحين وقت النوم، فينامون هناك طلباً للجو المنعش الهادئ، حتى الصباح، وقد ذهبت مرة معهم ومعي أخي حمد، وهي الليلة الوحيدة، ثم انقطعنا لسبب سوف أذكره إن شاء الله، في محله.

صندوق الغناء (الجرامافون) عند بعض الناس لم تكن النظرة إليه عالية، ويعد أداة فسق وفجور، خاصة وأن أكثر من يستعملونه هم من الشباب من أهل (الموضة)، فقصة الشعر عندهم «تواليت»، والثياب حرير أو ما يسمى «لاس»، و (الكندرة) لامعة، و «غبانة» مكوية موضوعة على الكتف، ولا يهم المَخْبَر، وكان الحكم آنذاك عند بعض الناس على المظهر، ولو رجع الأمر لهؤلاء المعترضين لما قبلوا شهادة هؤلاء الشباب ولما زوّجوهم! ولم يدر بخلد

أحد أن الوقت سيأتي وسوف تُباع مسجلات الغناء في دكاكين ليس بينها وبين الحرم إلا الشارع!.

واستمرت محاربة الشنطة والاسطوانات إلى عام ١٣٨١هـ عندما سمح بدخولها رسمياً من منافذ الجمارك، وأصبح مباحاً، وربما أُخذ عليه جمرك.

دخولنا مكة :

ودخلنا مكة بالليل، وفغرنا أفواهنا مما رأينا من كثرة الناس، وكثرة الدكاكين، وفي بعضها أتاريك تجعل ما حولها كأنه نهار، وكنا نريد أن نرى كل شيء، ونود أن لا يفوتنا شيء، ورأينا ما نعرف، وما لا نعرف، أو ما نظن أننا نعرف، من أنواع الدكاكين، وأنواع المعروضات، وأنواع الناس، وأنواع الملابس،

هذا بثوب، وهذا بإزار، وهذا بعمّة، وهذا بطاقية تختلف عن طاقية آخر، وعقلنا لا يستطيع أن يستوعب كل هذا، ولم يكن هناك مجال للتمعن، وكانت النظرة سريعة، والالتفاتةخاطفة، والسيارة التي نحن فيها في طريقنا إلى الحرم غير السيارة التي جاءت بنا من عنيزة، تلك فرت (فورد)، وهذه «بوكس»، تلك أضيق، وهذه أوسع، تلك كلها حديد، وهذه في جنباتها بعض الخشب.

دهشنا كيف أن الناس لا يبالون بسير السيارة، فأحياناً منبِّه السيارة لا يتوقف عن التنبيه، وبعض الناس أمام السيارة، وليس بينهم وبينها إلا شبر، لا يخافون منها، ويكاد السائق أن ينزل ويبعد الناس. أين هذا مما كان في عنيزة؛ الناس هناك يقفون بعيداً

عن السيارة، بل إن بعض الأسر لا يخرجون من بيوتهم خوفاً منها، ويمنعون أبناءهم من الخروج، ولكنهم يتسللون لواذاً، واستمر ذلك إلى أن جاء وقت عرفوا حقيقة السيارة، ومع هذا فقد بقي حذرهم من القرب منها وهي تتحرك.

هنا في مكة الناس لا يأبهون لا بالسيارة ولا بالحمير وركابها كذلك، كأن الطريق لهم أوّلاً وللسيارة ولغيرها في المقام الثاني، وقد رأينا سيارة مقبلة، وبعدها أخرى، ورأينا هذا ونحن نزحف من المعابدة ثم المعلاة ثم الغزة، وفي مكان ما ينفرج الطريق، ويقل الناس، وتهرول السيارة، وفي مكان آخر تجاهد السيارة لتسير، ولفت نظرنا في القشاشية، قبل الوصول إلى الحرم، سيارات أربع،

أو لعلها خمس، واقفة، عرفنا فيما بعد أنها تسمى أبو رفزة، وبجانبها يقف بعض (الحناطير) جمع «حنطور»، ومعها الخيل التي تجرها، وقيل لنا، مما زاد في دهشتنا فيما بعد، أن هذه (الحناطير) تستأجر في العصر لزيارة السيدات لأقاربهن.

هنا في مكة عالم آخر ولجنا إليه، وليس فيه إلا مدهش، كل شيء نراه تفغر له أفواهنا تعجباً؛ تعدد الدكاكين التي تبيع صنفاً واحداً متجاورة ومتباعدة، وكل سوق يكاد يكون مكتفياً بما فيه.

أدهشتنا اللغات التي يتخاطب بها الناس، وكان الوقت بعد الحج، فالجاوي بلغته، والتركي بلغته، والهندي بلغته، والبخاري بلغته، كنا في أوائل محرم، وما تزال تُرى الجمال و (الشقادف) التي خدمت

الحجاج في حجهم، وكان بعضها يستعد للذهاب إلى المدينة.

البيوت ملأى بالناس، والشوارع كذلك، وما أكثر من ينام في الشارع وفي الحرم، وفي كل مكان، كانت مكة ـ شرفها الله ـ خلية نحل في تلك الأيام، ازدهار في كل شيء، كل يبيع ـ كما خيل لنا ـ وكل يشتري.

دخلنا الحرم فشُلَّ تفكيرنا من المنظر المدهش للأنوار المبثوثة فيه، ومن هذا (البراح) و (الفساح) الذي أمامنا، ومن تنوع أرضه، هذا الرخام في المطاف، وهذا الحجر في المشايات المستقيمة، وعلى جنباتها حصبات ملأى بحصيات كأنها في حجمها ولونها منتقاة، ثم هذا «الرواق» الذي خيل لنا أنه لا

نهاية له، وأعمدته التي لا ترى فيها اعوجاجاً، بل استقامة متناهية، تظن أنك في حلم لإتقان رصها، وحسن تنظيمها، والناس تحتها ما بين قارئ، ومصلٍّ، ونائم، ومستجدٍ.

وطفنا، ولا أدري، مع دهشتنا، وصغر سننا، إن كنا فهمنا مؤدّى الدعاء الذي دعونا به، وأنه لم يزد عن ألفاظ ليس بينها وبين عقلنا إلا النية الطيبة. وكل خطوة نبدؤها نتطلع إلى ما سوف يكون بعدها مما لم نكن نتصوره أو نتوقعه، وسعينا، واستوعبنا في أداء هذه الواجبات الدينية عملاً كنا نسمع عنه نظراً. وشربنا ماء زمزم الذي سبقت سُمعته وبركته ما استطعمناه فيه من طعم جديد علينا، ورأينا «الأزيار» و «الدوارق» ومحاملها و

«الطِّيَس»، وتبخير الدوارق بالمستكا، والعناية التامة في تهيئة ماء زمزم وتقديمه للشاربين.

وعدنا إلى البيت، لنقصّر شعرنا، ولنتناول عشاءنا، وسكنا في بيت فوق بازان المعلاة، بجوار بيت عجب نور، ومحمود عجب نور فيما بعد صار زميلي في السنة الثالثة التحضيرية، في المدرسة السعودية التي لا تبعد عن بيتنا إلا أمتاراً، وأمام بيتنا، وأمام المدرسة السعودية بيت سمو ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، وأذكر أنه كان في سطحه «أنتن»، وقيل إنه «أنتن» برقية، وكان معنا خادمة، فذهبت في اليوم التالي إلى حارس المبنى، وطلبت منه إخبار أهلها برقياً أنها وصلت مكة بالسلامة، وأصبح فعلها يُتندر به بيننا ـ رحمها الله ـ.

غـــزال في مكـــة :

في اليوم الثاني أو الثالث لوصولنا فوجئنا بغزال أهديت إلينا،وتبين أنها من العم سليمان البراهيم القاضي ترحيباً بالوالدة، ابنة القواضَى، وابنائها، فوضعنا الغزال على السطح، وكانت مضطربة طوال الوقت، ويزيد اضطرابها كلما اقتربنا منها، وتقفز قفزات عالية، خشينا معها أن تسقط في الشارع من الطابق الثالث، أو تقفز إلى سطح الجيران أو تؤذي نفسها بكسر عضو من أعضائها، ولهذا جاء من أخذها بتوجيه من الوالد ـ رحمه الله ـ ولا أدري إلى أين أخذت، ولم نكن قد تعلّقنا بها بعد، لأنها لم تكن أليفة، ولهذا لم نفقدها لهذا السبب، ولأن كل شيء حولنا يشد انتباهنا، أمكن أن نستغني به عنها، وعن تذكرها.

معلوماتي عن الغزلان :

وكانت رؤيتي لهذه (الغزال) هي الرؤية الثانية، أما الرؤية الأولى فكانت في عنيزة، ربما قبل سنة، فقد ذهبت لبيت معالي الأخ الأستاذ عبدالرحمن العبدالله أبا الخيل، ورأيت الغزال هناك، وكانت أليفة، وفي حوش بارح، وعلى الأرض، وليست في سطح، وأعجبت بها لجمالها، ولونها ورشاقة جسمها، وانتصاب رقبتها، والكحل في عينيها، وحسن التفاتتها، وحركة ذيلها، واستقامة قرنيها، لقد كان كل شيء فيها جميل، فلم تكن بضخامة البقرة، ولا بقماءة العنز! نظافتها تجذب النظر؛ إن ربضت فهي جميلة، وإن وقفت فهي رشيقة.

لم أكن رأيت غزالاً قبل ذلك، فإن كنت تصورتها

فالصورة لم تكن قريبة من الحقيقة لأنها مجمعة من حيوانات مختلفة، ومأخوذة من القصص التي يمرّ اسمها بنا مر الكرام، مثل عندما ينقلع سن من أسناننا ونحذفه ونقول: خذي سن حمار واعطينا سن غزال، ولا أدري من كنا نوجه القول له، ولا ما هي صورة سن الغزال، وقد كنا في الغالب نوجهه للشمس.

قبل غزال معالي الأخ عبدالرحمن لم أر الغزال لا في الحقيقة ولا في الصور، لأنه لم تكن عندنا كتب مصورة، وكنا لا ندرس إلا القرآن الكريم بطبعاته المتنوعة، أو كتب الملازم التي تدرس على العلماء. والكتاب الوحيد الذي أذكره في هذه الحقبة كتاب لابد أنه في الأصل كتاب مطالعة لصف في إحدى المراحل الأولية في سوريا أو في مصر، ممزق الغلاف،

وأذكر أن فيه صفحة فيها رسم يد لفأر، وقط يوشك أن يختله ليصطاده، وعلق على الصورة بهذه الجملة التي ما أزال أذكرها: «قط يرقب فأراً من وراء جدار».

وهناك صورة أخرى في صفحة ثانية لسمكة، ومن المؤكد أنها لم تعطني فكرة واضحة عن السمكة وحجمها، ولم أعرفها حقيقة إلا عندما جئت إلى مكة ورأيت السمكة بعيني.

البازان والسقاؤون:

تحت بيتنا (بازان)، «خرزة» ماء، يستقى منها للبيوت، وكان البازان ومن فيه هو سلوتنا طوال الوقت الذي نكون فيه في البيت، خاصة في العصر، والسقاؤون (السَّقَّاية) نوعان: نوع يحمل الماء من

البئر[1] إلى البيوت «بالتنك»، تنكتان في طرفي عود «بوص» قوي[2] يوضع على الكتف تتعادل التنكتان بتوازن على طرفيه.

والنوع الثاني يحمل فيه الماء بالقِرَب، ولا يقدم على هذا النوع عادة إلا أُناس من أصل إفريقي أقوياء، ولأنهم تعودوا على هذا العمل يومياً فلا يجدون صعوبة في حمل القربة عندما يتقدمون في العمر، وغالباً ما يكون شيخ السقايين من قدمائهم، كبار السنّ، وكذلك مساعده (النقيب).

محاكمة السقّاء:

للسقايين تقاليد تخصهم في الجزاء، فالسقاء إذا

(١) البئر أو الخرزة أو البازان هي فتحة على خزان ماء يأتي ماراً من عين زبيدة.

(٢) عود خيزران، ويسمى العود والتنكتان «زفّة».

شُكي، وثبت للشيخ صحة الشكوى، أو خالف السقاء أمراً، أو قاعدة ثابتة حوكم وجوزي، والمحكمة طريفة، ولها إجراءات ثابتة، ويبدو أنها قديمة متوارثة، يعقد جلسة في البازان، يجلس فيها السقاؤون صفين متقابلين، وتبدأ المحاكمة بكلمة: «صلوا على النبي، وكمان صلوا على النبي»، ثم تُقال كلمات مختصرة لعل بعضها بلغة أفريقية محفوظة، ثم يُقرر الجزاء، وقد رأيت تنفيذه مرة أو مرتين.

وطريقة التنفيذ هي أن يضطجع المُذنب على بطنه على «الوقاية» التي يضعها الشيخ عادة على ظهره عندما يحمل القربة، وهي من جلد، ثم يضرب على إليته ضربات خفيفة، وهي في الحقيقة رمز عقاب، مقصود بها الردع عن الخطأ، وعدم العودة

إليه، وردع الآخرين، وهو عقاب نفسي أكثر منه جسمي، وأحياناً يكون العقاب بحرمان الشخص من السقاية لمدة أسبوع أو أسبوعين أو شهر، ولعل هذا هو العقاب المؤلم حقاً.

تقاليد السقائين :

وللسقائين تقاليد خاصة بهم متعارف عليها بينهم، فحمل القربة محكوم بنظام، لا يستطيع كل واحد أن يختاره بنفسه لنفسه، ولابد من أخذ موافقة شيخ السقائين في هذا البازان أو ذاك، والالتحاق بالسقاية في بازان ما يخضع كذلك لقبول شيخ ذلك البازان وتقسيم البيوت يكون خاضعاً لنظر الشيخ في البيوت التي تكون السقاية فيها منتظمة، أما غيرها فلا بأس من اتفاق السقاء مع الزبون،

ومن الموجب للعقاب أن يعتدي سقاء على حق سقاء آخر بدون إذنه، أو بدون طلب أو ترتيب من صاحب البيت.

بيت الحديد:

هذا بيت للشيخ صدقة عبدالجبار، ويقع خلف قصر المحروق، المعروف بين الغزة والمعلاة، وبابه مصنوع من حديد، خلافاً للأبواب الأخرى المصنوعة من خشب مزخرف بالنحت عادة، ولهذا تعارفنا بيننا على أن نسميه «بيت الحديد»، وهو بيت جميل، واسع، مكون من ثلاثة طوابق، في كل طابق مجلس ومؤخر وحمام، أما الطابق الأرضي، ففيه مقعد وديوان، وفيه المطبخ.

وهذا البيت يُستأجر عادة من قبل الحكومة أيام الحج، ثم يُخلى بعد الحج، وقد سكناه في هذا العام بعد أن أُخلي، وكانت أمامه برحة هي ملعب للأولاد، وأذكر أنه كان من جملة من كان يلعب فيها الأخ محمد بن عبدالعزيز العنقري ـ رحمه الله ـ والد معالي الدكتور خالد وزير التعليم العالي، وكان يكبرني بما يقرب من ثلاث سنوات.

وأذكر أنه كان عندما يلعب «الكبت» مع أنداده يترك غترته وحذاءه عندي، وأنا قاعد على عتبة بيت الحديد أرقب اللعب، واستمرت الصلة إلى أن تخرجنا من مصر، وقد تخرّج قبلي بما يقرب من ثلاث سنوات، وعاد إلى المملكة، والتحق بوزارة الخارجية، ثم تنقل في وظائفها، وأظن أن آخر

وظيفة له قبل وفاته ـ رحمه الله ـ كانت في سفارة المملكة في بغداد.

وأعرف والده عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وكأنه أمامي الآن، رجل طويل نحيل، وأعرف أخاه عبدالله، أمد الله في عمره، وألبسه ثوب الصحة والعافية، وأخاه عبدالمحسن ـ رحمه الله ـ وكانوا يسكنون قريباً منا في شعب عامر.

عم سراج والجن :

كان جارنا من خلف بيتنا: «باب الحديد» شيخ الخياطين (تاج جلال)، وكنا لا نعرفه جيداً، ولكننا كنا نعرف أخاه عم سراج ـ رحمه الله ـ كان صاحب دكان صغير، يبيع في النادر السكر والشاي، وأهم

من ذلك الدخان (البكتات) و (اللّف)، وكان مدخّناً من الدرجة الأولى، لا تكاد تراه إلا وفي يده سيجارة، وقد أثَّر الدخان على فمه وعلى أصابعه. وكنا نحبه لأنه كان يحبنا،وكان الأولاد يطيعونه، وكان أحياناً يجلس عنده بعض رجال الحي للتسلية، وكان قد فقد أسنانه جميعاً مع الكبر.

وعندما سكنا سألَنا أبناءُ الحي: كيف نرضى أن نسكن في هذا البيت، إنه مسكون (بالجن)؟ فقلنا إننا لم نرَ جناً، فقالوا لنا: إننا أحياناً، ونحن نلعب في الليالي المقمرة، يرمي الجن علينا أحجاراً، وكانوا يصوِّبونها نحونا بدقة، صحيح أنها لا تصيبنا، ولكننا نشعر بهواء الحجر عند اندفاعه وهو يمر أمام وجوهنا، ويسقط رأساً بين أقدامنا.

فأطلعت على هذا الحديث العم سراج فقال لي: لا تصدقهم، فالبيت غير مسكون، والذي يرميهم بالحصا هو أنا، فأوهمهم أن الذي رماها جنّي، لأنهم يتأخرون في اللعب بالليل، ولا يدعوننا ننامٍ، فأرميٍ حجراً على باب الخرابة بقوة، فيحدث صوتاً مرعباً، فيؤمنون بأنّ من رماهم جنّي، لأن بيتكم ليس فيه ساكن. والحقيقة أنني أقفز من بيتنا إلى سطح بيتكم، وأرميهم بالحجارة، بحيث تنزل الحجارة على باب الخرابة، فتحدث صوتاً مخيفاً لهم.

ورجاني - رحمه الله - ألا أفسد عليه خطته، فوعدته ووفيت، فكلما سمعت عن بيت في مكة، أو غيرها، أنه مسكون، تذكرت العم سراج - رحمه الله -، ولقد تأكدت من أن هذه الإدعاءات بسكنى الجن

في بيت من البيوت بعضه آت من المكيدة لصاحب البيت، وتنفير الناس من شرائه أو استئجاره، أو أن سببه أن البيت يطل على الجيران، فيكشف داخل بيتهم فلا تلذّ لهم خلوة.

العم سليمان بربري :

هذا رجل من بارزي رجال الحي، كان يصنع المكاييل، ويبدو أنه موثق من قبل الجهات المختصة، وعمله فني مدهش، أذكر أنه كان يأتي بالأخشاب جاهزة، وقد يكون جهّزها في بيته، ثم يأتي لركن في البرحة بعد أن تزول الشمس عنه بعد العصر، وفي الصباح الباكر، فيبدأ في تركيب الصاع والكيلة وما إليهما، وكانت يده ـ رحمه الله يد صانع.

له حفيد اسمه إبراهيم[1] ـ رحمه الله ـ وكان يدرس معنا في المدرسة السعودية، وله صديق حميم كان يدرس معنا كذلك اسمه إبراهيم الشبل، وهو خال الأخ بسام المحمد البسام، وقد فجعنا في يوم من الأيام بالإبراهيمين معاً، فقد غرقا في أحد المصافي في جبال شعب عامر، على أثر مطر غزير هطل قبل أيام من ذهابهما للسباحة في هذه المصافي، وما أكثر ضحايا المصافي في مكة، فلا المصافي ترحم، ولا الناس يتّعظون.

عيون يقظة :

العم سليمان بربري، وعم سراج، ورجل جاوي صاحب دكان، وهو الذي يجلس العم سليمان

---

(١) أظن أن اسم والد إبراهيم أحمد.

بجانبه، هم عيون مفتوحة أثناء النهار، ترى الداخل للحي، وتتبعه إلى أن يغيب عن نظرها، ويصل إلى برحة أخرى فيها عيون يقظة كذلك، وهم بهذه اليقظة، ومتابعتهم للغريب يساهمون مساهمة فعالة في توطيد الأمن أثناء النهار، أما في الليل، فيأتي دور العسس، فالعسة يقظ طوال الليل، فإذا رأى قادماً يصفّر عندما يلوذ بمنحنى الشارع، ليخبر العسة الثاني بأن هناك قادماً إليه، فيرقبه الثاني حتى يغيب عن نظره، فيصفّر لمن بعده، وهكذا.

وتصفيرة تسليم المار إلى العسة الآخر لها نغمة، وتصفيرة الخطر لها نغمة، وتصفيرة التأكد من أن العسة الثاني يقظ، وأن الأمور تسير على ما يرام، لها كذلك نغمة خاصة.

بعض ما أدهشنا :

لما جئنا إلى مكة لم نكن نعرف العَسَس ولا تنظيمهم، ولهذا أدهشنا أن يكون شيء مثل هذا التنظيم موجوداً في مكة، وكان ذلك ينقصنا في عنيزة إلا من متبرعين خيّرين.

ومما أدهشنا أيضاً الكناسون وعملهم اليومي المنتظم، قد وضعت لهم بلدية مكة نظاماً، ونحن في عنيزة ليس عندنا بلدية، ولا نعرف أن هناك شيئاً في الوجود اسمه بلدية، ويقوم بمثل هذه الأعمال. هذا النظام لا يختل، لأن وراءه مراقبين، وأعين الناس تساعد المراقبين في عملهم، وكل من يقوم بهذا العمل ونحوه هو من أبناء البلد.

شيوخ الحارات :

مما لفت نظرنا من مظاهر الحضارة في مكة شيوخ الحارات، فلكل حارة شيخ ونقيب يساعده، وللشيخ مهمات محددة، وله جهات يرجع إليها، وهي التي تُعيّنه، وللاختيار والتعيين إجراءات معروفة ثابتة، تساعد على اختيار الكفء الذي يؤدي العمل على الوجه الأكمل. ولابد من أن يكون الشيخ رجلاً متقدماً في السن، عركته الحياة، وله من التجارب ما يساعده على القيام بعمله، ويختار من ذوي السمعة الحسنة، ومن حارته، وممن يرضاه الناس، ويعرفون أنه يتعاطف معهم في مشاكلهم. وعلى يد شيخ الحارة يتم إنجاز الأعمال، وإتمام الصلح، ومنع الخلل قبل وقوعه، ولشيوخ الحارات سلطة

تجعلهم يريحون السلطات العليا، ويبدو أن هذا النظام موروث من عهد الأتراك.

وإذا لم تخني الذاكرة فالحارات في مكة كانت خمسة عشر حارة تقريباً، ولكل حارة (حي) شيخ (عمدة) ونقيب، ومنهم من قام بهذا العمل في فترة من فترات وجودي في مكة، وبقوا مدة ثم حل محلهم آخرون[1].

وأذكر من الحارات بدءاً من أعلى مكة:

المعابدة، وشعب عامر، وشعب علي، والسليمانية، والفلق، والقرارة، والنقا، والشامية، والشبيكة، وحارة الباب، وأجياد، والمسفلة، وجرول، والغزة والقشاشية.

---

(١) ممن أذكره من مشايخ حارة شعب عامر: خليل غبرا وعبدالله بن ظافر، وفلان عدس.

وكانت هذه الحارات متصل بعضها ببعض، ويكاد الإنسان لا يعرف متى تبدأ هذه، ومتى تنتهي، إلا إن شيوخ الحارات يعرفون، ويعرفون حدود صلاحياتهم، ومثلهم في هذا مسؤولوا البلدية، بل لعلهم الأصل في تحديدها.

أنوار الأحياء:

مما يدخل في أعمال البلدية، ويحظى بالتنظيم منها، ومتابعتها له، إضاءة الطرق بالليل، فهناك متعهد أو متعهدون يقومون بإضاءة السُّرج ليلاً، بحيث أن السائر لا يمشي في طريق مظلم، فنور السراج الأول يسلم السائر إلى السراج الثاني، وهكذا حتى يصل الشخص إلي بيته، أو بيت آخر يقصده.

ومن ميزات إضاءة الطرق في الليل أنها تقلل من محاولات السرقة، التي يقوم بها «الحرامية» حين ينتهزون فرصة غفلة العسّة، أو عتمة الطريق. وكانت السرقات آنذاك قليلة، وتستثير الاهتمام عند وقوعها، وقد تبين أن بعض الحرامية هم من السقائين، لمعرفتهم بمناطق الضعف في المباني التي يدخلونها نهاراً، ولفقرهم الشديد، وحاجتهم الملحة، وإغراء ما يرون.

السجائر والدخان :

مما لفت نظرنا عندما وصلنا مكة شرب الدخان، وهو شيء لم نعرفه في عنيزة، ومن يشربه فيها من أهلها قليل، وشاربه يستتر جيداً، لأن نظرة الناس إلى شاربه ليست نظرة احترام، وإن كانوا لا يتخذون

تجاهه أي إجراء، وهناك من هو متسامح تجاه هذا الأمر، ومن هؤلاء من قد سافر إلى الهند والعراق وسوريا، وقد يكون من بينهم من شربه هناك. والمهم ألاّ يجاهر بشربه، أو يفاخر بنوع منه دون نوع، أو ما إلى ذلك، حتى شاربه كان يعده «بلوى»، ويود التخلص منه.

أما في مكة فهو يُباع علناً بأنواعه المختلفة في الدكاكين، ويشرب علناً في المقاهي والدكاكين والشوارع، وتراه في الجيوب، خاصة إذا كان الثوب خفيفاً (شفافاً)، حتى النساء، خاصة كبيرات السن، كان فيهن من تدخن، ومن لا يدخن من الرجال أو النساء فهو يدخن الشيشة، وهذه تُرى في المقاهي وفي البيوت.

الحمير والبغال :

البغال لفتت نظرنا لأنه لا يوجد في عنيزة بغال، وتوجد البغال في مكة، ولكنها ليست بكثرة الحمير التي لفت نظرنا فيها ضخامتها، وعناية الناس الفائقة بها، فهم يقصّون شعرها على الفخذين والأعضاء الأخرى بطريقة زخرفية فنية، وكلما طال الشعر أعيد قصّه بهذه الطريقة، ولذلك أناس مختصون، يجيدون هذا العمل بسرعة فائقة، وإتقان مذهل. وتزخرف الحمير بالحناء، ويحرص أصحابها على هذا، وتزيد العناية بها أكثر من أي وقت آخر عندما يقترب موعد ذهاب الركب على (الحمير والجمال) إلى المدينة المنورة، فالمباهاة تصب على فراهة الحمير وعلى ترويضها، وعلى زخرفتها بقص شعرها،

وبصبغها بالحناء، وعلى البردعة، وحسن صنعها، وعلى جمالها.

لقد كان الحمار في مكة المكرمة هو أداة نقل الناس من مكان إلى مكان، ووسيلتهم إلى حمل الأحمال، ويستعملونه في السفر إلى القرى القريبة، والمراكز غير البعيدة، وهو كذلك الأداة للذهاب للميقات للعمرة، والذهاب إلى جعرانة، ووادي فاطمة. وقيل لي إن الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية ـ رحمه الله ـ كان يركبه من بيته قرب قصر الحكم إلى قصر السقاف في المعابدة، حيث مقر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في أول حكمه للحجاز.

وكانت أيام الأعياد موسماً من مواسم ركوب الحمير، والمباهاة بها، وتزيينها بقص شعرها، وصبغها

بالحناء، وكان كثير منها يُستأجر بأثمان باهظة لهذه المناسبة، وهي مناسبة يُتطلع إليها خاصة في عيد الفطر.

حمار الطاحونة:

مما أدهشنا منذ الأيام الأولى في مكة الطواحين، وكان منظرها مفاجئاً لنا، وعملها غريباً علينا، لأن الطحن في عنيزة كان في البيوت، تقوم به نساء البيت، وإذا كان كثيراً استعنّ بأحد، أو أرسلنه إلى من تطحنه في بيتها تبرعاً أو بأجرة. ولكن من في مكة من حجاج ومعتمرين ومن سكان، لا يكفيهم من الطحين ما يكفي أهل عنيزة وبيوتها، لأن الخبز في مكة كان غذاءً رئيساً لا تخلو منه وجبة، لهذا كثرت الطواحين، وأذكر أنه كان بشعب عامر طاحونتان

على الأقل، وهما مزدهرتان، ولا أذكر أننا مررنا بإحداهما دون أن نراها تعمل.

وهناك معاصر للسمسم تعمل فيها حمير أحياناً، وأحياناً الجمال، ولعل الجمال كانت الأكثر، والسمسم لا نعرفه في عنيزة أصلاً ولم نره، في حين أنه غذاء مهم، ويدخل عنصره وزيته في أكلات عديدة، خاصة في بعض الحلوى.

الأفران وبيع الخبز :

انتقالنا إلى مكة تسبب في دهشتنا في أمور كثيرة من الصعب أن أحصيها الآن، أو أصف شعورنا نحوها عندما رأيناها لأول مرة. أحد هذه الأمور التي وقفنا أمامها طويلاً الأفران في مكة وكثرتها،

ولا غرو فطالبوا الخبز لا يحصون، خاصة في أيام المواسم، أي في أيام الحج والعمرة ورمضان، وكانت هناك ثلاثة أنواع رئيسة: الأول المفرود، وهو ما عليه الطلب الأكثر، ثم الصامولي، ثم التميز، ثم يأتي بعد ذلك الشريك[1]. وأهل مكة منظمون في وجباتهم، فهناك الفطور، وله وقت في الصباح، والغداء وله وقت في الظهر، والعشاء وله وقت في المساء.

والأكل في نجد محدود الأصناف، فهناك التمر واللبن، والزبدة، وخبز التنور، والتاوة، والوجبة الرئيسة تكون عادة صنفاً من عدة أصناف كلها من مشتقات القمح: القرصان، والمرقوق، والمطازيز،

(١) وأطعم أنواع الخبز ما يُعجن في البيوت، ويُرسل مع الصبي، أو الإبن، للفران ليخبزه، ويوضع معه «حنّانة» عجينة صغيرة، للإبن أو الصبي، مكافأة له على أخذ الطبلية للفران، ثم إحضارها.

والجريش، واللحم في وقت محدود من السنة، أو عندما تطرأ مناسبة. وهذه الأشياء تتوافر للغني، أما الفقير فأحياناً لا يحصل إلا على وجبة رئيسة محدودة الطعم من قلة ما يوضع فيها من الخضروات.

أما في مكة فأمر الوجبات منظم، ولكل وجبة ما يتلاءم معها، وهناك أصناف يمكن أن يُختار من بينها ما تشتهيه النفس، أو يقدر عليه الجيب، فالفطور مثلاً فيه من الأنواع المتعددة ما قد يوجب الحيرة للشخص فيما يختار له منها: فهناك الفول المدمس، وخبز التميس، والهريسة، والمعصوب، والمطبق، والكوارع، والحليب، والشاهي، والقشطة، وزبادي اللبن، واللقيمات، والزلابية، والعسل، واللنقطة، ويحتاج لإعدادها بإتقان إلى تجربة وفن.

أما أطعمة الغداء فيمكن أن يُختار منها اللحم والخضار، والأرز الأبيض، والأرز بالُحمْبُص، والكفتة، والباميا، والفاصوليا، والزبانخ، والسّلق، ومغازلة الكشري مع الأرز، والمختوم يخني. ويقدم من كل صنف شيء قليل، ولكن كثرة ما يقدم من الأصناف يمكن أن تتخم الإنسان.

أما العشاء فمن بين ما يمكن أن يقدم منه: السّليق، والأرز البخاري، والأرز بالُحمْبُص، والمطبق، والمعصوب، والجبن، والمربّى، والكوزي، والمضبي، والمبشور، والمندي، والسلات، والعصيدة، والطحينة، والحلاوة اللَّدُّو، واللّبنية، والهريسة، ولبن الزبادي، والمهلبية، والسقدانة، والألماسية، والكماج، والتعتيمة للعريس، والأرز بالمعدوس للمآتم.

هذا ما أذكره الآن، وهناك أصناف أخرى من الأطعمة لا أذكرها، وقد اجتمعت بمطبخ مكة أنواع مختلفة من أكلات الشعوب الإسلامية، فهناك الأكل الجاوي، وهناك الأكل البخاري، وهناك الأكل المصري، والأكل الشامي، والتركي، والعراقي، والهندي، والصيني، وغير ذلك مما لا يكاد يحصر.

دخولنا المدرسة:

التحقت أنا وأخي حمد بالمدرسة السعودية بالمعلاة، بعد أن استؤنفت الدراسة بعد الحج، ولم تكن المدرسة تبعد عن بيتنا أكثر من «مشي» ثلاث دقائق، وقد أُلحِقتُ بالسنة الثالثة التحضيرية (الثالثة الإبتدائية اليوم)، وأُلحِقَ أخي حمد بالسنة الثانية التحضيرية،

وقد وضع كل منّا في صف أعلى من الصف الذي كان فيه في عنيزة. وتم التحاقنا بالمدرسة في الفصل الثاني من الدراسة، وكان هناك في كل شهر امتحان، وتجمع درجات الأشهر في آخر الفصل.

وُضعت في آخر قائمة الأسماء في صفي، لأني حتى الآن لم أدخل امتحاناً بعد، وأشكر إدارة المدرسة إذ لم تضعني في السنة الثانية، أو تضع أخي في السنة الأولى، كما كنا في عنيزة.

وفي أول امتحان أُجري، في آخر الشهر جاء ترتيبي الرابع، وفي الامتحان الذي تلاه تقدمت إلى الثالث في فصلي، وفي نهاية السنة وبعد الاختبار النهائي انتقلنا إلى الصف الأول الابتدائي، وصرت الثاني.

وكان من زملائي في الفصل: عمر فقيه، بسام

المحمد البسام، ومحمد علي بن صديق، وعبدالرحمن مددين، وسليمان طلاقي، وسليمان معتوق، وعبدالله الضبيب، والسيد عبدالله يحيى جفري، وأحمد مخلص، وعلى هندية، وشرف جمال، وأحمد نسيم، وعبدالله ستر، ومعتوق شريف، ومعتوق جاوه، وكان الأول على الفصل (البرنجي) عمر فقيه، وكنت الثاني (الإكنجي).

وكان عمر فقيه يَكِل إليَّ ضبط الفصل بعد الفسحة وقبل دخول المدرّس الحصة، وكانت بينه وبين السيد عبدالله جفري صداقة حميمة، وصارا لا يدخلان الفصل إلا قبل مجيء الأستاذ مباشرة، وفي أول امتحان، بعد انتقالنا إلى السنة الأولى الابتدائية أصبحت الأول على الفصل.

أستاذي محمد محمود مرداد :

حين كنت في السنة الثالثة التحضيرية، وهي أول سنة لي في المدرسة السعودية كان من بين أساتذتنا الأستاذ محمد محمود مرداد، وهو رجل فاضل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، يشع نور الإيمان من وجهه ـ رحمه الله ـ .

وكان يدرّسنا القرآن والتجويد، وكان جاداً في تدريسه، حازماً في ضبط الفصل، ومجيداً في ترتيب المنهج، ولهذا استفدنا منه فائدة تامة.

وكل ما أعرفه اليوم عن التجويد هو مما تعلمته منه في تلك السنة. ولم يكن متقناً لدرسه فقط؛ وإنما كان متقناً لتدريسه كذلك.

أستاذي أحمد حِدَّاوي :

وأستاذنا الثاني الذي لا أنساه، هو الأستاذ أحمد ابن عبدالله حداوي ـ رحمه الله ـ، أخو عباس حداوي زميلنا، هذا الأستاذ رجل فريد في طريقة تدريسه، كان مقرَّر السيرة النبوية في السنة الثالثة التحضيرية لا يزيد عن ثمان صفحات أو عشر، ولكنه كان يقرأ لنا من أمهات كتب التاريخ مثل تاريخ الطبري وغيره، وكنا نخرج بحصيلة يخجل منها كتابنا المقرر، الذي لا نكاد ننظر فيه، لقد حفظنا تفاصيل وقائع لم ترد في كتابنا، ولا يمكن، لكثرة تفاصيلها، أن تَرد، وحفظنا أسماء أشخاص من الصحابة وغيرهم، وأنا أعد حصيلتي اليوم في التاريخ هي من بقايا تلك القراءات، رحمه الله رحمة واسعة، فقد كان

يهدف دائماً إلى أن يجعلنا نتشبع بروح التاريخ في عمر يسهل زرعه بالمعارف المتقدمة في أذهان ما تزال بيضاء تحتاج إلى من يملؤها بما يفيد. وكأني أسمع إلى اليوم نغمة صوته.

مدرستنا السعودية :

مدرستنا السعودية في المعلاة، إحدى المدارس الحكومية الست في مكة المكرمة، وكلها تقف عند السنة الرابعة الابتدائية، وهي العزيزية، والسعودية، والفيصلية، والرحمانية، والمحمدية، والخالدية. وكان بناء مدرستنا جميلاً، وقد صمم أساساً مدرسة كما يبدو، ولعلها بُنيت في أيام حكم العثمانيين، ولسعَة فصولها، وحس تخطيطها كانت تستوعب أعداداً كبيرة.

وكانت تقع على شارع رئيس واسع، في خارج مكة، تقريباً، في المعلاة، ولم يكن حينذاك بجوارها ألا دكاكين قليلة، ولكنها ليست من الدكاكين ذات الضوضاء المزعجة.

ومن ميزاتها، كما كنا نفاخر، أنها موجودة على طريق الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وهو «نازل» للحرم أو «طالع» منه.

وفي الفسح لا يحتاج الطلاب للخروج للشارع، ففيها حوش كبير يتسع لكل طلاب المدرسة، وصالة في الدور الأرضي كنا نصطف فيها في الصباح، نحن طلاب التحضيرية، وكان بعض طلاب الابتدائية في الطابق الثاني يصطفون معنا.

مدير المدرسة :

كان مدير المدرسة الأستاذ علي جعفر - رحمه الله - رجلاً مهيباً، ولكنه محبوب، وكان مديراً ناجحاً، وكان مساعده الأستاذ عبدالغني زمزمي - رحمه الله - رجلاً حازماً، وإدارياً تنفيذياً مجرباً، يعرف كيف يتعامل مع الطلاب، والأستاذ على جعفر انتقل معنا، عندما انتقلنا إلى السنة الثالثة الابتدائية في القلعة، وكان يدرّسنا القرآن، وكان مجوّداً، وصوته جميلاً.

ومن تقواه كان ينزل من مكان الأستاذ، ويجلس على كرسي أمام صفوف كراسينا، ويجلس يقرأ القرآن ويقرؤنا، وكان يضع يده بين المصحف وفمه، خوفاً من أن يخرج من فمه رذاذ، دون قصد،

إلى المصحف ـ رحمه الله ـ فصورته مشرقة، وحبه في القلوب، بوجهه السمح، وصوته الخافض الجميل.

وله ـ رحمه الله ـ أخ في سننا اسمه أحمد، أظنه توفي صغيراً، وللأستاذ عليّ صديق من المدرسين اسمه صالح كاشف لا يُرى أحدهما إلا مع الثاني، كانا لا يفترقان. وقد وجدت بين أوراقي ورقة تدل على أن وفاته كانت في عام ١٣٦٢هـ، وفي الورقة رثاء له من الشاعر المعروف محمد عبدالقادر فقيه.

يقول فيها:

خبر تطاير فاستطار جناني

واستقبلته الناس بالنكران

وكأنهم ظنوا إذا ما أنكروا

أن يُرجع النكران ما هو فاني

لم ينكروا كأس الحِمَام وإنما

صعب عليهم مصرع الشبان

يا أيها الزهر النظير ألم تجد

في القرب ما يغني عن الهجرانِ

فرحلت والأوطان فيك أسيفة

والصحب ذاهلة بكل مكانِ

لغة العروبة قد بكتك وإنها

لجديرة بالمدمع الهتانِ

ولأنت أخلق من بكته مواطن

وأحق من يُرثى بكل بيانِ

إن أنس لا أنس مواقفك التي

كانت مزيجاً من قوى وحنان

مسترسلاً في منطق يسبي النهى

ويقوّم الفصحى بكل لسان

هـذه دموعـي يا عـلـيّ بعدمـا
جفّت مدامع مقلتي وجنـاني
ولئن بكيت فإنما أبكي الوفا
والحافظين العهـد للإخـوان
فاذهب كما ذهب الألى صفحاتهم
غـراء قـد ملئت من الإحسـان
وجزاك ربك خيرما يُجزى بـه
من عاش للفصحى وللفرقان

ولعلّي نقلتها من «أم القرى»، أو أخذتها من زميلي معالي الأستاذ عمر فقيه، ونحن على مقاعد الدراسة في المرحلة الابتدائية، ومحمد أخو عمر الأكبر.

رثاء الأستاذ علي حمصي [illegible] ١٣٦٢ [illegible]

حين تغادر فاستطار جنانا — واستقبلته الناس بالنكران

وكأنهم ظنوا إذا ما أنكروا — أن يرجع الإنكار ما عرفانه

لم ينكروا كأس الحمام وإنما — صعب عليهم مصرع الشبان

يا أيها الزهر النضير ألم تجد — [illegible] ما يغني عن الإعلان

في [illegible] وطنه [illegible] — ويصيب [illegible] بكل مكانه

لبنان [illegible] بكت وإنما — [illegible] بالدمع [illegible]

وذكرت أفضل [illegible] موطن — وأصون [illegible] بكل بيانه

[illegible] مواقفك التي — كانت [illegible]

[illegible] منظر [illegible] — ويقوم المقصي بكل لسانه

هذي دموعي [illegible] — [illegible] مدامع [illegible]

ولقد بكيت [illegible] الوفاء — والعاطفين [illegible]

فإذا [illegible] ذهب [illegible] — [illegible]

وعزاك [illegible] — ومن عاش للفصحى وللفرقان

[illegible]

[illegible]

الأستاذ عمر حمام:

الأستاذ عمر حمام ـ رحمه الله ـ من أساتذتنا في المدرسة السعودية، وقد درّسنا في السنة الأولى الابتدائية، ويماثلها اليوم في عدد السنوات السنة الرابعة الابتدائية. وكان ذا هندام جميل، و«طاقيته» (كوفيته) من النوع الجاوي، وهي تشبه شكل القارب، «منشّاة» كأنها قالب.

وكان ـ رحمه الله ـ مدرّساً حازماً، «يضبط» الفصل حتى ليشعر المرء وهو فيه أنه ليس هناك إلا هو، شرحاً للدرس، أو حركة نشطة بين الصفوف وأمامها، وكنا نحبه كثيراً، لأننا لا نخرج من الفصل إلا بفوائد جمّة، ولعله مثل بقية المدرسين بعد أن درس في الكتّاب درس في مدرسة الفلاح أو

الصولتية، ولابد أنه كان التحق بحلقة من حلقات الحرم، حلقات العلم والبركة، وليس هناك متعلم إلا وقد مرّ بإحداها. وكان الحرم عامراً بها.

السيد عبدالله شطا:

السيد عبدالله شطا من خيرة المدرسين، وكنا نحبه حباً جمّاً، لأنه كان يمازحنا دون أن يفقد هيبته، وكان من الذين يعتنون بهندامهم، وكنا نشعر أنه ابن أسرة كريمة، لحسن تصرفاته، وحسن معاملته للطلاب، ولا أذكر أنه جازى أحداً، أو كتب اسم أحد في دفتر الجزاء، وكان يُقرب المتقدمين، ويُشجع المتأخرين، بوسائل مختلفة، منها زيادة الدرجات، ومنها أبيات شعر ينظمها أحياناً، وأذكر الآن من هذه الأبيات ما يخصني.

كنا أربعة في الترتيب عندما انتقلنا من السنة الثالثة التحضيرية إلى الأولى الابتدائية، وكان عمر فقيه الأول وأنا الثاني وعبدالله ستر الثالث وأحمد نسيم الرابع، فنظم ـ رحمه الله ـ البيتين الآتيين:

عُقلاء الفصل منكم أربعة

أعني الفقيه والخويطر يتبعه

والستر ثالثهم وبعد نسيمنا

والكلّ منهم أتبعه

ثم بعد شهر «دَرْدَبْتُ» عُمَر، وصار الثاني، وأعرف سبب عدم اهتمامه بالدراسة، وهو بلاشك أول من يعرفه ويعرف تفاصيله أكثر مني، لكني لست في حل من كشف السر (أعانني الله على عمر عندما يقرأ هذا)، وسأتحدث عن تبريزه فيما بعد،

وطلوعه الأول على تحضير البعثات.

أنا وعمر فقيه :

عندما وصلنا مكة، وجاء وقت دخول المدرسة، أرسلني والدي مع شخص لنشتري ما نحتاجه للدراسة، شنطة ومراسم وبرايات ومسّاحات ودفاتر وكتب، ولما اشترينا هذه الأشياء كانت (المراسم) ماركة «أبو تمساح»، وهي أجود الأنواع حينئذ، وكان ما اشتريناه درزناً كاملاً، وابتعنا كذلك درزن برايات، ودرزن مسّاحات، وأخذتها جميعاً للمدرسة، فلما فتحت الشنطة، ورآها عمر، صرخ في وجهي، وقال:

أنت مجنون؟! تحضر هذه الأشياء كلها! إنهم

سوف يسرقونها منك في أول فسحة، فاجلس عندها، وسوف أجلس معك، وغداً لا تحضر إلا واحدة من كل صنف، ولعلها تسلم.

كانت نصيحته أخوية صادقة، ودامت الصحبة بيننا منذ ذلك اليوم، وعلى الرغم من أني كما قلت «دردبته» من (الإبرنجية) إلا أن هذا لم يؤثر في صداقتنا لأني لم أكن أنا السبب، وإنما هو، وبقيت الصحبة في مكة وفي الطائف، ثم في مصر، وفي الرياض، واستمرت إلى اليوم.. حياه الله!.

محيط المدرسة :

كان محيط المدرسة هادئاً إلا من سيارة كانت تمر بين آن وآخر، وكان بجوار المدرسة رجل يبيع

فولاً، وعلى بعد عشرين متراً تقريباً يأتي الخريق، وفيه حركة نوعاً ما، وفيه ورشة، وعدد من البخارية الذين يصنَعُون من (لساتك) كفرات السيارات أحذية، وهي تتحمل كثرة الاستعمال ولا تبلى بسرعة، وكان أمام المدرسة بيت سمو ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز، الذي تحدثت عن الأنتن الذي على سطحه، وهناك كذلك دكان صاحب اليغمج.

والمدرسة تخدم الطلاب الذين يسكنون في شعب عامر، وفي السليمانية، وأول الفلق، والمعابدة، وأغلب طلابها من ميسوري الحال، وأغلب ولاة الأمور إما موظفون، وهم القلة، أو أصحاب دكاكين، وهم الأغلب.

في المدرسة نفسها :

في المدرسة صالتان واسعتان إلى حد ما، الصالة الأولى في الطابق الأرضي، والصالة الأخرى في الطابق الثاني. وفي الطابق الأرضي كنا نصطف صفين، التحضيري في جهة والابتدائي في جهة، وكنا ننشد الأناشيد مجتمعين، وأذكر من بين الطلاب، لعله في الثانية الابتدائية، علي غسال، وكان ينشد أمام الطلاب، بطلب من الأستاذ عبدالغني زمزمي، معاون المدير، أبياتاً حماسية للمتنبي.

ومن الطلاب المتقدمين في الدراسة أحمد الجفالي ـ رحمه الله ـ، وعبدالله قاري، ابن مدرسنا محمود قاري، الذي أصبح معاوناً للمدير ثم مديراً للمدرسة، وأذكر أن أحمد وعبدالله كانا يَدْرسان

اللغة الإنجليزية خارج المدرسة، ومعرفتي بذلك جاءت من أن والد عبدالله كتب ورقة لأحمد، يخبره أن موعد الالتقاء بينهما قد تغير، مع تحديد موعد جديد، وسلّمني إياها لأذهب بها إلى بيت أحمد.

وكنا نصلي في صالة الطابق الثاني صلاة العصر، وبعد الصلاة يُقرأ دفتر الجزاء والثواب، وهناك يُكرم المرء أو يُهان، والجزاء يغلب على الثواب. وأذكر أن دفتر الجزاء سُرق في مرة من المرات، واتهم بسرقته من سوّد اسمه صفحات هذا الدفتر، ولا أريد أن أذكر اسمه، وبعد مدة اكتُشف الدفتر ممزقاً تحت نافذة غرفة المدرسين، حيث يوجد ماء آسن هناك، وضاع الدليل وبقيت درجات الطلاب في الأخلاق والسلوك، في آخر السنة، لم تمس. ومن

اتُّهم أنكر علناً، وأقرّ ضمناً ببعض حركات أتى بها، لأن سرقته دفتر الجزاء، والتخلص منه لا يخلوان من مظهر بطولة، وهما كذلك دليل شجاعة، يود كل طالب أن يتصف بها دون أن تسجل عليه جريمة السرقة صراحة. وأنقذ الله الطالب من الجزاء احتمال وجود عدوٍّ له رأى سجل مخالفته في الدفتر، وتأكد أنه عند اكتشاف اختفائه سوف تتجه التهمة إليه.

فرج اللَّه قريب:

مما يدخل في دائرة الحديث عن محيط المدرسة قصة رجل فقير، محني الظهر، وبيده عصا، كان يأتي كل يوم، في وقت معين، من حي المعابدة، متجهاً للمعلاة، وكان يردد طوال الوقت، وهو يسير في طريقه: «فرج الله قريب، وسائل الله ما

يخيب». يسير قليلاً منحنياً، ثم يقف، ويعتدل بقدر ما يستطيع، وينطق هذه الجملة، ثم يستأنف سيره بانحناء زائد.

وكانت هذه الجملة لا تريحنا، لأنها تذكرنا بأمر يقلقنا كلما تذكرناه، وهو أن المعتدين على الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في الحرم سنة ١٣٥٣هـ، سُمع أحدهم، وهو ينهض من جوار زمزم، يقول: «فرج الله قريب»، ويتجه للملك عبدالعزيز عند الحجر الأسود، لهذا كنا نشعر بقشعريرة كلما مر هذا الرجل وقال هاتين الجملتين أمام مدرستنا، لأنه يذكرنا بجملة المعتدين على الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ.

عم سلطان :

عم سلطان هذا هو بواب المدرسة، وهو رجل أسمر، كبير السن، موكول إليه أمر الباب، وكنس الصالات والفصول، والحمامات، وكان عنده من يستعين به ويساعده، وكان صديق الطلاب، يغطي على عيوبهم، وكان يعطف على معتوق محمد جاوه ـ رحمه الله ـ لأنه يتيم، والويل لمن يؤذيه، من المدرسين أو الطلاب، ومن حسن الحظ أن معتوقاً لا يؤذي أحداً، وكان تلميذاً أكثر من مبتسم، عندما يضحك ينفجر بالضحك، وضحكته ـ رحمه الله ـ مميزة. إذا (زوّغ) «فرك» طالب غطى على (تزويغه) عم سلطان، وإذا أحضر طالب طعاماً وضعه أمانة عند عم سلطان، حتى لا يقترب منه طالب، فيأكله، أو يأكل منه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

فراش المدرسة :

هو فراش المدرسة، وهو كذلك مراسل المدرسة، وهو النذير وهو البشير، بيده وسيلة الإفراح، وبيده خبر الحزن، يذهب في وقت العصر إلى البيوت، لينقل لولي الأمر تقصير ابنه، وليطلعه على دفتر الجزاء، وعلى تكرار مخالفات ابنه، وعلى إزعاجه، وهو يحمل نتائج الامتحانات بدفاترها، ويوصل الشهادات، وله إكرام من هذا ودعوات،وعليه شتائم ولعنات من آخرين، كان بالنسبة لهم غراب البين. وأهم ما يقوم به الفراش هو متابعة غياب التلاميذ والتأكد من أن لهم عذراً، وأن أهلهم على علم بغياب أبنائهم، وكانت رؤيته مقبلاً بالنسبة للمخالف نذير سوء، ولو كان بإمكانه منعه لمنعه، ولكن الر جل أمين على عمله، لا يحابي ولا يداجي.

المضاربة (العراك) :

مع أن النظام في المدرسة مسيطر، فقد كان باستطاعة الطالب أن يتشاتم مع آخر كما يحلو له، ولكنه قلّ أن يمد يده على خصمه، لأن الجزاء سوف يكون مؤكداً، وقد يؤخذ فيه المظلوم مع الظالم، بدون تفريق بينهما، إما لأن الوقت أثمن من أن يضاع في التحقيق، والوصول إلى كنه الأمر، أو لأن الحجج متماثلة، والشهود لكل فريق جاهزون. فإذا وصل الأمر بين اثنين إلى مرحلة مد اليد أو الرجل، قال أحدهما للآخر: «أندر لي برّاً» أي دعنا نخرج خارج المدرسة، ونصفي الحساب بيننا هناك، فيوافق الآخر على أن يكون ذلك بعد انتهاء الدراسة.

ويبدأ التحزب بين أنصار هذا وأنصار ذاك، ويبدأ الحطب الجزل يُعد لإضرام النار، ويبدأ الخصمان، ينظر أحدهما إلى الآخر شزراً، وقليلاً ما كان الأمر ينتهي عند هذا الحد، فيهدأ الحال بعد أن يتدخل عقلاء الطلاب في الأمر، أو بعد أن ينسحب أحدهما بعد أن هدأت عنده سورة الغضب. وفي الغالب يُنجز حرٌّ ما وعد، ويتقابل الإثنان خارج المدرسة، في مكان يكون نوعاً ما بعيداً عنها، وعن أعين كثير من الناس.

ويتناطح التيسان، ويتقابل الكبشان، وتسن الأضراس، وترمي العيون بشررها، ويُرفع طرفا الثوبين ويربطان، تمهيداً لسهولة الحركة، وعدم عرقلة الثوبين للإلتواء والاحتواء، وقد يُخلعان.

وهناك صفّان من موقدي النار، ومشعلي لهبها؛ كلمات التشجيع تترى من هؤلاء وهؤلاء، حتى يدمي الخصمان بعضهما بعضا؛ فهذا أنف ينزف، وهذه شفتان متورمتان، وقد يمر رجل، فيتدخل، ويفترق الإثنان، كل مع حزبه، والوعيد مستمر على أشده، ومن المؤكد أن أحد الفريقين سعيد بإيقاف الصراع، لأن نهايته ليست في صالحه، أو أن كليهما فرح بإيقافه لأن قوتهما قد استنزفت.

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد، فقد ينجح إبليس في جذب الفريق بكامله إلى مصادمة الفريق الثاني، وتبدأ معركة حامية، وطيسها يزيد على وطيس الأولى، وتكثر الدماء والجروح، ويتعقد الأمر، وتنفك المعركة عن وعد ووعيد، وتهديد أن أولاد

الحارة كلها في الليل سيقومون بمهاجمة أولاد الحارة الأخرى، وتُضرب المواعيد لذلك، ويحدّد المكان، وينجح إبليس نجاحاً آخر، وتلتقي الحارتان، ويبدع «قعاطبة» كل حارة في الكر والهجوم، ولا يحدث هذا في مكة وحدها، بل مثل ذلك تماماً يحدث في عنيزة، مع اختلاف في جملة الوعيد فبدلاً من جملة «أنْدر لي بَرّا» هناك في عنيزة «إن كان إنك ولد أبوك تطلّع».

وقد تحداني في السنة الثالثة التحضيرية طالب، ولكن لعلمي بتداعيات هذا العمل لم أقبل التحدي، ولم يعجب موقفي هذا فريقي فناب عني (قعطبة) شعب عامر ضد (قعطبة) شعب علي، ولا أذكر من فاز.

أساتذتنا في المرحلة الابتدائية :

في السنة الأولى والثانية الابتدائية كنا في المدرسة السعودية، فلما نجحنا من الثانية، وكان المفروض أن ننتقل إلى الثالثة في مدرستنا، ولكن الثالثة والرابعة نُقلتا إلى القلعة، ونقلت كل ثالثة ورابعة في المدارس الحكومية إلى القلعة.

وأساتذتنا في المدرسة السعودية، قد ذكرت بعضهم، وها هم أولاء جميعاً، وأرجو أن لا أكون نسيت أحداً منهم:

السيد عبدالله شطا، والأستاذ عمر حمام، والسيد محمد سعيد الدباغ، وإبراهيم الهويش، وصالح كاشف، وعبدالرحمن ميمني، وسعيد خفاجي، وجميل شقدار، وأحمد باخيور.

كان الأستاذ جميل شقدار ودوداً هادئاً، يحب الطلاب ويحبونه، وكنّا نتطلع إلى درسه، ولا نحمل همّاً لدروسه في الامتحانات، وكان ذا هندام حسن، وكانت كوفيته جاوية، وعندنا أنها مظهر تقدم.

عقاب بلا ذنب:

كان العقاب الأول الذي عوقبت به دون ذنب من أستاذ عرف عندنا أنه عصبي، وصاحب مزاج متقلّب، وكان إذا غضب من أحد «فرصع» عينين مخيفتين. وهذه هي قصة العقاب الظالم الأول.

كان يُطلب منا عند القراءة أن نقوم من مقاعدنا واحداً واحداً، فطلب هذا الأستاذ أن أبدأ في القراءة بصفتي رئيس الفصل، فخرجت أمام الصف وقرأت، ولم أخطئ، وتلاني آخر، ثم ثالث، وكلهم أجادوا

إلا واحداً كان (راسباً) من العام الماضي، فغضب منه الأستاذ ـ رحمه الله ـ وقال: مدّ يدك.

فمدّها الطالب، فضربه بالعصا على يده.

فبكى الطالب بكاءً مُرًّا، وقال:

إنهم كلهم لم يقرؤا أحسن مني.

ويبدو أن الأستاذ ندم على ضربه، وقد أثر فيه بكاؤه، وهو أكبر من في الفصل سناً، وكان بديناً، ومثل هذا بكاؤه يؤثر، وأظن أننا كلنا تأثرنا ببكائه.

فقال له الأستاذ: مَنْ من الطلاب لم يقرأ جيداً؟

قال: الإبرنجي، رئيس الفصل، الخويطر.

فقال لي الأستاذ: تقدم.

فتقدمت، وقال لي:

إبسط يدك إلى الأمام وضربني على راحة يدي ثلاث ضربات، وسط دهشتي ودهشة كل من في الفصل، وكان بالإمكان أن أبكي أنا كذلك، ولكني لم أفعل، ولعل السبب أن الفصل كله استغرب عمل المدرس، وحكموا عليه بأنه رجل غير عادل.

وعندما خرجنا للفسحة كان الحديث بيننا عن هذه الحادثة، وسارع الطالب الذي أوقعني في يد هذا المدرس يعتذر، ويحلف أنه لم يكن يتصور أن الأستاذ سيصدق دعواه فيضربني.

والعقاب الثاني حدث ذات يوم ونحن ننزل من الطابق الأعلى إلى الطابق الأرضي، وكان هذا الأستاذ نفسه ـ رحمه الله ـ ينزل أمامنا، وأحد الزملاء خلفه (ع.هـ)، وأنا خلف الزميل ومعنا آخرون،

وكان هذا الزميل يمزح مع آخر خلفنا، وضحك ضحكة عالية، سمعها الأستاذ، فسأل:

من «المزغود» الذي ضحك؟

فسارع هذا الزميل، وقال: الخويطر.

وبدون تثبت، ودون طلب شهود طلب الأستاذ مني عند نهاية الدرج أن أبسط يدي لأنال على راحتها ثلاث ضربات.

وأخذ هذا الزميل يبتسم، وعدّها شطارة أنه أبعد عن نفسه العقاب، وما كان من الجميع هذه المرة إلا أن ضحكوا فعلاً، لأن ما يأتي من هذا الأستاذ لم يعد مستغرباً، وأصبحت هذه الذكرى جميلة، فقد قابلت هذا الزميل في منى عندما كنت وزير صحة، وتذاكرنا هذه الحادثة، التي انقلبت مرارتها حلاوة.

جزى الله هذا الزميل خيراً، فلو لم يفعل ما فعل من إيقاعه بي لم تكن هذه الصفحات، والجميل أن هذا العقاب لم يدخل دفتر الجزاء.

وهناك واقعة ثالثة ولكنها لم تكن معي، ولم يكن لي يد فيها، ولا أنا طرف فيها، ولكني مشاهد لها:

بعد صلاة عصر أحد الأيام، وفي المدرسة السعودية، وقبل أن نذهب إلى بيوتنا، يُقرأ عادة دفتر الجزاء، ويجازى كل مذنب حسب ذنبه، هذا بضربة أو ضربتين أو ثلاث على راحة اليد، وذاك بوضعه في «الإحرام»، والإحرام هو الغترة (الصمادة) وهي غطاء الرأس، ووضع الطالب في الإحرام هو أن تُربط قدماه بطريقة معينة بالإحرام، ويُمسك طالبان طرفيها، ويرفعان القدمين فيُضرب الطالب

على أخمصي القدمين ضربات معدودة، وهي تنوب عن الفلقة (الفلكه).

قرئ الدفتر كالمعتاد في عصر يوم من الأيام، وجوزي من جوزي، فلما وصل الجزاء إلى طالب في السنة الثالثة الابتدائية، وضُرب الطالب بكي، وقال للأستاذ منفذ الجزاء:

إني لم أكن وحدي، وإن أخاك (ح. د) كان معي ولكن مراعاة لك، ولقريبكما صاحب المركز المهم، لم يوضع اسم أخيك في الدفتر.

فنادى المدرس العصبي، منفذُ الجزاءات، أخاه، وضربه مثل ما ضرب الطالب الذي بكى، وقد أدهش ذلك الواقفين، والأستاذ هذا هو الذي ضربني من قبل.

ودارت الأيام:

ودارت الأيام، وانتقلتُ من المدرسة السعودية إلى القلعة، ومنها إلى مصر، ومنها إلى انجلترا، ومنها عدت إلى المملكة، وكيلاً للجامعة، ثم رئيساً للديوان المراقبة، ثم وزيراً للصحة، ثم وزيراً للمعارف. وفي يوم من الأيام وجدت نفسي فجأة أمام استاذي داخلاً إلى مكتبي، وقد كبر، فاحتضنته، ولم نأت إلا على ذكر ما هو حلو ومشرق، وعرفت منه قصة عمله إلى أن تقاعد. وكان هناك مشكلة في أمر تقاعده قد أقلقته، وكنت سعيداً سعادة لا توصف عندما علمت أن حلها بيدي، وأن الأمر سهل - رحمه الله رحمة واسعة - فما كا عمله معنا إلا اجتهاداً في التربية رآه صواباً. وأقول الآن أنه ربما كان عادلاً في عقابه

لا لأننا نستحق العقاب على ما عوقبنا عليه، ولكن على عقاب لا يدري عنه إلا نحن، وهذا عقاب الله لنا، لأننا لم نعاقب عليه في وقته. والله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

زميلنا المطوّف:

كان لنا زميل «خفيف دم» (ع. م)، نحبه كثيراً، وكان رقيق الحال، وكان يدرس معنا في النهار، ويُطوِّف في العصر والليل، ولهذا فدرجاته دائماً متدنية، ولكنها تكفي لنجاحه، وقد تخرج معنا من الثانوية. وكان يعرف الوالدة جيداً، فإذا نزلت للحرم استقبلها وطوّفها، وتعده أحد أبنائها. وكان حاذقاً وذكياً، إلا إنه ليس له جَلَد على الدروس.

وكنا في إحدى المرات ندرس على الأستاذ إبراهيم السويل علم النفس في السنة الثانية في المعهد العلمي السعودي في القلعة، وكان الأستاذ إبراهيم ـ رحمه الله ـ يملي علينا، وكان سريعاً في الإملاء، فلاحظ أن زميلنا هذا لم يكن متنبهاً، فقال موجهاً الكلام إليه أثناء الإملاء:

يا فلان انتبه!

فمع العجلة كتبناها ظنّاً منا أنها من النص، ثم تنبهنا لخطئنا. ولزميلنا هذا قصص مع الحجاج كان يرويها لنا، وهي تُري كيف كان يستخرج منهم النقود «بفهلوة». وزميلنا هذا قاص بارع، يشد السامع، ويسبح به في الخيال.

هذا الزميل الحبيب هو الذي مزّق دفتر الجزاء

في المدرسة السعودية، عندما كنا في السنة الأولى الابتدائية، ورماه في «الرجغ» تحت نافذة الإدارة، في الحوش، ومعروف لنا الداعي لهذا، لأنه كان أكثر من جوزي من الطلاب، ولكن لم يكن هناك دليل، رغم أن الشبهة حامت حوله، ولكن ردّه كما قلت: «أن هناك من كاد له، ورمى الدفتر، متأكداً أن التهمة سوف تتجه إليه هو»، وهذه الفكرة أنجته، ولم يكشف هذا الزميل الأمر إلا بعد أن مرت على الحادثة سنون.

وقد افترقنا لما تخرجنا من المعهد، فمنا من سافر في إحدى البعثات، ومنا من التحق بالعمل في إدارة من إدارات الدولة، أو في شركة أرامكو. ولم أر هذا الزميل إلا في أوائل الثمانينات وأنا وكيل الجامعة

حينئذ، وكنت في طريقي بالطائرة من الرياض إلى جدة، فتعارفنا، واستعدنا الذكريات.

أنا وزملائي اليوم:

مرت عشرات السنين على المرحلة الابتدائية والثانوية والجامعية، ولم أعد أعرف شيئاً عن كثير من زملائي، هل هم أحياء أو لاقوا وجه ربهم؟ وكنت عندما التقي بأحد زملائي لا أسأله مباشرة عن فلان أحيٌّ هو أم ميت، وإذا قابلت أحد أفراد أسرة كان منها زميل لي، فإني أدور في كلامي من بعيد لأعرف هل هو حي أو متوفًّى، وما أكثر ما جوبهت بالرد عليَّ بقول: توفي، أو رحمه الله، أو أعطاك عمره، أو يطلبك الحِلّ، أو اختاره الله، كلمات مختلفة ولكن مؤداها واحد.

مكتبة في المدرسة :

في الصالة التي في الطابق الثاني كانت تقام الصلاة، وتُجرى الامتحانات، ويبدو أن مديرية المعارف في مرحلة من مراحل تطويرها للتعليم أرسلت للمدارس كتباً، فوُضعت في رفوف في هذه الصالة، ليقرأها الطلاب قبل أن تقام الصلاة، ولكن الوقت كان قصيراً، مما جعل استفادة الطلاب منها قليلة، ولكن الفائدة الكبرى من هذه الكتب كانت للمدرسين، وهم أولى، فالمدرس الذي لا درس عنده في ساعة من الساعات يستطيع أن يملأ وقته بالقراءة في أحد هذه الكتب. ويجب أن ينظر إلى هذه الخطوة على أنها مرحلة مهمة في التطوير، وقد تتالت الخطوات التي اتخذت في الجوانب المختلفة

لتطوير التعليم، فجمع المدارس في القلعة تطوير، تزامن مع إنشاء تحضير البعثات، وتنظيم المعهد العلمي السعودي، والبدء في التفكير في الابتعاث المنتظم، ثم إنشاء المراحل المتوسطة، ثم الثانوية في مختلف المدن.

حمد وعضّ يد المدرس:

أخي حمد منذ صغره لا يقبل الأمور التي يرى أنها معوّجة، وفي حصة من الحصص، وهو في السنة الثانية التحضيرية، أول سنة التحقنا فيها بالمدرسة بمكة، ضرب أحد المدرسين أخي حمد، وعدّ حمد هذا ظلماً، فأمسك مسطرة المدرس التي ضربه بها، وعضّ يده، و «انقلبت الدنيا»، وجاءوني في فصلي في السنة الثالثة يخبروني أن أخي حمد عضّ يد

المدرس، وأنه الآن في عراك معه. وكان الفصلان متجاورين.

وذهبت مسرعاً إلى هناك، ورأيت المنظر، وكدت أضحك لولا جدية الموقف، وأخرجت حمد، وأخذته إلى البيت، ويبدو أن التلاميذ كانوا في صف حمد، إما لأنه محق، وشعروا أنه مظلوم، وإمّا كرهاً في هذا المدرس، وكان والدي حينئذ مدير المالية في مكة، وهو مركز كبير، ويبدو أن الإدارة والمدرسين لاموا المدرس، وندم المدرس على فعله. أما الوالد فأعطاني «بقشة» للمدرس، أظن أن فيها مشلحاً وما إليه هدية للمدرس، وصَلُحَ الأمر، وصار حمد من أقرب التلاميذ لهذا المدرس، وصار يرعاه رعاية خاصة، ولعل السبب أنه عرف طبيعته، وأنه

قدّر تصرف الوالد الذي أقر ضمناً أن ابنه أخطأ، وأظهر تقديره للمدرس بالهدية التي أرسلها إليه.

عندما أتذكّر الآن هذه الحادثة أتساءل في نفسي، هل تذكّر الوالد حينئذ حادثة ضربه في الكتّاب في عنيزة من قبل «المطوع» الحيدان؟ تُرى هل هذه الأمور تورث؟! أبناء حمد وصلوا الجامعة الآن والحمد لله، ومنهم من تخرّج، وقد تعدوا مرحلة عض يد المدرسين!!

مديروا المدرسة ومعاونوهم:

كان مدير المدرسة الأستاذ علي جعفر ـ رحمه الله ـ وكان معاونه الأستاذ عبدالغني زمزمي ـ رحمه الله ـ، ثم نقل الإثنان إلى مكان آخر في التعليم، وحل

محل المدير الأستاذ محمد بخش ـ رحمه الله ـ، وهو رجل محبوب مثل الأستاذ علي جعفر، وعندما انتقلنا للقلعة وجدنا الأستاذ علي جعفر ـ رحمه الله ـ هناك، وكذلك الأستاذ عبدالغني زمزمي.

وعمر فقيه مرة أخرى :

ذكرت فيما سبق طرفاً من أمور عمر فقيه الدراسية، وكيف أنه لم يعد يهتم بالدراسة والدروس، ولكن الأمر بدأ يتغير بعد أن سافرنا إلى الطائف في الصيف، والتحقنا بمدرسة المصيف هناك، ولكنه لم يبرِّز إلى أن وصل إلى السنة الرابعة الثانوية في مدرسة تحضير البعثات، وحينئذ انطلق من عقاله، فطلع الأول على طلاب هذه السنة، واستمر الأول في السنة الخامسة إلى أن ابتعث. والسر في كل هذا

لا يعلمه علم اليقين إلا عمر نفسه.

السنة الثانية الابتدائية :

انتقلنا إلى السنة الثانية الابتدائية، وكانت أعلى سنة في مدرستنا السعودية بعد أن نقل الصفان الثالث الابتدائي والرابع الابتدائي إلى القلعة، وكان لي في السنة الثانية منافس قوي، هو الزميل محمد علي بن صديق، وكنت الأول، وكان هو الثاني، وكان الوطيس حامياً بيننا، ففي بعض الأحيان لا يكون الفرق بيننا في الدرجات إلا خمس، وكان مجتهداً جاداً في دراسته، وله عمل في العصر، ولكنه لم يشغله عن دروسه. وكان محمد علي من خير من يقرأ القرآن بالتجويد، وكانت دفاتره منظمة ونظيفة، وخطه جميلاً، وذا قاعدة منتظمة حسنة،

وكان ذكياً ورزيناً، وعقله أكبر من عمره، وله فضل كبير عليَّ، وقد جعلتني منافسته، وإدراكي لقدرته، لا أتوانى في التحصيل والمذاكرة، وبهذا حافظت على الأوليّة. وأظن أنه لم يكمل دراسته فقد أخذه العمل عن الدراسة.

المدرسة السعودية بالطائف:

وأقبل الصيف، ونحن في المدسة الثانية الابتدائية، وانتقلنا إلى الطائف، في المدرسة السعودية في باب الريع، وكانت بجانب القشلة. وقد وجدنا كل الطلاب الذين جاؤا مصيفين في الطائف، من مدارس مكة المختلفة، قد التحقوا بها مؤقتاً، فكانت لذلك تعج بالطلاب، وأنا أستغرب الآن كيف تحمَّلت المدرسة طلابها والطلاب الوافدين إليها. وهي على

كل حال تشبه كثيراً في مبناها المدرسة السعودية في مكة، وقد يكون التصميم موحداً في المدارس المبنية في أيام الدولة العثمانية. وصادف هذا العام الدراسي عام ١٣٥٩هـ، وأضيف الطلاب الجدد إلى الفصول القائمة، كل حسب فصله في مكة.

لم تكن الجدية في الدراسة هي الجدية التي تعوّدنا عليها، فكثرة العدد، ومحاولة تثبيت النظام، والسيطرة على الطلاب كانت تأخذ وقت المدرسين، ولم يكن من السهل السيطرة على الطلاب، لأنهم كانوا أبناء الموسرين الذين يستطيعون أن يأتوا للطايف للمصيف، كان الطلاب من «أشقى» الطلاب، وأكثرهم عناداً، و «تفلُّتاً» من واجبات الدراسة. وكان مدير المدرسة هو الأستاذ خليل

كتبخانة، وهو أستاذ نشط وحازم، وكان معاونه الأستاذ حس صيرفي، مثله في الحزم والهيبة.

مشكلة بين طالب ومدّرس:

كان هناك طالب مهمل، وقليل أدب، وابن لأحد كبار رجال مديرية المالية بمكة، وقد حدث بينه وبين أستاذ ممن قدموا من مدارس مكة، ليدرِّسوا مدة الصيف، في هذه المدرسة، سباب ولا أذكر جيداً الآن هل ضرب المدرس الطالب، أم اكتفى بإخراجه من الفصل، وقد تأزّم الأمر، وحَمَل المدرس من جراء ذلك همّاً كبيراً، مع أنه من المدرسين الحازمين، ومن لهم هيبة في نفوس الطلاب، وكان «يعطينا» أنا وعمر فقيه دروساً جانبية ـ رحمه الله ـ وأذكر أنه لقننا بعض ما رجا أن نقوله فيما لو حصل تحقيق، وكانت

هذه الكلمات التي لقننا إياها في صالحه، ولكنها مجافية للحقيقة، فأحرجنا واحترنا، ولكن الله سلّم، وطويت المسألة وكفى الله المؤمنين القتال.

زملاؤنا في الطائف:

بقيت زمالتنا أنا وعمر فقيه في الطائف تتسم بالصداقة الحميمة، وكان معنا الشريف طراد العبدالله الحارثي ـ رحمه الله ـ وهو زميلنا في المدرسة السعودية في مكة، وهو من أهل المضيق، وذو لهجة محببة، وكان، على ما أظن، يكبرني بسنة، وكان أنهض مني جسماً، وكان والده وأعمامه وبعض أبناء أعمامه في الجيش، ثم التحق هو فيما بعد بالجيش إلى أن تقاعد، فانضم إلى السلك الدبلوماسي، وعين سفيراً في أكثر من بلد عربي ـ رحمه الله ـ.

وممن تعرفنا عليهم من الزملاء الذين كانوا من أهل الطائف، وملتحقين بمدرستها: أسعد أبو النصر ـ رحمه الله ـ والشريف صادق رفيق، وعبدالله عوني، واستمرت صداقتنا مع بعضهم إلى اليوم.

الطلاب والعقارب:

من مظاهر العبث، والانصراف عن الدراسة في هذه المدرسة في هذا الوقت من السَّنة ما شاهدناه مما يقدم عليه بعض الطلاب. كانوا يذهبون إلى «البرحة» التي بين الجبل في حي معشي والقشلة، فيجمعون بعض العقارب، ويضعونها في علب كبريت، ويطلقونها في الفصول، وبالذات على «منصَّة» المدرس. وكان هناك مدرس للخط خَيِّر جداً، وحبيب جداً، مجتهد في عمله، مخلص لفَنِّه. كان يحرص على أن يعلم

الطلاب حسن الخط، فيدعو أحدهم إلى الوقوف بجانبه، وهو يخط سطراً في أعلى «فرخ» الورق، لكي يقوم الطالب بتقليده إلى آخر الصفحة. فيأتي أحد الطلاب الأشقياء، وقد أعد عدداً من العقارب، فيطلق واحدة منها على كتف الأستاذ، فيفزع الأستاذ إذا انحدرت إلى صدره، فيسارع الطالب إلى قتلها، فيجزل المدرس له الشكر، ويظن أن سبب ضحك الطلاب هو فزعه، ولا يدري أن السبب هو نجاح زميلهم في إيقاع المقلب بالأستاذ.

صيد العقارب :

صيد العقارب في تلك المناطق سهل، خاصة في سفوح الجبال، يذهب الشاب بعد العصر، ويتعرف على جحر عقرب، فيصب فيه ماءً أو يحفر جحرها

فتخرج، فيأخذها، ويقطع شوكتها، ثم يربط ذيلها بخيط، ويرسلها إلى جُحرٍ آخر. فإذا وصلت إلى نهايته وفيه عقربٌ أخرى تقاتلتا، وأخرجت صاحبةُ السكن العقربَ المتطفّلة، وتعقبتها إلى خارج الجحر، فيطبق الشاب على هذه الجديدة، ويفعل بشوكتها ما فعله بالأولى، ثم يدخلها في جحر آخر، وفي الوقت نفسه يقوم زميله بإدخال العقرب الثانية إلى جحر ثالث، وهكذا، وبسرعة، تتكون حصيلة تصلح مقالب في المدرسة، وخارج المدرسة مع المدخنين، الذين يطلبون في المساء في وقت السمر أن (يولع) لهم أحدٌ سيجارتهم، فيبادر الشاب بتقريب علبة الكبريت، فتخرج العقرب، فيرميها في حجر (عب) المدخن، فيقفز هذا مذعوراً، وينفجر الحاضرون ضاحكين، وتنجح الحيلة.

الدراسة في رمضان في الطائف :

حل شهر رمضان ونحن في الطائف، فكنا ندرس ولا نشعر بالعطش أو الإجهاد، فالصيام لم يعقنا بحال من الأحوال عن الدراسة، ثم بدأ الناس بعد ذلك ينزلون إلى مكة، وتأخرنا نحن، وكان هذا التأخير بسبب عدم توافر السيارات، فقد كانت السيارات قليلة، والطلب عليها كثير. وكان تصادف أن الأستاذ خليل كتبخانه كان في مكة منذ أيام، لسبب أو آخر، ثم عاد إلى الطائف بسيارة «عراقي»، ومعه أسرته، وكان مع السيارة شخص جاء ليأخذنا إلى مكة، فنزلنا معه بهذه السيارة.

وكانت الدراسة في مكة قد بدأت، ومضى على بدئها ما يقارب الشهر، وأذكر أن من جملة من

تأخر من المدرسين في الطائف الأستاذ أحمد عبدالله فاسي، فدرّسنا بعض الدروس في هذا الشهر، وكانت المدرسة حينئذ هادئة، وطلابها يُعدّون على الأصابع.

من ذكريات الطائف:

للطائف ذكريات جميلة، ومن هذه الذكريات أن الطائف كان حوله سور في تلك الأيام، وكان للسور بوابات تفتح على الجهات الأربع، وكان من أشهرها بوابة شبرا. وعلى جانبي كل بوابة غرف للحرس، وعليها مقاعد مبنية من الحجر، يجلس عليها الحرس من العسكر، وكنا نجلس معهم بعد صلاة المغرب، وهم من غامد أو زهران أو بني مالك. وكنا نسمع منهم قصصاً جميلة، وأحاديث

ممتعة، وأذكر أنه في ليلة من الليالي، بعد صلاة المغرب، بدأ أحدهم ينشد قصيدة عامية قال إنها ألف بيت، وأذن العشاء، وبقينا بعض الوقت وهي لم تنته، وتركنا المكان وهو لا يزال ينشدها. ليت أنه كان هناك أجهزة تسجيل لسجلناها ولكانت هذه القصيدة ذخيرة، ولكان صوت منشدها مؤنساً.

لوري الخربز:

أخي حمد ـ حفظه الله ـ شمّه قوي، وأنا لا أشم البتة، وفي ليلة من الليالي، ونحن قاعدون مع حرس بوابة شبرا، أقبل لوري، فلما وازن قصر شبرا قال حمد: هذا اللوري المقبل من بعيد فيه خربز، رائحته وصلتني وأنا هنا، وكان في قوله هذا صادقاً، إذ تبين لنا حين وصل اللوري إلى البوابة أنه محمَّل خربزاً.

ولا يزال الأخ العزيز جميل خوجة يذكرني بتلك الحادثة، وعندما يريد أن يسأل عن حمد يقول: أين صاحب الخربز؟ أو كيف حال صاحب الخربز؟

وكنت دائماً أمنّ على أخي حمد بقولي: لقد تركت لك في رحم الوالدة شيئين حرمت نفسي منهما: الطول وحاسم الشم!!

أختي نورة :

هي الآن زوجة ابن عمتي عبدالله الحمد القرعاوي، أم طارق، وقد وُلدت في مكة بعد عام من مجيئنا إليها. وسبق أن ذكرت أن اسم نورة ارتبط بذهني بالمسنّات من السيدات، إلى أن وُلدت أختي نورة، فتغيرت الصورة، فقبلت التسمية الجديدة. ونورة اسم جدتي لأبي وجدتي لأمي، وبهذا فالاسم إذن لم يأت من بعيد.

وأنا أتحدث الآن عنها لأن لي معها ذكرى في الطائف. إذ أنها ونحن في الطائف كانت على وشك أن تُفطم من الرضاع، فإذا جاء وقت الرضاع أخذت تبكي، فأحملها وأخرج لأدور بها في الأسواق، ونقف طويلاً عند الطاحونة التي يبدو أنها تسليها، واستمرّ هذا الأمر عدة أيام، وكنت أحملها على كتفي الأيمن، فإذا تعبت نقلتها إلى كتفي الأيسر، وهكذا دواليك حتى تنام، وحينئذ أعود إلى البيت.

العيد في الطائف:

حل عيد الفطر ونحن في الطائف، ونصبت المراجيح والزينات، وكان منظراً يخلب الألباب على بساطته. وكانت المراجيح جذّابة، ولكنها تحتاج إلى مشاركين، فكنا نطمع من بعض أولاد جيراننا من

أهل الطائف أن يشاركونا، ولكنهم كانوا يتأَبَّون، فكنا نستضعفهم، ونستقوي عليهم، وهم أبناء أناس جادين في طلب الرزق، ولم نقلع عن محاولة الضغط على هؤلاء إلى أن أخجلونا في يوم من الأيام، وقالوا لنا: «اللعب ليس بالغصب»، فاكتفينا باللعب مع جيران لنا سوريين، ولد وأخته، يقربان من سنّنا، وقيل لنا إن والدهما مهندس يعمل في كهرباء قصر الحكم بمكة.

أنا وأبوا إبراهيم :

لا نعرفهُ إلا بهذا الاسم، وكان خرّاز أحذية بجوار بيتنا، وعنده «صَبيّان» (عاملان) يعملان معه، وله ابن في سن أخي حمد، وهو وحمد دائماً في عراك. وعنده رجل اسمه ابراهيم، أحد الرجلين

العاملين معه، وكنت أمزح مع إبراهيم هذا مزحاً لعله تعدّى الحدود، وذلك بتشجيع من زميله الثاني، وصرت في مزحي أكرر شيئاً كان يضايقه، وبتشجيع من صاحب الديوان، الذي كانوا يعملون عنده، ضربني ضرباً مبرحاً، أوقفني عند حدي، فانقطعت عن مخرزهم، وانقطع معي خير كثير كنت أمونهم به من فاكهة وشاي.

برحة معشّي والقشلة:

كان بين جبل معشي والقشلة أرض واسعة كما قلت، وكان الجند في الصباح، وفي العصر، يخرجون إليها بصفوف منتظمة، يتدربون جيئة وذهاباً، وكانت الحرب العالمية الثانية قد قامت، وقدم في تلك الأيام ضابط أفريقي اسمه طارق

الحبشي، كان يقوم بتدريب هؤلاء الجنود، يساعده في هذا سعيد كردي ـ رحمه الله ـ.

في هذا الميدان كانت تهبط أحياناً بعض الطائرات، وأذكر في أثناء تلك الصيفية نزول ثلاث طائرات صغيرة، في أوقات مختلفة، وكان أشهر طيار في تلك الأيام الشريف عبدالله منديلي. وكانت حمولة تلك الطائرات لا تزيد عن اثنين: الطيار ومساعده. وفي أحد الأيام، وكان الوقت عصراً، وكنا مجتمعين على جبل معشي، ننظر إلى إحدى الطائرات بعد أن هبطت، ونزل منها قائدها ومعاونه، مرّ أحد الجند، ولم يتنبه للمروحة، فضربت رأسه وقضت عليه.

هذه حادثة هزت المجتمع في الطائف لمدة ليست بالقصيرة، وكانت حقّاً مؤلمة، خاصة للذين شاهدوا

الحادث فور وقوعه، أو بعد وقوعه.

وحادثة أخرى شغلت الناس وقتاً طويلاً، وجعلتهم يتحدثون عنها كثيراً، ونحت روايتها مناحي متعددة، مثل طبيعة الروايات عند انتقالها من شخص لآخر، هذا يزيد فيها، وهذا ينقص، وشخص يلبسها غير لباسها، وآخر يزيد في بهرجة لباسها، وزخرفته:

خرج الجند كالمعتاد يتدربون في الميدان الفسيح أمام القشلة، وبدأ ضباطهم يصدرون لهم الأوامر كالمعتاد في كل يوم، ولكن لاحظ الضباط أن بعض الجنود إذا قيل لهم: «إلى اليمين دُرْ»، داروا إلى اليسار، وأن بعضهم يدور يميناً وآخرون يدورون يساراً، ورأوا أن صفوف الجند بدأت تختل، وأن الفوضى

بدأت تسود، وعندما أمعنوا النظر وجدوا أن بعض الجنود قلب الجِزَم، فلبس اليمين في الشمال والشمال في اليمين. فقرر الضباط وقائدهم إعادة الجند إلى القشلة.

بدأ استقصاء الأمر، ومحاولة معرفة السبب الذي أوجب هذه الفوضى، فاكتشفوا أنه كان في حبّ الدقيق الذي أكلوا من خبزه هذا الصباح حبّة «دنقة»، وهي بذرة شجرة تُسمى شجرة «اللُّخ»، تنمو نمواً «شيطانياً» أحياناً بين سنابل القمح. وتُحدث لمن يأكلها هوساً واضطراباً كالذي حصل للجند في ذلك اليوم، وحصل كذلك لغيرهم ممّن أكل من هذا الخبز من الناس في ذلك اليوم.

أطراف من ذكرياتنا في الطائف :

كانت أيام الطائف أياماً جميلة، وكانت بساتين الطائف هي واسطة العقد في حلية الطائف، بجانب برودة جوه، وبأمطاره التي تبدأ بعد صلاة العصر لوقت ثم تقف، وعندها يصبح الطقس بديعاً، ومثالياً للنزهة والراحة في الأجواء الطبيعية. وكان أصحاب البساتين يسمحون للفرد أن يدخل بقرش، ويأكل من الفواكه ما يشاء ولكن لا يحق له أن يأخذ شيئاً. وكان للقرش قيمة في تلك الأيام، لرخص الأشياء، ولوفرة الفواكه في الطائف، ومنها العنب والرمان والحماط والتوت والبرشومي، والبخارى والخوخ، وكلها أنواع فاخرة لا يعلو عليها مثيلها من بلد آخر، وكانت متاحة ومتيسرة، ومن الأماكن

التي كان يرتادها المصطافون غدير البنات بما فيه من مياه جارية تجلب الناس.

تدنّي قيم السلع :

وكانت الأشياء رخيصة، وكانت المواد متوافرة، وكان الريال، إذا صُرف، لا ينفد إلا بعد أن يشتري به ما لا يمكن تصوره اليوم. وأذكر أن «الطلي» كان يباع بريالين ونصف، و «الأكلة» التي فيها خروف كامل وأرز وما يتبعهما من سلطات وغيرها لا تزيد قيمتها عن خمسة ريالات، وكنت قبل ثلاثين عاماً في مجلس حافل بالشباب، وذكرت هذا في أثناء حديثي، فلم يصدقوني، وظنوا أني أغالي، وكان معنا في المجلس معالي الأستاذ حسين منصوري، وزير المواصلات ـ رحمه الله ـ وكان حينئذ وكيل

وزارة المواصلات، فأكد صحة كلامي وصدقه، وقال إنه في التاريخ الفلاني، وبالمناسبة الفلانية دعا جماعة على «ذبيحة» وتوابعها ولم يدفع أكثر من خمسة ريالات. وكان متعهد الحكومة حينئذ يدخل الخروف على الدولة بثلاثة ريالات ونصف، وكان هذا السعر عالياً، وكانت الدولة تعرف هذا وتسكت لأن المتعهد اعتاد أن يصبر على تأخر الحكومة في الدفع ما يقرب من ستة أشهر.

العم عبدالله العوهلي:

هو ابن عمتي حصة - كما سبق أن شرحت - وكان الوالد، ونحن في الطائف، مدير المالية في الرياض، ولهذا كانت سكنى العم عبدالله وزوجته وأبنائه معنا مصدر سعادة لنا، لأنه عالم ومثقف، ومتواضع،

فكنا نحبه ونحب أولاده، ولا نشعر إلا أنه أخ كبير لنا، ورغم أنه أخذ دكاناً في السوق يشغل بعض وقته، فقد كنا نحظى بالجلوس معه في البيت. وكان أنيس المعشر لروحه المرحة، وسعة باله، وكان يحب مداعبة حمد كثيراً، وحمد يشعر بجاذبية نحوه ـ رحمه الله ـ وأصبح حمد لا يستحي منه، ولا يفكر في وزن الكلام قبل أن يتحدث به معه، فيجد العم عبدالله في «طبات» حمد في الكلام مجالاً لمداعبته وإحراجه وحصره في ركن من أركان الكلام لا يخرج منه إلا إلى ما هو أشد منه. وكان هذا كله مجال تسلية لكليهما ولنا.

حمد والنحو:

قلت إن السنة الدراسية بدأت ونحن في الطائف، وكان حمد، حينئذ منقولاً من السنة الثالثة التحضيرية

إلى السنة الأولى الابتدائية، وتدريس النحو يبدأ من هذه السنة، فحرن حمد وقال: لن أذهب للمدرسة لأني لا أعرف النحو ولا أريده.

وكان يتكلم جاداً، ولعل طول الإجازة وعدم الدراسة فيها، أوقعاه في الكسل، وأخذ النحو حجة، ووجدت أنه لابد من إقناعه، وأتيته من باب جعل الفكرة تنجح، قلت له:

أنت لا تعرف النحو، سوف أشرحه لك، فإن أعجبك فالحمد لله، وإن لم يعجبك قلنا لهم: لا تدرسوه النحو.

قال: يا الله، قل.

قلت: أنت حمد ضربت صويلح (صويلح هذا هو وإياه دائماً في مضاربة وعراك). أنت الضارب

وإلا لا ؟.

قال: نعم. وأكسر ضلوعه كذلك (كمان).

قلت: والمضروب صويلح؟

قال: نعم هو وأبوه كذلك (كمان).

قلت له: هل أعطيته شيئاً، أو أخذت منه شيئاً؟

قال: لا، يخسأ.

قلت: هذا هو النحو: الضارب أنت وتسمى الفاعل، وهو المضروب ويسمى المفعول به، والذي عملته فيه هو الضرب، وهذا يسمونه الفعل (ضرب).. والسلام.

قال: فقط لا شيء غير هذا؟!

قلت: أبداً، لا شيء غير هذا.

قال: غداً أذهب وألعن «سكاف» صويلح وأبوه، و «أدهمله» في التراب.

ودخل السنة الأولى الابتدائية، وعقد صلحاً مع النحو، ولعله كان دائماً واضعاً في ذهنه أن كل فعل سيء يتصوره واقعاً على صويلح، فإذا قال المدرس: قطعت السكين يد الوالد. تصورها يد صويلح وهكذا، حتى انسجم ونسي صويلح.

الشَّفا في الطائف:

قبل أن نترك الطائف في هذه الرحلة نسجل أهمية الشفا لبعض المصطافين، رغم وعورة طريقه، في تلك الأيام، لارتفاعه. والذين يريدون أن يثبطوا الهمم تجاهه يذكرون كثرة الثعابين فيه. وقد أثير هذا مرة مع أحد سكانه، فقال إن الثعابين لا تلدغ

سكان الشفا أبداً، لأنهم إخوة لهم من الرضاع، ولما رأى دهشة المستمعين قال: إن المرأة عندنا إذا ولدت يكون أول عمل تقوم به بعد الولادة مباشرة هو أن تحلب من ثديها حلبة مجزية كافية، وتصب هذا الحليب في صحن، وتضعه عند عتبة البيت من الخارج، فيأتي ثعبان أو أكثر، فيشرب منه، وبهذا يصبح هو وجنسه إخوان من الرضاعة لأهل الشفا!!

إبراهيم القاضي والحيّة :

كان بيت أسرة العم سليمان البراهيم القاضي ـ رحمه الله ـ بجوار بيتنا في الطائف، وكان ابنه إبراهيم ـ رحمه الله ـ أكبر أبنائه ـ حفظهم الله ـ وكنا نلتقي به دائماً.

وفي إحدى الليالي بلغنا أن حيَّة لدغته في رجله، ولعله كان سائراً في الليل، وفي الظلام لم يرها، فوطئ

على ذيلها، فالتفّت على رجله ولدغته، فأخذوه رأساً إلى المجزرة، وأدخلوا قدمه الملدوغة في كرشة جمل مذبوح حديثاً، وقالوا إن الكرشة امتصَّت جميع السم الذي في الرجل، وامتصت كذلك ما سرى منه في الجسم، وقد رأيناه في اليوم التالي معافى، تُرى ما رأي الطب في هذا؟

العودة من الطائف إلى مكة :

ركبنا السيارة اللوري من الطائف إلى مكة عن طريق السيل، مروراً بريع المنحوت، ولما وصلنا مكة وجدنا أن علينا أن نذهب للقلعة لنلتحق بالسنة الثالثة الابتدائية، هناك، في جبل هندي، وكانت المسافة بين المدرسة والبيت طويلة إذا قسناه بما بينها ومدرستنا السعودية الأولى في المعلاة، وكنا أحياناً نأخذ طريقنا

مروراً بالحرم، محاولة لاختصار الطريق، وكنا نتأذى ظهراً من حرارة «المشّايات» و «الحصوات»، لأن أحجارها تميل إلى السواد، وبسبب هذا فهي تخزن الحرارة، ونحن حفاة، لأننا نسير داخل الحرم، ونعمد إلى المرور بالمطاف، لأن أرضه مرصوفة بالرخام الأبيض، ونعد هذا المرور محطة راحة لنا، ومنه نركض إلى باب الزياده ذاهبين للمدرسة، أو باب إبراهيم أو باب علي عائدين منها.

الطريق الثاني :

إذا اخترنا الطريق الثاني فإننا نبدأ بالجودرية فالمدعى فالمسعى فسويقة، وهذه كلها مسقوفة ما عدا الجودرية. وفي سويقة نمر بدكان الدهلوية أو البوقرية، ونقف قليلاً في الصيف نتلذذ بالطراوة

أمام هذين الدكانين، لأن ما أمامهما مرشوش بالماء، وفي الداخل مروحة عُظمى معلقة في السقف يحركها مولى لكل من الأسرتين وهما مصنوعتان من قماش، وتكادان تكونان بعرض الدكان، ولابد أنهما تسيران على بكرات تسهل أمر تحريكهما. وهناك طريق ثالث يمرّ بالجودرية فممر مقراة الفاتحة، فالقرارة، فالشامية، ثم صعوداً إلى القلعة.

أوقات الدراسة :

كانت الدراسة يومياً في وقتين، من الصباح إلى الظهر، ثم نذهب للغداء، ونعود إلى المدرسة حتى صلاة العصر، وبعد أن نصليها جماعة في الصالة العلوية، تُقرأ دفاتر الجزاء، ويأخذ كل مذنب عقابه، وعلى الرغم من أنا كنا نسمع «بالفلكة»، «المشلّة»

في عنيزة إلا أننا لم نرها في مكة، وقد استعيض عنها في زمننا ذاك «بالإحرام»، الذي يقوم بعملها تماماً.

من مكائد الطلاب:

التشاحن بين الطلاب، فرادى وجماعات لم يكن يتوقف، وكان يلهبه أي حدث، ويغذيه كلمة من هنا أو كلمة من هناك، ويحركه أحياناً وَهْمٌ، ويبدؤه تصور خاطئ، وأسوأ أنواع التشاحن عندما يتحزب جماعة ضد جماعة، ففي هذه الحالة يصعب الصلح، ويتعسر التسامح لاختلاف أمزجة الأفراد في كل حزب.

وفي السنة الرابعة الابتدائية في القلعة قام عداء بين فريقين، أحدهما في الصف الأمامي، والآخر في الصف الثاني خلفه، وكان الفريق الأول الأمامي

يتكون من شرف جمال، وعبدالله عيد، وصالح الجهيمان، ويتكون الفريق الثاني في الصف الخلفي مني، ومن حسنان جاوه، وأحمد مخلص. وكنا نتبادل الشتائم والتبكيت، مثل القذائف، هذه ذاهبة وتلك آيبة. وكنا في موقف أفضل لأننا لا نحتاج إلى التفات، نرسل الكلمة صاروخاً موجهاً يصل بسهولة إلى الهدف، أما هم فيحتاجون إلى فرصة ليلتفت أحدهم فيرد علينا، ولا يتمكن من ذلك إلا إذا أدار المدرس وجهه عنهم، وانشغل بالكتابة على السبورة أو إذا ذهب إلى الجانب الآخر من مقدمة الفصل، لذلك كانت لنا اليد الطولى، والقدح المعلّى. وكان هذا يغيظهم، فيزيدون في الشتائم، ويأخذونها من «قاع الدستة»، أما نحن فتكفي كلمة سطحية لتلهب صدورهم، وتطلق ألسنتهم.

أما الدروس، والإصغاء للمدرس، والمشاركة في الدرس بالسؤال والجواب فعليها السلام.

في حصة من الحصص زاد الأمر عن حدّه، وطفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، ولم يعد أي منا يتحرز، أو يحسب حساب المدرس، وتوالى القصف بكل وسائل الحرب الكلامية، ولم يبق إلا القرص والرفس من «تحت لتحت»!! وتصادف في هذه الحصة التي توتّر فيها الجوّ أن كان المدرس الأستاذ عبدالغني زمزمي ـ رحمه الله ـ وهو الرجل النمر النابه، الذي لا يغيب عن باله ما في الطلاب من حب للمشاغبة واللعب، وقد لاحظ ما كان يدور، فرصدنا جميعاً في دفتر الجزاء، على الرغم من أنه لم ير إلا خطأ أعدائنا، ولكنه يعرف جيداً أن الشرارة

لا تنقدح إلا بفعل عنصرين، وأراد أن يقطع الشرّ من دابره، فكتبنا جميعاً في دفتر الجزاء.

إيقاع الجزاء:

بعد أن صلينا العصر كالمعتاد، وقف الأستاذ الجليل عمر عبدالجبار، معاون المدير: السيد أحمد العربي - رحمهما الله - وبدأ يقرأ دفاتر الجزاء، وعندما وصل إلى دفتر صفنا، وكان دسماً في هذه المرة، لأن فيه على الأقل ستة طلاب، ووضعنا في الإحرام، بعد أن رفعنا أرجلنا طائعين، مقرين بالذنب، وبعدالة الجزاء، وانتهى الأمر وشمت بنا أحد الزملاء وأخذ يبكت، وأنا أرجوه أن يسكت، فليس هذا الوقت وقت تبكيت، ولكن الأمر كان يحلو له، فيقول: «كيف طعم العصا، أين كنت تنظر

والأستاذ يضربك، على كل حال الأدب طيب».
فأحنقني منه ذلك، إذ أن الوقت وقت مواساة، وليس وقت (نرفزة)، وإثارة أعصاب، أو شماتة.

نزلنا خلف الأستاذ عمر ـ رحمه الله ـ وكان هذا الزميل يمشي بجانبي، وكلمات الاستهزاء تتزاحم على شفتيه، وعيناه ترقصان من الشماتة، فتذكرت موقف زميلنا في الأولى الابتدائية، وافتراءه عليَّ أمام أستاذنا في المدرسة السعودية، واتهامه لي ظلماً بأني أنا الذي ضحك، فأعجبتني الفكرة عندما تذكرتها، ورأيت أن أنفذها قبل أن ينتهي نزولنا من (الدرج)، فصرخت «آه»، وانحنيت، واضعاً يدي على بطني، فالتفت الأستاذ عمر ـ رحمه الله ـ فرآني أتألم بشدة، وكأنه سوف يغمى عليّ، فسألني

عما بي، فقلت هذا الزميل ضربني في بطني، وأخذ هذا الزميل يكذبني، وأنا أزيد في التلوّي، فجذبه الأستاذ من يده عند آخر (زلفة) في الدرجة، ووضعه في الإحرام، وأعطاه (علقة) أضعاف (علقتي) التي أكلتها» قبل دقائق.

والحقيقة، أني في ذلك اليوم لم أشترك في الحرب مع الفريق الآخر، لأني كنت أمام السبورة أغلب الوقت، ولكن الفريق الخصم حين رأى الباخرة تغرق رأى ألا أنجو، فسعى لوضعي مع المجازين.

خش في الحذاء:

قلت إن الأستاذ عبدالغني زمزمي رجل حازم ومحبوب، وكان بيده تنظيم صفوف الطلاب في الصباح في المدرسة السعودية، قبل دخولهم الفصول،

وكان يريد أن تكون الصفوف معتدلة، فيضرب بعصاه أمام الأقدام بخط معتدل، فيحرص الطلاب أن لا تخرج رجل أحدهم عن الصف، وكان يقول ـ رحمه الله ـ بلهجة حازمة باسمة: «يا واد خُش في الحداء». وهذه تحتمل وجهين: الأول ادخل حذاء الصف أي اعتداله، والثاني: الحذاء أي الجزمة، وبهذا الوجه الثاني تصل الرسالة دون أن يؤاخد عليها من أحد، وصرنا نقولها بيننا إلى اليوم.

أساتذة مؤقتون:

مر، ونحن في السنة الرابعة الابتدائية، خمس سنوات على الأقل على إنشاء تحضير البعثات، وتخرجت الدفعة الأولى من تحضير البعثات؛ وكانت الحرب العالمية الثانية قد قامت، وبدأ تأثيرها يتبين، فأعيد بعض المبتعثين،

وأجل ابتعاث أولئك الذين تخرجوا في هذا العام من تحضير البعثات، وطُلب منهم التدريس لمدة عام إلى أن تحل الأزمة، فكانوا إضافة مفيدة في هيئة التدريس. وسعدنا بهم، لأنهم يدرسوننا بالطريقة التي يدرسهم بها أساتذتهم المصريون. والذين تعاقبوا على تدريسنا منهم: الدكتور حامد هرساني، والسيد علوي جفري، والأستاذ معتوق باحجري، والدكتور حسن نصيف، والأستاذ سعيد آدم. أما مدرسوهم المصريون فكانوا ثلاثة على ما أذكر، أحدهم للرياضيات، والآخر للعلوم، والثالث للغة الإنجليزية.

الشيخ محمد بن مانع:

كان الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - كما يبدو، خارج المملكة ثم عاد إليها بطلب من الملك

عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ورُتب له درس يلقيه على الطلبة كلهم، في الصالة السفلى من القلعة أسبوعياً، وهو درس عام، وكان كثيراً ما يستشهد ببعض الأبيات، التي تحث على العلم، وترغب فيه، وتؤكد أن العلم ينفع صاحبه، وأن الجهل يضره.

ومن الأبيات التي كان يرددها ـ رحمه الله :

علمي معي أينما يممت يتبعني

صدري وعاء له لا بطنَ صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وبيت آخر :

العلم يرفع بيتاً لا عماد له

والجهل يهدم بيت العز والشرف

جمع المدارس في القلعة :

قلعة جبل هندي كانت مقرّاً عسكرياً للجيش التركي، ولم تحتج الحكومة السعودية لها لأغراض عسكرية، فرئي الاستفادة منها لتفريج كربة إدارة المعارف، التي اكتظت مدارسها بالطلاب، فجمعوا فيها من كل مدارس مكة السنتين الثالثة الابتدائية والرابعة الابتدائية، وسرعان ما ضاقت القلعة بالجميع، هذا إضافة إلى المعهد وتحضير البعثات.

وقد اختلط الطلاب في الفصول، فالسنة الثالثة لها فصلان، والرابعة مثلها، وتبعثر طلاب كل مدرسة، ولم يسمح الوقت بأن تتبلور هذه الفصول إلى وحدات لها شخصيتها مثلما كانت في المدارس سابقاً، ولهذا فلم يبرز برنجي ولا إكنجي. وبقيت الفصول

غير محكومة، لأن النتائج الشهرية غير ثابتة. ولو عُيّن رئيس لهذا الصف في الامتحان الأول فمن غير المضمون أن يبقى رئيساً للصف في الامتحان الثاني.

لاحظنا أن أقوى الطلاب بيننا هم طلاب المدرسة العزيزية، في دراستهم، وفي أدبهم، وفي انتظامهم، وفي متابعتهم، وفي مذاكرتهم، وأسوأ الطلاب هم الآتون من المدرسة السعودية، فلا جلد لهم على المذاكرة، ولا استعداد عندهم للتركيز، ويعتمدون على تحصيلهم في الفصل، وهذا قد أضر بهم عندما انتقلوا إلى المراحل الثانوية وإلى الجامعة، لأن هذه الروح بقيت معهم، ويبدو أن طريقة التعليم والتربية في المدرسة العزيزية كانت متقنة أكثر منها في غيرها.

المرحلة الثانوية:

انتهينا من المرحلة الابتدائية بانتهائنا من السنة الرابعة الابتدائية، وأصبح أمامنا أحد طريقين، إما الالتحاق بالمعهد العلمي السعودي، ومدة الدراسة به ثلاث سنوات، أو مدرسة تحضير البعثات، ومدة الدراسة بها خمس سنوات، فاخترتُ في أول الأمر تحضير البعثات، ثم أقنعني الأخ صالح الجهيمان بالالتحاق بالمعهد، لأن الدراسة في مدرسة البعثات صعبة، ومدتها طويلة وهي خمس سنوات، وذكر أنه لا ينجح إلا من درس عند المدرسين دروساً خصوصية أثمانها غالية[1]. فذهبنا للسيد أحمد العربي، وطلبنا منه أن نتحول إلى المعهد فوافق ـ رحمه الله ـ والتحقت في

---

(١) راجع ما سيأتي من استشارتي لوالدي وهو في الرياض عن أي الجهتين أختار.

تلك السنة (١٣٦٢هـ) بالمعهد العلمي السعودي بقلعة هندي، فوق حي الشامية بمكة المكرمة. والدراسة في المعهد مدتها ثلاث سنوات حينئذ، وقد زيدت سنتين فيما بعد، فأصبحت الدراسة بالمعهد خمس سنوات، مثل ما هي في تحضير البعثات.

دراستي في السنة الأولى:

كان فصلنا محدود العدد مقارنة بفصلين في السنة الأولى بتحضير البعثات، التي كان الإقبال عليها كبيراً. وكان أساتذتنا بحق من خيار المدرسين، أُحسن اختيارهم، وأُحسن توزيع الدروس عليهم، كل حسب اختصاصه، وعلى رأسهم أستاذنا الجليل المحبوب إبراهيم داود فطاني ـ رحمه الله ـ وأخوه حسين فطاني، والأستاذ إبراهيم بن عبدالله السويل،

والأستاذ عبدالله عبدالجبار، والأستاذ عمر عبدالجبار (مساعد المدير) والأستاذ عبدالرؤوف الأفغاني، والأستاذ محمد حلمي، والأستاذ عباس أشعري.

الأستاذ إبراهيم داود فطاني:

كان الأستاذ إبراهيم فطاني يدرسنا التفسير والحديث، والإنشاء أحياناً، وكان يستطرد كثيراً في درس الأدب، ولأننا نعرف أنه شاعر محلق كنا نستعطفه أن يسمعنا شيئاً مما جادت به قريحته الخصبة، وكان ـ رحمه الله ـ لا يبخل علينا، ويستجيب لرغبتنا بحنان وأبوَّة، وكان بعض ما نسمعه قصائد وطنية أو دينية، وكنا لا نمل من سماع قصيدة له قالها وهو في سفر إلى بلاد الجاوة، ومطلعها:

جهانكير مهلاً إن قلبي لتواق..

ولعلي أعثر عليها في يوم من الأيام[1]، وجهانكير هي الباخرة التي ركبها إلى هناك.

وكان الحجاز في ذلك الزمن يمر بنهضة أدبية مثل الدول العربية الأخرى المتقدمة في التعليم، وقد حرك تلك النهضة ما كانت تمر به العروبة من تشوُّف لحال أحسن من الحال التي كانت عليها أيام العثمانيين. وقد أعطى تقلص نفوذ الدولة العثمانية فرصة لمن بالحجاز أن يجاري الأدباء والمفكرين في مصر والشام.

وقد لعبت مدرسة الفلاح والمدرسة الصولتية، وهما مدرستان أهليتان قويتان دوراً بارزاً في زرع

---

(١) انظر ص (٤٠٤) و (٤٠٧) فقد تم العثور عليها.

بذور الفكر والعلم في أذهان الناشئين، ثم صقلتهم حلقات الحرم المتميزة بمدرسيها من فطاحل العلماء في كل مذهب من المذاهب الأربعة. وكان هناك سباق في طلب العلم، وارتشاف رحيقه، وقد وضحت للناس فائدته ديناً ودنيا.

ويبدو أنه كان في جانب الأدب حظوة للأدب الأندلسي، فتأثر الأدباء في تلك الفترة بما وصلهم منه، وعبُّوا من معينه، ورشفوا من رحيقه، فظهر أثره على ما جادت به قرائحهم من شعر. فجاء شعرهم قوياً رصيناً، ولكنه راقص الوزن، طرب القافية، وفيه سلاسة مما جعل حفظه سهلاً، وتقليده والسير على منواله مغرياً.

وأعود إلى أستاذنا الحبيب إبراهيم فطاني. لقد

كنا نشعر أمامه أننا أمام أب حنون، نُعزّه ونقدّره، ونعطيه كل ما يستحقه من احترام وتقدير، نتطلع إلى حصته في الأدب، وإلى ما نحظى به من خروج عن الدرس بعد أن نستوفي الدرس الأصل. والحقيقة أن حرصنا على التحصيل، وحرص أساتذتنا على إفادتنا الفائدة القصوى، وإتقان وزن خطة الدراسة، وتنفيذ المنهج، يجعل من السهل علينا أن نوفر جزءًا كافياً من كل حصة لنسمع منهم ما هو مفيد خارج المنهج، وكان من أبرز ما نركز عليه الأدب والشعر سواء كان من محفوظهم أو من انتاجهم.

وبعضهم مثل الأستاذ إبراهيم فطاني كان يطربنا ما يقوله في أمور الأدب أو الوطنية أو الدين. وسوف أعطي هنا بعض أبيات هي نماذج لما كان يتحفنا به،

أو حصلنا عليه فيما بعد:

لقد قال قصيدة وافية على نمط نهج البردة، جاء فيها ـ رحمه الله ـ على السيرة النبوية، بشعر رصين، ومعان سامية، وفي أولها إهداء يقول فيه:

مهلاً صحابي ورفقاً جيرة العلم

فالقلب من شدة الأشواق في ضرم

إليك رسول الله أهدي بُريدتي

وقد صاغها الإخلاص فاقبل هديتي

وقال عن مولده ﷺ:

في يوم مولده النيران قد خمدت

فالفرس في وجل من سوء أمرهم

وانشق إيوانهم والموبذان رأى

رؤيا لها هب مذعوراً ولم ينم

ويقول عن مولده، عليه صلوات الله وسلامه:

يا ربّ أنت الذي كرَّمت مولـده

بالنور يسطع في الساحات والأكم

وبالخـوارق والآيـات شـاهدة

حتى الدَّواب لقد نطقت بكل فم

تبشـر الكون بالهـادي ومعلنـة

بأنـه خير من يمشـي على قـدم

وعن الإسراء يقول:

فهو النبي إمام الرسل خاتمهم

وأكرم الخلق من عُرب ومن عجم

المصطفى صاحب الخُلُق العظيم ومن

أسرى به الله للأقصى من الحرم

ويقول عن البعثة:

فسل حراءًا بلطف عن تحنثه

مفكراً ذاكراً عيناه لم تنم

هناك أول آي الذكر قد نزلت

(إقرأ) لتظهر فضل العلم والقلم

وعن الهجرة يقول:

أكرم بمولده أكرم ببعثته

أكرم بهجرته من ساحة الحرم

في ليلة بيّت الكفار مكرهمو

به فجازاهمو المولى بمكرهم

وعن الوصول إلى المدينة يقول:

وسل رُبَى يثرب عن نور طلعته

لما أطلَّ على الساحات والأكم

وحينما جاءت البشرى بطلعته

افترّ ثغر المُنى عن طيب مبتسم

وعن بناء المسجد يقول:

وبعدها خطط الهادي لمسجده

وراح يبني مع الأصحاب في همم

وعن الجهاد والغزوات يقول:

وحينما نزلت آي الجهاد

تهيأت فرصة كبرى لمغتنم

هبوا سراعاً ونصر الدين رائدهم

وقهر أعدائه من عابدي الصنم

ثم يتكلم ـ رحمه الله ـ عن غزوة بدر الكبرى، وعن غزوة حنين، وعن فتح مكة، وعن بعث البعوث والسرايا، وعن حجة الوداع، وعن الدعاء والاستغفار. وقرب الختام يقول مستغفراً ـ تقبل الله منه:

أستغفر اللّٰه ربي لا شريك له

في شدتي ورخائي دون ما سأم

أستغفر اللّٰه في سرّي وفي علني

وفي الصباح وفي الإشراق والقتم

أستغفر اللّٰه في حلّي وفي سفري

وفي رجوعي وفي بيتي وفي الحرم

والقصيدة طويلة (٢٥٣) بيتاً، جئت منها بنماذج تعطي فكرة عن طول نَفَس الشاعر، وعميق علمه، وغوصه على المعاني، وحسن عرض الصور عن هذه السيرة العطرة ـ رحمه الله وأثابه، وغفر الله له واستجاب دعاءه.

وله قصيدة همزية تسير على نمط تلك، وتعطي فكرة عن حياته صلوات الله وسلامه عليه، يقول

في أولها:

هيجتني بشدوها ورقاء

إنما الشدو للمحب عزاء

ذكرتني بطيبةٍ ورباها

في ربي طيبة يلذّ الغناء

وله قصائد منيرة في الفتوحات الرمضانية يقول في مطلع إحدى قصائده فيها:

سبحان من خلق السماء

والشمس والقمر المُضاء

سبحان مُدحي الأرض في

يومين يعلوها الهواء

الحديث عن أستاذنا الجليل إبراهيم داوود فطاني مما يلذّ، وفيه متعة، لأني عندما استعيده إلى

ذاكرتي تأتيني ذكراه العطرة، وتقفز ملكته الشعرية إلى المقدمة، لأننا كنا دائماً عندما نجد الفرصة بعد أن ينتهي الدرس نستمطره من وابل جمال الشعر.

وأذكر أن أخي حمد وافاني بقصيدة له ـ رحمه الله ـ ألقيت في حفل لافتتاح جمعيات النشاط المدرسي بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٣٦٦هـ، على شرف مدير المعارف وهي بخط أخي حمد، وخطه جميل حقاً كما توقع له الوالد ـ رحمه الله ـ منذ سنوات.

أولها، وعنوانها: إلى النشء ومربيه:

مالي وللروض هاجتني شواديه

فرحت أسكب من دمعي وأسقيه

عهدي بدمعي أبيّا لا يطاوعني

ما باله ذلّ بالأشجان عاصيه؟

وهاجني وجنان الليل يشملني

طيف تراءى فما أبهي ترائيه

يخطو على قمم الأجيال مقتربا

مني فرحت بآلامي أناجيه

ذكرى تلذّ لنفسي وهي مؤلمة

أحبب به ألماً تسمو معانيه

ذكرى عهود الألى شادوا لأمتهم

مجداً وطيداً عظيماً في مراميه

ثم ينتقل إلى «مقطع» آخر، فيقول:

أولئك القوم قومي في جلالتهم

فأي علم سما لم ينبغوا فيه؟

وهل سمعت بفن لم تشده لنا

أكفهمُ واستطالوا في مبانيه؟

كانت بأيديهم الدنيا فوا أسفا

لم يبق منها لنا شيء لرائيه

حتى الأذلّون راموا أن يكون لهم

بأرضنا وطن بالروح نفديه

وفي مقطع ثالث يقول موجهاً الحديث للشيخ محمد بن مانع مدير المعارف:

فيا ابن مانع من عزّت معارفنا

به ومن زانه بالحلم باريه

أكرم بها خطوات منك تنقلها

«لمعهد» لم تزل بالفضل توليه

ثم يلتفت ـ رحمه الله ـ لزملائه المربين، فيقول من «مقطع آخر»:

يا قائدي النشء والإخلاص رائدكم

من يفعل الخير فالرحمن يجزيه

أمانة الله هذا النشء في يدكم

لا يسعد النشء إلا من يربّيه

كونوا له قدوة وكونوا له مثلا

تعهّدوا غرسه تخصب مراعيه

ثم يتجه ختاماً للقصيدة للطلاب، فيقول:

يا أيها النشء والآمال باسمة

مجد البلاد بكم تبدو هواديه

سيروا على سنن الأجيال إن لكم

من عاهل العرب فيضاً سال واديه

تمسكوا بنبيل الخلق واعتصموا

بالدين فالفوز مكفول لراعيه

إلى أن يقول:

هيا إلى نهضة أنتم قواعدها

هيا إلى عَلَم التوحيد نعليه

في ظل مَلْك عصاميّ سياسته

رشـيدة وكـتاب الله هاديـه

وهي طويلة عدد أبياتها (٧٥)، وسأرفق صورة منها مكتوبة بخط يد حينئذ.

والقصيدة ثروة أدبية، أحسن ترتيب الأفكار فيها - رحمه الله - وأضاء أبياتها بالاستعارات البليغة، وجاءت معانيه منيرة، ومنابع فكر منتقاة. وأرجو أن أجد وقتاً في المستقبل لأحللها في ضوء ما أراه فيها من إبداع - رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته - إنه برّ رحيم.

[illegible]

فيا ايها الكرسي ما ادرى هل [illegible] ... بالعلم حتى انبرت في الجد [illegible]
[illegible] سخائه تحيات [illegible] ... [illegible] الصعاب ولم تحفل بطاغيه
وتلك [illegible] في احشائه [illegible] ... والويل منها لمن طالت [illegible]
وفي الشباب [illegible] ما لها عدد ... [illegible] اباء الشعب في تيه
[illegible] في الطرص الجريمة [illegible] ... [illegible] تزهادى في [illegible]
[illegible] طاقت [illegible] ... الى العدو وبالنيران تصليه
وتلك [illegible] التي [illegible] ... [illegible] حتى البلايا [illegible]
هذى مطالعه هذى مطالعه ... هذى مطالعه هذى مناعيه
[illegible] لنا سيراك [illegible] ... [illegible] [illegible] لم [illegible]
ليس التنفس [illegible] ... [illegible] [illegible]
وما الوقوف عن اطلال [illegible] ... [illegible] [illegible]
[illegible] في الاحكام مهزلة ... وفي التهم آفات [illegible]
وفي الزعامة كل [illegible] ... واقامت [illegible]
فليس يصلح [illegible] له ... [illegible] الرأي [illegible] في [illegible]
وليس [illegible] شباب [illegible] ... من [illegible]

فيا [illegible] ... [illegible] بالحلم [illegible]
[illegible] منك [illegible] ... [illegible] لم تزل بالفضل [illegible]
[illegible] لتشجيع [illegible] ... [illegible] وجميل [illegible]
[illegible] القلب [illegible] ... [illegible] صادقة [illegible]
[illegible] ... [illegible] صادقه
[illegible] ... [illegible]
بالنشء لا [illegible] ... [illegible] النهم الا [illegible]
[illegible] انت [illegible] ... [illegible] اذ انت [illegible]
[illegible] بالعلم والاخلاق [illegible] ... في [illegible]
وقل لهم [illegible] ... في [illegible]
[illegible] ... [illegible]

يا [illegible] للنشء والاخلاص [illegible] ... [illegible]
امانة الله [illegible] النشء في [illegible] ... [illegible] النشء [illegible]
[illegible] له قدوة [illegible] ... [illegible]

يا ايها النشء [illegible] ... [illegible]
[illegible] الاجيال [illegible] ... من [illegible] العرب [illegible]
[illegible] بنبيل [illegible] ... [illegible] الفوز [illegible]
[illegible] الرفعة [illegible] ... [illegible] الضاد في [illegible]
[illegible] العرب [illegible] ... [illegible] في [illegible]
[illegible] الرفعة [illegible] ... [illegible]
في ظل [illegible] ... [illegible] وكتاب الله [illegible]
[illegible] الله [illegible] ... والعروبة والاسلام [illegible]

في ٥ / ٢ / ٦٦ ابراهيم [illegible]

عن دروس الأستاذ إبراهيم :

من جملة الدروس التي وكل أمر تدريسها لنا في المعهد درس «الإنشاء»، وكنا نكتب الموضوع، فيأخذه معه ويصححه، ويعطينا الدرجة التي نستحقها، فإذا عنّ له تعليق علق به مع الدرجة المعطاة وتوقيعه.

وأمامي الآن ورقة في مقدمة دفتر الإنشاء، وفيها مواضيع الإنشاء التي طلب منا الكتابة فيها، وهي ناطقة بما عليه مستوانا، ورأي أستاذنا فيما يراه مناسباً لنا. والمواضع هي:

١) أيهما أبعد أثراً في حياة الأمم، وفرة المال، أم وفرة الرجال؟

٢) كيف نغذي نهضتنا الأدبية؟

٣) العصبية الممقوتة، وأثرها السيّء.

٤) الأماني القومية، ووسائل تحقيقها.

٥) الأدب فن جميل.

٦) البلاغة بين العلم والفن.

٧) بائع الفول والترمس.

٨) الشخصية الفذة، وأثرها.

هذه العناوين تترجم ما كان يدور في ذهن المثقفين حينذاك، وهي كما نرى منوعة، ومتفاوتة في مستواها والنظرة إلى ما في الفكر وما يهم المجتمع.

وسوف أرفق موضوعاً كاملاً عما كتبته على أحد المواضيع، والتصحيحات التي أجراها استاذنا إبراهيم عليها، والدرجة المعطاة والتوقيع والتعليق. وهذا موضوع لم يرصد في بيان المواضيع السابقة،

وعنوانه:

مهور المعالي أعجزت كل خاطب

سوى أنها هانت على عزم شبان

وقد حظي ما كتبته في هذا الموضوع بالعناية، ولكنه لم ينل إلا نصف الدرجة: ١٠ من ٢٠. ولهذه الورقة أهمية عندي، فمنها حفظت البيتين اللذين أضافهما الأستاذ إبراهيم على ما كتبته، فلم أنسهما، وكنت كثيراً ما استشهد بهما، وهما كما يرى القارئ:

إن التهاون والكسل

أحلى مذاقاً من عسل

إن لم تصدقني فسل

من كان قبلي في الكسل

وبيت آخر:

لا عيب في القوم من طول ولا قصر

جسم البغال وأحلام العصافير

وفي تعليق له على أحد المواضيع التي نلت فيها ١٥ من ٢٠ كتب حكمة سابغة:

«يبتسم لك المستقبل.. إذا عبست للأخطار».

وفي تعليق آخر حصلت فيه على ١٠ من ٢٠ كتب يقول:

«اجتهد تتقدم»، وفي تعليق على موضوع آخر حصلت فيه على ١٢ من ٢٠ كتب ـ رحمه الله ـ:

«أتمنى لك مستقبلاً سعيداً».

وفي موضوع آخر حصلت فيه على ١٥ من ٢٠ علق يقول:

«زادك الله حرصاً».

وفي موضوع آخر حصلت فيه على ١٢ من ٢٠ درجة علق بالآتي:

«أجدت».

ولعل أجدت رغم عدم ارتفاع الدرجة آت بمقارنته مع زملائي الآخرين.

وفي موضوع أجبت عليه، وحصلت على ١٦ من ٢٠ علّق ـ رحمه الله تعالى ـ:

«ما هكذا يا سعد تورد الإبل».

وفي موضوع أخذت فيه نصف الدرجة، ١٠ من ٢٠ علق ـ رحمه الله ـ:

«اجتهد تتقدم».

وفي موضوع آخر حصلت فيه على ١٢ من ٢٠ علق ـ رحمه الله ـ:

«أتمنى لك مستقبلاً سعيداً».

ومع هذا فأحد المواضيع حصلت فيه على درجة عالية نوعاً ما: ١٥ من ٢٠، لم يضع عليه ـ رحمه الله ـ تعليقاً.

لقد اخترت هذه النماذج لتعطي فكرة عن العناية التي يوليها المدرس العالم لطلابه. وقد ارفقت هذه النماذج واخترت هذه المادة لأُري تواضع العلماء، ومشاركتهم في تدريس أي مادة ليست من صميم تخصصهم، ومع هذا فتدريسهم لها أعطاها أهمية.

عندي كثير مما يستحق أن يُعرف في المواد المختلفة، ولكن المقام يقتضي الاختصار.

دفتر الإنشاء للطالب عبد العزيز الخويطر

١) أيهما أبعد أثراً في حياة الأمم، دولة الأقلام أو دولة الرجال.

٢) كيف نقوّي نهضتنا الأدبية.

٣) العصبية المقوتة وأثرها السيء.

٤) الآمال القومية ووسائل تحقيقها.

٥) الأدب فن جميل.

٦) البعد بين العلم والجهل.

٧) بائع الفول والترمس.

٨) شخصية لقيتها وأثرها.

(٧)

الموضوع (٧) عبد العزيز [illegible]

الموضوع: من طلب المعالي في شبابه سعى واجتهد [illegible] شبابه

المعالي هي المنازل الرفيعة والمقامات العالية والحصول على أعلى درجات [illegible]
هي مطلب الشباب الطموح الذي يريد المجد والقيادة والمكانة المرموقة التي لا ينالها إلا الأفذاذ من الناس
ومن يطلب المعالي ويقصد تلك الغايات وجب عليه أن يتحلى بالثبات وأن يتحمل الصعاب و

ويسهر من ساعات الليل ويواصل التعب بالتعب ويسهر الليالي ويواصلها بالأيام

هاديا حقه ومن كان قبله ممن نالها وآخذا بقول من قال:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

وبقول من قال: بقدر الكد تعطى ما تروم ومن رام العلا ليلا يقوم

كما يجب عليه أن يبذل جميع جهوده نحو تلك الغاية التي هو ناشدها والرغبة التي هو قاصدها

وأن يعمل ولا يتوانى ويجد ولا يتكاسل وقد قال تعالى في كتابه وهو أصدق القائلين

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) ولقد عمل الذين من قبلنا وجدوا واجتهدوا وأضحوا

فنالوا أعلى الدرجات وظفروا بأعلى المنازل ولكنهم لم ينالوها سهلة ولم يصلوا إليها بسهولة بل

لاقوا في ذلك صعوبات شتى واعترضتهم في طريقهم عقبات عظيمة ولقد صدق

من قال: تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

فعليه يجب على الإنسان أن لا تفتر عزيمته وتضعف قوته من أول

صدمة تصدمه في الحياة أو من أول وهلة تقابله في طريق المجد والعلا،

على أن المشاق في بعض الأحيان قد تكون سببًا في نيل المعالي وقد تكون دونه

في أحيان أخرى وقد يفهم بعض الناس غير ذلك ويظنون أن المعالي تنال بالكسل

فهو يستسلم للكسل والركون إلى الخمول وحب الجمود والخمود والسلامة من التعب ولكن

نقول لهم إن الرقاد والكسل أحلى منه قاتل عسل.

(٩)

إن العلم لقد صار فتنة + ومن كان يعقل في الناس

~~ولا عيب [illegible] [illegible] [illegible] الصحف [illegible]~~

[illegible] صغار الكسور . وصغار الأوطار

~~[illegible] لا يريد [illegible] [illegible] ولا يريد [illegible]~~

~~[illegible] [illegible] [illegible] ولقد قال بعضهم [illegible]~~

~~[illegible] [illegible] [illegible]~~ ويضيق الصدر بالأسلوب [illegible]

لا عيب في القوم من طول ولا قصر + جسم البغال وأحلام العصافير

[illegible]

طبعه مادام مرنا وقابلا للشكل وموافقا للوضعية الداخلية فصحته انه هيأته

وانه سيرافقه وصحة الطفل متوقفة على صحة والدته ويلزم عليها ان تلد

والام مدرسة اذا اعددتها ... اعددت شعبا طيب الاعراق

وبالجملة فالرجال في واجبهم ان يشتغلوا لهن ويعلموهن ويهيئوهن في واجبهن

تعليم الاطفال ما ينفعهم مادموا صغارا وما دامت افكارهم قابلة ...

[illegible]

[illegible]

وربما دل للشرف فهو لا يعرفه كالذي يتأمل الشيطان ويرى في نفسه رضاء وصلاحا ويتولى

على الناس فيستكثر الناس ويستعبد نفسهم أو يعجب بما أعطاه الشيطان من

حسن بصيرته وتمثال الحقيقة حسنة في قلب الآثم ويسره ويطلع الله

ويعلمه أن ذلك رأى البدعة ولا يعلم أن ذلك يتضعضع له دينه ودنياه

والله يعلم تم ما أفاد أعظم [illegible] الشريف

[illegible]

وجميع الأمم والشعوب ~~تقتصد~~ في وجودها ومجدها لا تنعم في هذه الدنيا ولا تنال رغباتها

إلا إذا تخلقت بهذه الأخلاق السامية وتلبست بهذه المزايا الجميلة التي تعود عليها بالسعادة

والمجد والمنفعة العظيمة أما إذا نبذتها وراءها ظهريا ولم تعمل بها بل اتصفت بكل أضدادها

ما يعاكسها من الرذائل والصفات القبيحة فإن ذلك يرجع عليها بالمضرة والانحطاط

وعدم التقدم في الأعمال ولقد قيل في الأخلاق

وما نهضت الدولات إلا إذا ارتقت ... في العلم والأخلاق وعاصروا

لآلئ حيث كل فضيلة ... ما احتوت عليه مكارم الأخلاق

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

صحت

[illegible]

وبنتيجة ما يجول [illegible]

وهو بالتأكيد رابح .

[illegible] هذه [illegible]

[illegible]

[illegible]

ترتقي بالأمة في وجدانها وتجعلها كتلة واحدة ترتبط بينهم وثيقة وبذلك يتعرفون على المشتركات

الأدبية ومن أجل هذه الوحدة فكيف لا نفكر فيه ؟

ازددت أن نقوم

لذلك كان من الواجب ما بعد هذا إذا قسمت البلاد وتفرقت والنفوذ ممتد عليها

أن تقوم بنشر ثقافة صحيحة وتحيي مجدها في صفحات الزمان وتحفظ كذلك في نفوسها

التي هي عمادها وأساسها وأن أعلام وحدة ولا يتسنى لها ذلك إلا بتكوين النوادي الأدبية

والأمكنة الثقافية التي تضم الأدباء والطلاب الذين أرادوا أن تتفتق أفكارهم ويتقابل بعضهم

البعض ويسمع بعضهم بعضاً ويتعلم الطلبة كذلك من الأدباء ويكتبوا عندهم إذا بلغوا

العلم الذي يقدمونه ليتعلموه ويتكلموه في تلك النوادي —

ويضم [illegible] بين يدي النظام كما [illegible] اي معارض لسده من خطئه [illegible] الصواب

[illegible] ما يقصده [illegible] وما يجب [illegible] والقاضي يحكم بالعدل بين الخصمين [illegible]

[illegible] ويلتزم [illegible] ....

ورجاء للشرف فهو لا يكون كالخامل الذي ينام الليل ويرى في النهار خاملا ويتوكل

على الكسل فيتكلف الناس ويستجدي فضلهم او يغلب على ظنه الشيطان

حيث يصور له الأعمال الخبيثة حسنة فيرتكب الآثام ويسرق ويقطع الطريق

ويظن ان ذلك راحة لبدنه ولا يعلم ان ذلك منقصة له في دينه ودنياه

وانه بذلك يتحمل شقاء أعظم من شقاء العمل الشريف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]

[illegible]

أيها الابن إن أساس حياة الأمم وفرة المال ووفرة الرجال:

المال مادة مهمة في هذه الحياة تحيا به الأمم وتسعد وتكون مجد أبنائها وتخلد لآثارها مجداً وصيتاً

حسناً لأنه يساعد على إنشاء المشاريع وإنتاج المصنوعات والتفنن في العلوم والفنون وتكثيرها

كذلك على إنشاء المعدات الحربية والتجارية والزراعية إلى غير ذلك من لوازم الحياة ومناهجها

فلا يستغني عنه فرد ولا مجتمع ولا صغير ولا كبير وجوده يرفع رأس الوضيع وعدمه يضع الرفيع

وبالجملة فالمال لا غنى للأمة عنه ولا محيص لأفرادها عنه فهو نورها إذا أظلمت الحياة وهدايتها إذا

إذا أظلمت السبل وغلبه سواد الصلاح والتقى لا يكون للأمة أن تعيش بدون المال ولكن هناك عنصر

آخر غير المال هم الرجال الذين هم أجدر وجداً بالمال وهم أرقى تمام الناس يفتشون عنه في طلب البقاء

لاستخدام نسلهم في حياتهم والأمة بالرجال تسود وتعلو إذ أن الجندي هو الذي يدافع

عن حوزة الوطن حماها والمقدم الذي يقوم بالزراعة ليمد للأمة المادة التي بها تعيش

وليس آخراً

[illegible] رأينا الذي يدرك عليه بأن فكرة ما يصلح شأنها ويعلي قدرها والعائق الذي

يقف بيننا وبين ما تحتاج إليه من أمر آخر كل هذا وتتوقف عليهم حياة الأمة

إلى ذلك الأمل في رجال ومال تتم أعمالها لا يصلح الرجال بدون المال ولا المال بدون الرجال

ولا تستغني الأمة عنهما إذا أرادت الكمال وهي إنما تحرز الرجال الصالحين والمال الكافي لمطالبها

فإذا بهم تبلغ سماء المجد وذروة العلا

[illegible]

الأستاذ حسين داود فطاني :

هو أخو أستاذنا الجليل إبراهيم فطاني، وكان مثله ذو خُلُق ونُبل، وحب لعمله وإخلاص فيه، يبذل وسعه ليستفيد طلابه الفائدة الكاملة من علمه الثرّ، ووقوفه قدوة لطلابه في حسن ما يأتي منه ـ رحمه الله ـ.

وأسرة الفطاني هذه أسرة مرموقة، لأنها بيت علم وأدب، نهلت من العلم وأنهلته، وأحبته وحببت إليه. وقد اكتشفنا مبكرين هذه الصفات الحميدة، وكنا نشعر بأبوة هذين العَلَمين، وكان الأستاذ حسين ـ رحمه الله ـ يدرسنا من جملة ما كان يدرس الأدب العربي وتاريخه.

ولأنه شاعر مبرّز غرِّيد، وشعره راقص، مطرب

للسامع، ويُحفظ بسهولة، ليس فيه تصنُّع أو تكلُّف، وإنما يأتي من سليقة وطبيعة، وكان لشعره وزن وقافية جذابان، يختار أوزانه بدقة تتناسب مع الغرض الذي حركه ليقول شعراً. كنا نحظى من شعره بما لا يحظى به غيرنا، ويبرنا بما لا يبرّ به غيرنا.

كان كثيراً ما يقرأ علينا بعضاً من شعره، بعضه من شعر قاله حديثاً، وأحياناً من شعر قادم لم تنته قصيدته بعد. كنا نفخر بهذه الميزة التي يختصنا بها ونباهي بها وبالشاعر زملاءنا في مدرسة تحضير البعثات بما نبزهم به وبأستاذنا إبراهيم كذلك. لقد كانا فعلاً مفخرةً، أبوّةً ورقّةً، وحناناً، وعلماً ضافياً، وسعة صدر، وحباً للتدريس وللدارسين.

وطلاب البعثات كانوا يفاخرون بأنهم يدرسون

مواد علمية، وبأن بعض أساتذتهم من مصر، وكنا نرد بأن بعض أساتذتنا تعلموا في مصر، وغرفوا من الوعاء نفسه الذي غرف منه الآخرون، وكانت المفاخرة لا تهدأ إلا لتبدأ من جديد، يثيرها أي ظرف، وتحركها أي مناسبة، ولكنها سرعان ما امّحت، وساد وئام، للقسم الداخلي منه نصيب وافر، لأن بعض (البعثاتيين) ارتاحوا في السكن مع (معهديين) ولا أنسى تعلقنا بقصيدة للأستاذ حسين ودّع بها بعض البعثات عند سفرهم إلى مصر في أوائل الستينات الهجرية، كانت حديث البعثات والمعهد والناس، كانت قصيدة راقصة جميلة ومعبرة، ومطلعها:

تهادت غادة اليم

فكفّ الموج حيّاها

وداعبها نسيم البحر

حتى مَاد عطفاها

فظل الكل يرمقها

وراح الشط يهواها

سفين في جوانحها

قلوب قد وهبناها

فباسم الله مجريها

وباسم الله مرساها

وهي طويلة.. ومن ذا الذي لا ترقصه هذه الأبيات؟ ومن ذا الذي لا يعجبه هذا الاستهلال البارع العبقري؟

كنا نذهب مع أساتذتنا إلى قصر السقاف للسلام على جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وكنا نصطف

أمامه، ويخطب عادة أستاذنا إبراهيم السويل مرتجلاً أمام جلالته، ويلقي الأستاذ حسين فطاني قصيدة رنانة، يطرب لها الحاضرون، ويكاد يكون هذا سنوياً، فإما أن يكون عند حضور جلالته للحج في يوم (٦) أو (٧) ذو الحجة أو عند بدء العام الهجري، وكأن الأول استقبال والثاني توديع.

وفي إحدى المناسبات وأمام جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ألقى الأستاذ حسين قصيدة عصماء، أذكر بيتاً أو بيتين منها:

أرسلت فكري في الزمان منقباً
وجعلت من أفنانه أوتاري
ولمست أمواج الحوادث مولعاً
فأصابني رجف من التيارِ

هذه الصورة البديعة التي رسمها في هذين البيتين تظهر مقدرته على التحليق بعيداً في الخيال بأجنحة من الواقع والحقيقة، وكنت كلما قرأت بعض أبيات للجارم معيّنة أتذكر هذين البيتين، يقول علي الجارم:

جمعت من فرع ذات الدل أوتاري

وصغت من بسمات الغيد أشعاري

وعشت للفن أحيا في بدائعه

بين الظلال وبين السلسل الجاري

إلى أن يقول:

الشعر إن لامس الأرواح ألهبها

كما تقابل تيار بتيار

ولا غرابة فالجارم خريج دار العلوم، ومدرس

فيها، وكان في ذروة مجده الشعري عندما كان الأستاذ حسين في دار العلوم دارساً، ولابد أن مستقاهما حينئذ كان واحداً، وموردهما عذب صاف، وهو الأدب الأندلسي.

وإذا كان للجارم هذه النظرة إلى الشعر فللأستاذ حسين ـ رحمه الله ـ نظرته، يقول الأستاذ حسين:

قالوا الحوادث بين شعرك جمّة
صَدَقُوا، فتلك مظنَّة الإلهام
أنا لا أروم الشعر زخرف لفظه
بل زفـــرة الامـــال والالام
هو من دم الحر النقي مسطر
فالـروح بين أسـنّة الأقـلام

والجارم بالروح نفسها يقول عن شعره:

أشدو فإن شئت أن تصغي لساجعة

من الخلود، فأنصت تحت أوكاري

كادت تزقّ يراعي الطيرُ تحسبه

وقد تغنّى بشعري سنَّ منقارِ

وهناك قصيدة تحمل أسلوب الأستاذ حسين الراقص المطرب، وكنا نشعر بأنها أسرع القصائد للحفظ، لأن الهزة التي فيها تذكرك بها ولا تنسيك، قالها ـ رحمه الله ـ مدحاً في الملك عبدالعزيز، عندما سافر إلى مصر، هو يمدح ولكن قصائده ملأى بالأهداف النبيلة التي يقدرها الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ:

سـفين تهـادت ومـوج زخـر

ودنيـا تسـائل سـر الخـبر

أعبدالعزيز يجوب البحار

لقد وجم الشطّ لمّا عبر

وأذكر في إحدى زياراتنا للملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في (السقّاف)، ونحن صف منتظم أمامه، والشعراء والخطباء، يتبارون، وقد ألقى الشيخ أحمد الغزاوي قصيدة في أول الحفل، ثم ألقى الأستاذ حسين قصيدة رحب فيها بمجيء جلالة الملك إلى مكة للحج، ومطلعها:

تحرك الركب صبحا

وجاء يبغي المصلا

ورافقته قلوب

سارت على الرحل رحلا

عبدالعزيز عليها

يطوي الفيافي سجلا

وفيها يقول:

النشء قد طاب غرساً

والغرس صادف وبلا

تفتَّح الزهر فيه

فطاب ندا وشكلا

من الصعب إيقاف القلم عن شخص تحبه وتقدره، وأرجو من القارئ أن يعذرني إن أطلت الحديث عن أستاذي، مما قد يخرج الحديث عن حدود المذكرات، فصفحات محدودة عن شاعر مثل هذا تقصير بحقه، وأرجو أن تتاح لي فرصة في يوم من الأيام فاستقرئ شعره، وأدرسه، وأبرز بعض الملامح التي تميز بها والصفات التي انفرد بها، وما أكثرها عند هذا الشاعر الفحل، والبلبل الغرّيد. ويحتاج الأمر إلى التمعن في مطالع قصائده، واستهلاله فيها، وتلمس

طرق دخوله للموضوع الذي هدف إليه في شعره، والفكَر التي تطرق لها، وكيفية المواءمة بينها، وتلمس مدى تأثره بمعاصريه، خصوصاً أبناء «دار العلوم» التي درس فيها، وعلى رأسهم علي الجارم، الشاعر المعروف، وهو من هو في وقته.

والأستاذ حسين كان أحد طلاب البعثة الثانية إلى مصر، وقد تخرج من دار العلوم، فكان بهذا مؤهلاً تأهيلاً يفوق كثيراً من المدرسين ممن لم يحصلوا على شهادات جامعية منتظمة في بعض المواد. وقد وكل إلى الأستاذ حسين تدريس الأدب العربي وتاريخه، كما قلت، وكان يتألق ـ رحمه الله ـ في أثناء إلقاء الدرس، وكنا نصغي إليه إصغاءًا تاماً، ببهجة ومتعة، ونتطلع إلى درسه بشوق كبير، وكان من عادته أن

يخرج مستطرداً إلى أمور خارج موضوع الدرس، وكان هذا يعجبنا، وكنا نحاول أن نستدرجه إلى أن يسمعنا شيئاً من شعره. وكان مثل أخيه الشيخ إبراهيم، شاعراً بحق، وفي الوقت نفسه هو فنان، لا يهتم بمظهره ـ رغم أناقته ـ فقد كان يأتينا في الغالب، خلافاً للمتوقع، بدون «غترة».

كنا نحبه ـ رحمه الله ـ لأننا كنا نشعر أنه منا ونحن منه، لا ينهر أحداً، ولا يؤنّب أحداً، لأن الخطأ في حضوره لا يتصور أن يحدث، وكيف يحدث هذا من طلاب ينصتون له وكأن على رؤوسهم الطير، في درس يتشوقون إلى بدئه، ولا يريدون أن ينتهي، والحقيقة أن ما يحتاج الطالب فيه إلى تأنيب، أو نهر، يكاد يكون معدوماً في تلك المرحلة التي بلغنا فيها

مرحلة إدراك فائدة العلم وتحصيله.

ومثل أخيه إبراهيم كان يسمعنا بعض القصائد التي كان سيلقيها فيما بعد في مناسبة من المناسبات مثل ذهابنا ومدير المعارف والطلاب للسلام على جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ عند مجيئه للحج.

ولكن هناك قصائد كان يسمعنا إياها ولا يذيعها للناس، وأذكر منها قصيدة تحكي قصة امرأة تسير في قارب على صفحة النيل تظهر وجدها على أحبّاء لها فارقوها صائفين. ومطلع القصيدة:

قائد الدفّة رفقاً بالسفين

إنها جذلى فدعها للخدين

تعشق الموج ويهوى ظلها

وهما خلان من منذ سنين

سـرت النشـوة في أرجائهـا

فانتشـت من قُبلـة ذات رنيـن

جعـل المجـداف في جانبهـا

فانثنـت للمـوج والمـوج رزيـن

في ذهني أشطر لم تكتمل لما يتلو هذه الأبيات من أبيات. ولعلي أجدها في يوم من الأيام، فأتدارك ما فاتني هنا. أو لعل أحداً من أسرته حاز عليها[1].

شيخ من آل زينل:

في عام ألف وثلاث مئة وستين للهجرة زارنا في المعهد ضيف محترم، كبير السن من آل زينل (لعله الشيخ محمد علي زينل ـ رحمه الله ـ)، وكان رجلاً مهذب الهندام، صبوح الوجه، حسن اللحية. وكان

(١) لقد عثرت عليها والكتاب ماثل للطبع، وقد أوردتها في صفحة (٤٠٥).

الأستاذ حسين فطاني، عندما دخل الشيخ مع السيد أحمد العربي، مدير المعهد والبعثات، يتحدث إلينا عن عوامل سقوط الدولة الأموية، وكان منسجماً في الدرس، وقعد الشيخ والسيد أحمد العربي، يستمعان، وقد شرح درسه ببراعة وإتقان. فلما انتهى شد الشيخ على يده، وقال: هكذا يدرس التاريخ وإلا فلا.. وكان ما قاله الأستاذ حسين تمهيداً لتاريخ الأدب في عصر الدولة العباسية.

وقد ابتدأ الأستاذ حسين في تدريسنا الأدب العربي منذ السنة الأولى في المعهد، في عام ١٣٦٠هـ، وقد وجدت ورقة من المحفوظات التي كان علينا أن نحفظها وبإملائه عن كليب وجساس وأخته، يجمل أن أذكرها لأُري المستوى الذي كان عليه

التدريس حينئذ، وهذه السنة الدراسية تساوي السنة الثانية المتوسطة بخطة الدراسة اليوم:

«قالوا لما قتل كليب اجتمع نساء الحي للمأتم، فقلن لأخت كليب:

رَحِّلِي جليلة عن مأتمنا، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب، فقالت لها:

يا هذه، اخرجي عن مأتمنا، فأنت أخت واترنا، وشقيقة قاتلنا.

فخرجت وهي تجر أعطافها، فلقيها أبوها مُرَّة، فقال لها:

ما وراءك يا جليلة؟

فقالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد حليل، وقتل أخ عن قليل، وبين ذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد.

فقال لها أبوها: أَوَيكف ذلك كرم الصفح، وإغلاء الديّات؟

فقالت: أمنية مخدوع، ورب الكعبة، أبي البدن تدع لك تغلب دم ربها؟

قالوا: ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب:

رحلة المعتدي، وفراق الشامت، ويلٌ غداً لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّة.

فبلغ قولها جليلة، فقالت:

وكيف تشمت الحرَّة بهتك سترها، وترقُّب وترها، أفلا قالت:

نفرة الحياء، وخوف الأعتداء، ثم أنشأت تقول:

يا ابنـة الأقوام إن شـئت فـلا

تعجلـي باللـوم حتى تسـألي

فـإذا أنـت تبيَّنـت الـذي

يوجب اللوم فلومي واعـذلي

إن تكن أخت امرئ ليمت على

شـفق منها عليه فافعلـي

جلّ عندي فعل جسّاس فيا

حسرتي عما انجلت أو تنجلي

فعل جسّاس على وجدي به

قاصـم ظهري ومُدنٍ أجلـي

يا قتيلاً قـوّض الدهـر بـه

سقف بيتي جميعاً من علِ

هـدم البيت الذي استحدثته

وانثنى في هدم بيتي الأوّلِ

يا نسائي دونكن اليوم قد

خصني الدهر برزء مُعولي

خصـــني قتـــل كلـيب بلظـــاً

من ورائـــي ولظـــاً من أســـفلي

ليـس من يبكـــي ليوميـــه كمـــن

إنمـــا يبكـــي ليـــوم مقـــبلِ

يشـــتفي المـــدرك بالثـــأر

دَرْكُ ثـــأري ثكـــل للمثكـــل

إننـــــي قاتلـــة مقتـــولة

فلعـــلّ اللّه أن يرتـــاح لـــي

من هذه القصيدة وأمثالها كانت بذرة الأدب عندنا في ذلك الوقت. أحببنا الأدب العربي، وعشقنا اللغة العربية، وهِمْنا بدروس البلاغة والنحو، لأن أساتذتنا حببوها لنا، ورعوا سيرنا على طريق سهل ممهد، واطمأنوا إلى أنهم وضعونا على الصراط المستقيم فيه، ومن حسن حظي وحظ من واصلوا

دراستهم في دار العلوم بعد المعهد أن الروح عند أساتذة دار العلوم هي الروح التي كانت عند أساتذة المعهد ـ رحمهم الله جميعاً ـ فنعم الغرس ما غرسوا، ونعم الثمرة ما جنينا.

قالوا لما قتل كليب اجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت كليب رحلي جليلة
عن مأتمنا فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فقالت لها يا هذه
اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا فخرجت وهي
تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت
ثكل العدد وحزن الأبد وفقد حليل وقتل أخ عن قليل وبين
ذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد فقال لها أبوها أو يكف ذلك
كرم الصفح وإغلاء الديات فقالت أمنية مخدوع ورب الكعبة
أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها قالوا ولما رحلت جليلة
قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غداً
لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قول جليلة فقالت : وكيف
تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أيتد قالت : نفرة
الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشأت تقول

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على ... شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به ... قاصم ظهري ومدن أجلي
يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالثأر وفي ... درك ثأري ثكل المثكل

انني قاعدة معقولة   ولعل لبيد ابن ربيعة حجة

عبد العزيز الكلاوي

السنة الأولى معهد (قسم المعلمين)

١٢٦١

الاستاذ الأديب حسين فطاني

تَصَيُّد:

كان حبنا للشعر والأدب يرجح على كل المواد الأخرى وتركيزنا على الغزل يقدم على كل أغراض الشعر، ولهذا لا نسمع عن قصيدة فيها إبداع وجاذبية إلا واقتنصناها من أساتذتنا الذين لا يبخلون علينا، سواء بإملاء القصيدة علينا، أو بإرشادنا إلى الطريقة التي يمكننا بها الحصول عليها.

وهذه الأشعار، برغم أنها تصف المرأة، وتتحدث بتفصيل عنها وبإسهاب إلا أنها لا تخرج عن حدود العفّة، وقد يكون لسن المراهقة حينئذ دخل في إقبالنا على هذا اللون من الشعر. على أني أؤكد على أن الجاذب الأكبر لنا إلى أي قصيدة هو الإبداع فيها، والخطة المبتكرة، مثل أبيات جليلة التي مرت

بنا، وكأنها قصة، فقد سارت متدرجة من حدث إلى حدث، وأظهرت الشعور السائد في ذلك المحيط الصغير، نتيجة الحدث الجلل الذي وقع، وما سيتلوه من حوادث، وما سيعقبه من حروب، ودماء وثارات، وقطيعة بين حيين كان كل منهما قريباً من الثاني وملتصقاً به بالعرق والرحم.

كل شعر فيه روح الشعر الأندلسي ـ كما قلت ـ يجذبنا، سواءً كان شعراً أندلسياً بالفعل، أو يسير على نهج الشعر الأندلسي. وأمامي الآن قصيدة من هذا النوع، وفيها صورة مبتدعة: حديث بين حبيبين، مليء بالاستعارات والصور البديعة، وتسلسل الأفكار، مسرحها البديع روض من الرياض الغناء، وإلباسها للإنسان، وهذه هي:

عاتبت ليلاي بين الورد والآس

والياسمين حياءً امطرق الراس

بينا غدا البدر مختالاً يسارقنا

نظراته بمسرات وإيناس

أراقه ما رأى من منظر بهج؟

أم راقهُ حمرة في خد الماس؟

سله فليس سواه شاهد حكم

ينبيك عن عفة تسمو بإحساس

فلم يكن بيننا إلا الحديث به

نلتذ في غفلة عن أعين الناس

قالت وفي قولها عطف ومرحمة

تريد باللطف إبهاجي وإيناسي

أما ترى الروض مزهوّاً بنضرته؟

والسرو بين ثناياه كحراس

والنرجس الغض لا ينفك يرمقنا

كالمستهام بطرفٍ جدّ نعّاس

والجلّنار كخدي في تلهبه

وقد تساقط منه الطلّ كالماس

وللرياحين عُرف عاطر عبق

كأنما عبقت من طيب أنفاسي

وللنسيم بأغصان الربى وَلَهٌ

فراح يلثمها في الجيد والراس

هذه الصور البديعة في هذا الشعر المنير بالاستعارات يجذبنا، فنتصيد منه ما نجده في الكتب، أو نسمعه من أساتذتنا المعجبين مثلنا بهذا النمط من الشعر. وعندما يتذوق الإنسان هذا النوع من الشعر فإنه يبحث عنه في مظانه، وينقب عنه في مخابئه، وقد بلغ بنا الأمر ونحن لسنا شعراء أن نستعير هذه الصور

الجميلة في خطاباتنا مع أصدقائنا، «فتحية أرق من النسيم، يحسد حلاوتها الشهد، ويغار من حرارتها دفء القلب».

لهذا لما سمعنا عن الأبيات التالية اقتنصناها، وهي تسير على النمط الذي سارت عليه: «عاتبت ليلاي بين الورد والآس»، جدل رقيق، وحجج دامغة:

قال أحد الشعراء:

أفدي التي لو رآها البدر مال لها

شوقاً ولو كلمت صخراً لرق لها

حوريــة لو رآهــا عابــد للهــا

مرت بحارس بستان فقال لها

سرقت رمانتي نهديك من شجري

***

قالت: وقد بهتت من قوله خجلا

فتش قميصي عسى أن تُذهب الوجلا

فهمّ أن يقبض النهدين ما مهلا

فصاح من وجنتيها الجلنّار على

قضيب قامتها: لا بل هما ثمري

***

هذا الجدل الممتع بين حارس البستان والحورية المارّة ببستانه، واتهمها بسرقة بعض آيات الجمال فيه من أزهار وورود وفواكه، فانبرى له محام نابه، ودافع عن الحورية المتهمه، وأثبت أن الحارس واهم، وحق له أن يكون واهماً!!

وسوف نتصيد الإبداع في القصيدة التالية، ونقتنص الجديد الجميل في صورها. وقد توافرت وسائل

الجذب فيه خطة وأسلوباً ووزناً وقافية. هي قصة شعرية تدور أحداثها بين أم وابنتها، وقد حلق الشاعر في الخيال، وسارت قاطرة فكره على قضيب لم يسلك من قبل، وانطلق على جادة بكر في الفكر والتصوير، وقد شدَّنا وشدَّ من قبلنا، وهي لشاعر سوري، ولعله من شعراء المهجر أو من قد تأثر بهم:

أتت هند تشكو إلى أمها

فسبحان من جمع النيّرين

فقالت لها: إن هذا الضحى

أتاني فقبّلني قبلتين

وفرّ فلما رآني الدجى

حباني من عنده خصلتين

وذوّب من لونه سائلاً

وكحلني منه في المقلتين

خرجت إلى الروض كي اختبي

وأحجب نفسي عن كل عين

فناداني الروض يا روضتي

وهم ليفعل كالأولين

فغطيت وجهي ولكنه

إلى الصدر يا أم مدّ اليدن

ففتحت عيني على أنني

وجدت بصدري رمانتين

فرحت للبحر للإبتراد

فحمّلني ويحه موجتين

فقالت لها أمها يا ابنتي

وبهجة كل فؤاد وعين

عرفت الألى قلتهم واحداً واحداً

وذقت الذي ذقته مرتين

الإبداع في هذا أن الشاعر اختط خطة متقنة سار عليها دون أن يحيد عما رسمه، وأخذ طريقاً لوصف نضارة وجه الفتاة، وشدة سواد شعرها، وسواد عينيها، وبروز نهديها، وثقل كفلها، لم يعرفه من سبقه، ولو أراد أن يكون مثل غيره، لقال إن سواد شعر الفتاة مثل الليل، ونضارة وجهها مثل الضحى، وثدييها مثل الرمان، وكفلها مثل موج البحر، ولو فعل ذلك ما التفتنا له.

شاعر محلق:

كان هناك شاعر محلق في أفق الإبداع، من بين أساتذتنا، تعمّدت أن لا أبوح باسمه، لأنه منتقل إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، ولم أستأذن أهله في ذكر اسمه، وقد يرون أن ذكر اسمه غير مناسب لمقامه،

وأنهم يخشون أن ينتقده بعض الذين لا يدركون أن الغزل لا يخل بمنزلة الشخص، ما دام عفيفاً، حتى لو كان الشاعر مدرساً، أو في وظيفة محترمة مثل التدريس، ولا يدركون أن الشعراء، خاصة في بعض حقب الماضي، يعدون نقصاً في الشاعر إذا لم يطرق جميع أغراض الشعر، وفي مقدمتها الغزل.

وكان ـ رحمه الله ـ يسمعنا إياها، وأظنه لم يخفها عن غيرنا، ولعلنا كنا أكبر مجموعة منتظمة تطلب منه ذلك، ويُسمعها ما عنده من إبداع، وتحليق، وسيرى القارئ أننا أمام ثروة أدبية، وما آتي به هو نموذج منها، والله أعلم بما وراءه من تدفق شاعري!

خطرتْ فأخجلت الغصون

ورنت فأرسلت المنون

ومنها:

خَوْد ردَاح بَضّة

حوت المحاسن والفنون

ومنها:

لله ما أحلى الهوى

في خلوة بين الغصون

جعلت تساقيني الجوى

الصافي بكأس من معين

وغدت تشنف مسمعي

إن الحديث لذو شجون

فسألتها معنى الهوى

وهو المسطّر في الجبين

قالت تراه مجسّماً

ما بين لحظات العيون

إن قالت الأجفان كن

صبّاً بنا أفلا تكون

فأجبتها بترفق.....

وضممتها في حسن لين

يا منيتي يا بهجتي

ليس الهوى ما تدّعين

إن الهوى ألم به

يتلذذ القلب الطعين

وشقاوة فيها السعا

دة والهوى للمغرمين

داء عضال غير أن

يُرضي النفوس فتستكين

ذلّ وعـــــزّ شــــامخ

صـبر وســـهد في أنيـــن

وصـــل وهجـــر لـــذة

من فـوق ما تتصـورين

***

نظرت فأعجبت المصونه   ورنت فأسلبت العيونه

ونشر شعر ردائي بعضه   هوت الجماعة [illegible]

لله ما أهل الهوى   ما أحلوة بها المصونه

جعلت تسقيني الهوى   الصافي بكأس من ذهب

وغدت تشنف مسمعي   أن الحديث لذة شجونه

فأنا مضنى الهوى   وهو المطل في الحبيب

قالت تراه محبها   ما بين قطعة من لهيبه

إن قالت الأحباب لي   حسبا بما أحد تكونه

فأصبحت تحرقه ...   وشمعة وحسبه لهيب

يا مشبهي يا حبيبي   ليس الهوى ما قد [illegible]

إن الهوى ألم به   يتلذذ القلب الطروب

وشفاؤه [illegible]   ره والرضا للمحبين

داء شفاك غير أنه   يرضى المفرق فتتلين

ذل وعشق ساعة   صبر وسهر [illegible] أين

وصل وهجر لذة   لا تعرفه ما تعرفه

وهكذا، جمال سبك، وقوة تعبير، وتماسك أجزاء، وتسلسل أفكار، قوَّاها اختيار التخاطب بين اثنين، وحسن اختيار السؤال، وحسن اختيار الجواب، فكرة تتبع فكرة، ومن عدم التكلف يكاد القارئ يسبق الشاعر على السؤال المهم، والجواب الصائب.

هذا نموذج مما كان يتحفنا به أستاذنا المحبوب الذي لم يكن يرفض لنا طلباً، أما الجانب الآخر فهو تخميس بعض القصائد المشهورة، خاصة بعض القصائد الأندلسية، المتصفة بالرقة، وتصوير بيئة الأندلس الخضراء، وما فيها من مروج وأنهار، وورود وأزهار، وهذه إحداها، وهي تخميس للقصيدة: «يا جارة الوادي»:

غنى الهزار على الغصون فهاجني

وأعاد لي الذكرى وحرك ساكني

ناديت من فرطي ومما نالني

يا جارة الوادي طربت وعادني

ما يشبه الأحلام من ذكراك

***

فسمت بملكوت الخيال تحيّراً

روحي ودمع العين مني قد جرى

قسماً ومن بالحب قد قدرا

مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى

والذكريات صدى السنين الحاكي

***

لهفي على زمن مضى في لمحة

أسفي على ساعات وصل حلوة

تلك الليالي هل لها من عودة

ولقد مررت على الرياض بربوة

غنّاء كنت حيالها ألقاك

***

وعلى ليل ذؤابتيك لقد سجا

وشذاه أنعشني وفارقني الحجا

وبقيت لا أبغي لنفسي مخرجا

ودخلت في ليلين فرعك والدجا

ولثمت كالصبح المنوّر فاكي

***

أيام كنا بين أكناف الجوى

وكلانا من خمر الغرام قد ارتوى

قسماً ....[1]

لم أدر ما طيب العناق على الهوى

(١) غير واضحة في الأصل.

حــتى تلطــف ســاعدي فطــواك

***

ووضعــت أول قبلــة بتوجّــد

بين الشفاه وصفحة الخد الندي

وتنهــداتك قابلــت لتنهــدي

وتأودت أعطاف بانك في يدي

واحمــرّ من خَفَــرٍ بهمــا خــداك

***

وبذلك أرضينا الهوى فتقابلت

روحــانا في أحوالــه وتناغيت

وأظلّنا صمت الغــرام فما وفــت

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت

عينــاي في لغــة الهــوى عينــاك

***

تخميس القصيدة أصعب من إنشائها، فإنشاؤها يعطي فرصة التصرف بالمعاني والأفكار، أما التخميس فالشاعر مقيد بكل شطر في القصيدة.

وهناك قصيدة أخرى، خمسها ـ رحمه الله ـ وأنا حينما آتي بأكثر من قصيدة مخمسة أهدف إلى إظهار مقدرته في التخميس، على الرغم من قيود أبيات التخميس، وفي الوقت نفسه أريد أن أُري اهتمام الشعراء والأدباء به في مرحلة من مراحل الفكر في بلادنا:

ناحت على غصنها الزاهي فأبكانا

نواحها، وأهاج الوجد أشجانا

أكلما جن ليل زدت تحنانا

صداحة الروض ما أشجاك أشجانا

نوحي بشكواك أو نوحي بشكوانا

***

فالحـب إنّا بلغنـا فيه غايتـه

والصـبر إنا تجرّعنا مرارتـه

والشوق أذكى النوي في القلب جمرته

ذاب الفـؤاد أسـىً إلا بقيتـه

الآن أذرفهـا من دمعـي الآنـا

***

ألا نسيم البحر من المحبوب أُطِف به

لواعـج الشوق أو بـرق أُسـرّ بـه

مهما أقاسـي عناءًا من تجنبـه

للحب عندي سرّ لا أبوح بـه

إلا دموعـاً وأنّـات وألحـانـا

***

لله أجفان عين لم تذق وسنا

ومهجة كم تقاسي لوعة وعنا

أواه من كبد حرى تذوب ضنا

في ذمة الله قلب لم يجد سكنا

يأوي إلى ظله فارتد حيرانا

***

فيا نسيم الصبا أسعفه بالردد

ويا عيون المها في قتله اتّئد

يا نجم ساهره يا أحلامه احتشد

يا بدر ناجيه (كذا) يا نيرانه ابترد

يا دمع واله سرّاً وإعلانا

***

قضاء الحب أمر الله قد نفذا

ومقلتي دمعها والله قد نفذا (كذا)

وما لروحي سوى هذا الغرام غذا

يا غصن لبيك إن تأمر فها أنذا

من خير ما ملكت يمناك عبدانا

***

أنا المحب الذي عنه الغرام روى

ورافع في سماء الحب خيرَ لوا

أنا العليل ولا أبغي لنفسي دوا

حسبي إذا الحب أضناني فمتّ جوى

إن أبنوني فقالوا كان إنسانا

***

روح شعر الأندلس كانت هي المسيطرة، ومعها روح شعر المهجر، وهذا تأثيره جاءنا من الشام. ومن القصائد التي كان الأدباء والشعراء عندنا يقفون عندها بإعجاب القصيدة التي مطلعها:

يا عروس الروض يا ذات الجناح | يا حمامه
سافري مصحوبة عند الصباح | بالسلامه
واحملي شوق فؤاد ذي جراح | وهيامه

وهي قصيدة طويلة أبياتها أربعة وعشرون بيتاً، وهي لأحد شعراء المهجر كما فهمنا، وهي راقصة، وقلّ أن تجد في ذلك طالباً متجهاً للأدب إلا ويحفظها.

كان وقت دراستنا في مراحل الدراسة المتقدمة وقتاً تحسسنا فيه طعم الأدب والشعر، وكانت قراءتنا الجانبية تطغى أحياناً على ما في المنهج المقرر من معلومات نحتاجها لننجح في الامتحان، ولهذا كنا نحاول أن نعطيها حقها مبكراً لكي نتفرغ براحة بال لهوايتنا الأدبية.

ما نقرؤه من كتب الأدب:

كنا في تلك المرحلة نختطف الكتب اختطافاً عندما ترد للمكتبات ونتسابق إلى حيازة المجلات، وكانت الحرب، للأسف، قد قللت الوارد من كل شيء، فإذا وصلت نسخ فأعدادها محدودة، وأغلبها محجوز، ولا تكفي كل منتظر لها، فكان كل واحد منا في فصلنا يشتري كتاباً، أو جزءًا من كتاب، ثم نتداول ما اشتراه كل واحد منا بيننا. ومن هذه الكتب مثلاً كتب الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي جميعها[1]،

---

(١) يبين الدكتور زكي مبارك أسباب توفر كتب المنفلوطي في تلك الفترة، فيقول: «فلما جاءت الحرب غلا الورق غلاءًا شديداً، وتخاذلت الصحف والمجلات، وضاقت الميادين أمام الناقدين، وخلا الجو للمرحوم المنفلوطي، فكان وحده المؤلف، وكان وحده المنقود» (ص» ١٢٨) من كتاب: «زكي مبارك في العراق»، لعبدالعزيز الهلالي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٧٦م، اقتباساً من محاضرة لزكي مبارك عن: المذاهب الأدبية في مصر، ألقاها في «نادي القلم» في ١/ ١/ ١٩٣٨م..

وكتاب «ليلى المريضة في العراق» لزكي مبارك، وقد حسَّنت هذه الكتب من كتاباتنا في درس الإنشاء ومن أسلوبنا. وكان أقدرنا على الإنشاء المتميز أحمد بن سالم.

وعَدَدْتُ ثروةً أن أحصل على مقامات الحريري، وعلى كتاب نفح الطيب للمقّري، وهذا الكتاب حبّب إليّ الأدب الأندلسي، ولا أحصي عدد المرات التي قرأته فيها، وهو مازال عندي، وينقصه أحد الأجزاء، لأن هناك من استعار هذا الجزء ولم يعده. وقد عوضته كاملاً من طبعة جديدة الآن.

كانت ذاكرتنا آنذاك قوية، وكنا نستوعب بسرعة، وهذا أفادنا، لأن شواغلنا في هذه السن المبكرة قليلة، وصفحة الذاكرة لاتزال بيضاء، تنادي من يملؤها، وكنا لهذا مقبلين على الدراسة، والتهام ما يُعطى لنا.

وكانت المكتبة الوحيدة في تلك الأيام التي تُعنى بالكتب الأدبية هي مكتبة الميمني، وتقع بجانب البريد في حارة القشاشية. وهناك مكتبات عريقة في باب السلام تبيع أكثر ما تبيع أمهات الكتب الدينية، وتبيع كذلك بعض المخطوطات، وهذه المخطوطات تتجمع عندها من التركات، ومن بعض الحجاج والمعتمرين والوافدين، وهؤلاء أيضاً يشترون كثيراً من الكتب. أما الميمني فيبدو أن عمله الرئيس بيع الطوابع، والجرائد والمجلات، أما الكتب فتأتي بالدرجة الثانية.

الشيخ محمد بن مانع والكتب :

كنت واقفاً أمام دكان الميرزا في باب السلام، في يوم من الأيام، قبل صلاة المغرب، فأقبل الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ فناداه عبدالعزيز ميرزا،

وقال له:

عندي ثلاثة كتب، وهي ممّا يهمك، وهذه هي. فنظر الشيخ فيها، ويبدو عليها القدم، ولا أدري هل هي مخطوطة، أو مطبوعة قديماً.

فقال له: سوف ابتاعها ولكن ابقها عندك إلى أن أخرج من الحرم للبيت بعد صلاة العشاء إن شاء الله. ثم أردف قائلاً:

لا تظن، يا ميرزا، أنني أقرأ كل هذه الكتب، ولكن شيء في النفس، لأني إذا عنَّت لي مسألة وسط الليل، ولم أجد الكتاب الذي هي فيه عندي شعرت وكأنه لا كتاب عندي البتة، وإذا وجدتها في كتاب عندي فكأن كل كتاب في الدنيا عندي.

السيد أحمد العربي:

السيد أحمد العربي كان مدير المعهد العربي السعودي ومدرسة تحضير البعثات الثانوية، وكلاهما مقرهما «قلعة هندي» في جبل هندي، المطل على الحرم الشريف. وكان ـ رحمه الله ـ ممن تخرج من المعهد، ولعله من أوائل من التحق به عند فتحه في عام ١٣٤٥هـ كما فهمت. وكان ضمن أول بعثة ذهبت إلى مصر، وقد التحق بدار العلوم، وتخرج منها ـ رحمه الله ـ.

وكان رجلاً فاضلاً، وإدارياً ممتازاً وحازماً، وكانت له هيبة، وله تقدير من رؤسائه، ولا أدل من ذلك إلا وضعه مديراً لمعهدين هما قمة التعليم في ذلك الوقت. وكان شاعراً وأديباً، وخطيباً مفوهاً، إذا ارتجل أشبع سامعيه مما هو يتحدث عنه، وكان

سمح الوجه طلق المحيا ـ رحمه الله ـ، وكان معه كاتب، أديب كذلك، هو الأستاذ سراج خراز.

وكان السيد أحمد العربي نشيطاً في عمله، ينظم الأعمال، ويشرف على سير الدراسة، ووضع الخطط للمعهدين والمناهج، وهو مربّ قدير، ولا غرو فهو خريج كلية علمية أدبية تربوية، كانت تعد المعلمين لعلوم الشرع والأدب.

وأذكر أن صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز (الملك سعود فيما بعد) ـ رحمه الله ـ زارنا في القلعة، فأقيم لسموه حفل تكريمي بمناسبة هذه الزيارة، ألقى فيها السيد أحمد العربي قصيدة عصماء، جاء في أولها:

رفل اليمن وارفا في رحابه

ومشى موكب المنى في ركابه

زائر طوف المعارف والعلـ

ـم فخاراً يبقى مدى أحقابه

وأمير حبا بتكريمه العلـ

ـم فأذكى الطموح في طلابه

وهي طويلة (٣٦ بيتاً) وقد نشرت في أم القرى في يوم الجمعة ١٦ محرم سنة ١٣٦٢هـ الموافق ١٩٤٣م في الصفحة (٣).

الأستاذ إبراهيم السويل:

الأستاذ إبراهيم من الدفعة التي تخرجت من دار العلوم، وكان ذكياً، ومتميزاً في دراسته. وقد

أصيب وهو طالب في دار العلوم بمرض في فقرات الظهر أوجب بقاءه مدة طويلة في المستشفى، وبدأ الامتحان، ولم يرد أن يتأخر عنه، فاتفق مع الممرض أن يخفي ذهابه للكلية لأداء الامتحان، وكان يهرب من نافذة الحمام، ويؤدي الامتحان ويعود دون أن يشعر به أحد، وكانت المفاجأة عندما ظهرت النتيجة، واستغرب الذين لا يعرفون بدخوله الامتحان، كيف ينجح وهو لم يؤد الامتحان، ثم ظهرت الحقيقة، وكان متقدماً في درجاته.

وإبراهيم ـ رحمه الله ـ لا يُعرف عنه أنه غضب؛ كان طويل البال، واسع الصدر، هاشاً باشاً دائماً.

كان من الذين يلعبون بالألفاظ، فيقول الكلمة تبدو ولها معنى، ولكن عند التمعن يظهر لها معنى

آخر، ولعله المقصود. قعد ذات مرة يلعب الشطرنج مع صديق له، وتحرك الصديق في اللعب حركة تعد حركة متقنة، فأخذ هذا الصديق يفاخر بها إبراهيم. فقال له إبراهيم: ماذا يعمل من يلاعبك؟ أصل أخوك حمار. من لا يعرف إبراهيم يظن أن إبراهيم يصف نفسه، ولكن الجملة تعني أنه إذا كان أخو اللاعب الذي يقابله حماراً فهو حمار، لأن أخا الحمار حمار!.

مع الأستاذ إبراهيم في درسه :

كان الأستاذ إبراهيم يدرسنا علم النفس، وهي مادة جذابة، وكان يحرص أن يشرح الدرس لنا باختصار، ثم يملي علينا شيئاً عنه يثبت في أذهاننا ونعود إليه في وقت المذاكرة والاسترجاع. وكان يبتكر الطرق لتدريسنا. وفي كل درس جديد طريقة

جديدة. دخل الفصل يوماً وكتب على السبورة جملة: «الدحول ممتوغ»، وطلب منا طالباً طالباً، أن نقرأها، فكلنا قرأناها: «الدخول ممنوع»، فقال: أنا لم أكتب «الدخول ممنوع» كما قرأتم، وإنما كتبت: «الدحول ممتوغ». ثم قال درسنا اليوم: قوة الملاحظة.

الأستاذ إبراهيم السويل شخصية تستحق أن يُكتب تاريخها، في الدراسة، وفي التدريس، وفي العمل في الخارجية، وفي السفارات، وفي الوزارات التي عمل فيها، وخير من يعرف جيداً تاريخه المبكر صديقه وزميله الأستاذ الحبيب أحمد بن علي المبارك، فليته يتولى كتابة تاريخ حياته، ففيها عظات، وفيها كذلك وفاء لرجل أدى واجبه تجاه وطنه وأمته.

أخبرتني عمتي ـ رحمها الله ـ عندما أخبرتها بأن

إبراهيم كان «طويل البال»، ولم يُر قط غاضباً، في حين كان والده عبدالله ـ رحمه الله ـ خلافه «حاراً»، فقالت: إن إبراهيم كسب هذا الطبع من والدته ـ رحمها الله ـ فهي تعرفها جيداً، لأنها كانت من أسرة آل خويطر، وكانت هادئة ولا تغضب، فلعل لها أخوالاً كانوا هادئين، فكسبت ذلك منهم، فالعرق دسّاس.

سوف آتي بنموذج لما كان يدرسنا إياه الأستاذ إبراهيم السويل في علم النفس في آخر سنة لنا في المعهد العلمي السعودي في قلعة هندي.

مثال لمنهج علم النفس:

المنهج الذي كان يدرّس لنا في السنة النهائية في المعهد (السنة الثالثة الثانوية) يحتوي على المواضيع التالية:

* موجز تاريخي لعلم النفس
* ما هو علم النفس
* علم النفس والتربية
* الشعور
* بؤرة الشعور وحاشيتها
* مظاهر الشعور وتحليل الحياة النفسية
* علاقة هذه النواحي بعضها ببعض
* السلوك وأقسامه:
- أقسام السلوك الفطري
- الفرق بين العمل الآلي والعمل العكسي
* الأعمال الغريزية والغريزة
* دراسة بعض الغرائز

* النزعات العامة
* الإنفعالات
* أثر الانفعال في العقل
* الإنفعال والغريزة
* لماذا ننفعل ؟
* الفرق بين الانفعال والعاطفة
* التصور والتخيل
* التصور والأدب
* التخيل
* الاختراع
* فوائد التخيل في جميع مرافق الحياة
* الإحساس والإدراك الحسي

هذه بعض العناوين الرئيسة، ويندرج تحت بعضها عناوين فرعية. وكان درس علم النفس من أحب الدروس علينا، ومن يرى عنايتي بدفتره يتأكد من هذا، وعمق حبنا لهذا الدرس حبنا لأستاذنا إبراهيم ابن عبدالله السويل ـ رحمه الله ـ.

الأستاذ عبدالله عبدالجبار :

أستاذنا عبدالله عبدالجبار هو أحد الذين التحقوا مدرسين بالمعهد وتحضير البعثات، وكان يدرسنا التربية بقسميها النظري والعملي في السنة النهائية لنا في المعهد وهي السنة الثالثة قبل أن تمدد مدة الدراسة في المعهد إلى خمس سنوات.

وكان الأستاذ عبدالله ـ أمد الله في عمره ـ متمكناً

من علمه مثل بقية زملائه خريجي كلية دار العلوم في القاهرة، وهم ـ حسب ما أذكر ـ خمسة: إبراهيم السويل، عبدالله عبدالجبار، حسين فطاني، عبدالله الخيال، عبدالله الملحوق. والإثنان الأخيران التحقا بوزارة الخارجية، أما الأستاذ إبراهيم وحسين فقد التحقا بالخارجية بعد أن درّسا في القلعة سنتين أو ثلاثاً.

كان أستاذنا عبدالله عبدالجبار، مريحاً لنا في تدريسه، فمعه كنا نتمكن من تدوين ما يلقيه علينا من محاضرات، لأنه كان يتكلم بتأن، متحرياً دقة الألفاظ لتتمشى مع المعاني التي يقصدها. وكانت جاذبية درسه تأتي أيضاً من أن المادة جديدة علينا، ومهمة لنا، ونحن نُهيأ للتدريس فيما بعد، وسيكون ما يعطينا إياه أساساً لما سوف نضيفه عندما ننتقل

إلى المرحلة الجامعية عندما نبتعث.

والجانب النظري نتساوى فيه نحن الطلاب، والاختلافات بيننا في الجانب العملي. وكنا في آخر سنة، في كل أسبوع، نؤخذ إلى مدرسة ابتدائية، يرتب الأمر معها مقدماً، فيحل أحدنا محل المدرس الأصل، ويقوم مقامه، في مادة يختارها الأستاذ عبدالله عبدالجبار، وجاء نصيبي في يوم من الأيام لكي ألقي درسي في المدرسة العزيزية في الشامية، بجوار البازان، وكان الدرس «محفوظات». فاخترت أبياتاً لحافظ إبراهيم عن القطار، تبدأ بالبيت الآتي:

وقاطرة ترمي الفضا بدخانها

وتملأ سهل الأرض في سيرها رعبا

وكانت الطريقة التربوية التي اخترتها لتحفيظ

الطلاب هذه الأبيات الستة، ما يسمى في علم التربية: «المحو والإثبات» وقعد الأستاذ عبدالله في مقدمة الصف في الجانب الأيمن وقعد زملائي خلف الطلاب في الصفوف الخلفية.

ولم يكن الموقف يخلو من رهبة، وصرت في عراك مع الخوف، فإذا حاول أن يدهمني صددته بحجة دامغة، فإذا جهّم لي الخوف من الأستاذ، حاججته بأن الأستاذ أستاذي، وما جاء إلا ليعلمني، فإن أحسنت فالحمد لله، وإن قصرت عن الهدف أرشدني، ولم يسبق أن خفت منه في امتحانات النظري، فكيف أخاف منه الآن، وقد هيأت نفسي بكل ما علمني إياه عن هذا الدرس وأمثاله.

ثم يحاول الخوف أن يأتيني عن طريق زملائي،

فأعينهم محدّقة، وآذانهم مصغية، وأوراق الملاحظات بيضاء لابد من ملئها، والأقلام سيوف مسلولة لتسقُّط الهفوات. ولكني كنت أكبح هذا الخوف من الزملاء بحجة أقوى، وهي أن هؤلاء الطلاب قلوبهم ترتجف من الآن من الموقف الذي سوف يقفه كل واحد منهم في المرات المقبلة، فهم لذلك في شغل شاغل عني بأنفسهم. كذلك عليهم أن يراعوني فيما يبدونه من ملاحظات ليكون ذلك دينا لهم عندي عندما يكون أحدهم في مكاني اليوم، وأكون في مكانه غداً، وبهذه الأفكار أقفلت باب الخوف في قلبي.

ولكن الخوف لا ييأس، ولا يلبث أن يأتيني من ناحية هؤلاء الصغار، مادتي الأولى، في هذه العملية، تُرى هل أجد فيهم طلاباً نجباء يستفيدون

مما أقول. أو تنشغل أذهانهم بهؤلاء الضيوف الذين حلوا عليهم؟ ويتساءلون لِمَ جاؤا؟ ولم حرموهم من درسهم المنتظم وأستاذهم الذي عودوا عليه، وحرموه منهم؟ وهجوم الخوف لم يكن لينقطع لولا أن قطعه بدء الدرس.

كَتَبتُ الأبيات على السبورة، ثم قرأتها مرة وأخرى، وثالثة، ثم سألت الطلاب من منهم يستطيع أن يقرأها، فقرأها أحدهم، ثم ثان وثالث، ثم محوت كلمة، وطلبت قراءة الأبيات فقرئت، ومحوت أخرى، حتى شمل المحو كلمات في كل بيت، ثم أعدت بعض الكلمات، ومحوت أخرى، وفي كل حركة آتي بها أطلب قراءة الأبيات، حتى محوت الأبيات كلها. وسألت إن كان هناك من

يستطيع أن يتلوها غيباً، فرفع أحد الطلاب يده، فطلبت أن يتلوها، «ويدي على قلبي» خشية أن يخطئ أو يقف. فقرأها كاملة دون توقف، و«صفرت الصفّيرة»، وانتهى الدرس.

أتدرون من هو هذا الطالب، هو حمزة بوقري، أسكنه الله فسيح جناته، وأخذت «النّمرة» الكاملة. وأصبح حمزة بعد سنين زميلاً حبيباً، وكان يمن عليَّ دائماً بقوله: أنا الذي نجحتك، أنا الذي أنقذتك، ولم يكن أمامي إلا أن أسلِّم، فقد كان صادقاً فيما قال.

وأخيراً ذهبنا في بعثة إلى مصر، وجاء الأستاذ عبدالله عبدالجبار مديراً للبعثة، خلفاً لأحد الإخوان المصريين، واسمه عبدالحميد حمدي، وهذا بدوره جاء بعد مدير سعودي سابق هو السيد ولي الدين أسعد.

من أوائل البعثات :

شعر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - منذ تولى المُلْك بالحاجة إلى مثقفين يحملون إلى جانبه أعباء العمل، فاستقطب من كان منهم في الخليج، خاصة في الكويت، ممن لعله عرفهم أو سمع عنهم، ومن هؤلاء إبراهيم المعمّر، وعبدالله بن عثمان، ومحمد الدغيثر، وإبراهيم العيدان، وآخرون اختارهم من داخل المملكة، من المناطق المختلفة. وعيّن هؤلاء عنده في ديوانه، ووكل إلى كل واحد منهم قسماً من عمل الديوان. وأدرك منذ البدء أهمية التعليم، فسعى إلى نشره، وأتاح له دخوله الحجاز، إلى الاستفادة من متعلمين هناك، إضافة إلى من وفد إليه من سوريا ومصر، من أناس لديهم الخبرة والتجربة

في هذا المجال. وكان من جملة ما اتخذ في هذا المجال فتح باب الابتعاث إلى البلدان التي خطت خطوات واسعة في العلم المفيد في إدارة الدوائر الحكومية المختلفة من تربوية، وصحية.. وغيرها.

ابتُعث آنذاك عدد من الطلاب إلى مصر، ومن بين هؤلاء السيد أحمد العربي، والسيد محمد شطا، والأستاذ أحمد عبدالغفور عطار، والشيخ حمد الجاسر، وأنهى السيد أحمد العربي دراسته في دار العلوم بنجاح، وعاد إلى المملكة، وعُين مديراً لتحضير البعثات والمعهد العلمي السعودي، وكذلك عاد ناجحاً السيد محمد شطا، فعين مفتشاً (أول) في مديرية المعارف، أعلى جهاز للتعليم حينذاك. ويبدو أن الحرب أدركت الأستاذ أحمد

عبدالغفور عطار والشيخ حمد الجاسر فلم يكملا، وعادا.

وقد التحق الشيخ حمد الجاسر بالتدريس في المرحلة الابتدائية لأشهر معدودة، ثم ترك التدريس، وقد سرد في أحد كتبه ما اعتقده شيئاً عن تاريخ حياته، وأذكره ـ رحمه الله ـ عندما درسنا في السنة الثالثة الابتدائية في القلعة، ولفت نظرنا، وكان غريباً علينا قوله: «قال ربُّنا»، بضم الباء، بينما أساتذتنا كلهم يقولونها بالعامية: إما رَبِّنا، مكسورة إن كانوا نجديين، أو ربَّنا، مفتوحة، إن كانوا حجازيين. ولهذا كان الشيخ حمد، بنطقه هذا، محل تندر من الطلاب، وهكذا الطلاب مع كل أمر مستغرب.

محاولة غش في الامتحان:

الاختبارات دائماً تُوجد مشكلة للإداريين التربويين، لأن الأماكن لا تكون واسعة، ولا الكراسي كافية، إذا ما حُسب حساب المراقبين كذلك. ولهذا اضطروا في سنة من السنوات، إلى أن يزيلوا الحواجز الخشبية بين الفصول في القلعة، لكي يكفي عدد المراقبين الصالات، فجعلوا الصفوف الواقعة على يسار غرفة المدير، خاصة بطلاب المعهد وبعض طلاب البعثات، وجعلوا بين الفريقين فراغاً لم يضعوا فيه كراسي، لكي يستطيع المراقبون أن يستفيدوا من هذا الفراغ، وكان المراقب على الجهتين أستاذ اللغة الإنجليزية في البعثات وكان رجلاً مصرياً حازماً، فالتفت

جهة المعهديين، فرأى أحد أفراد «صفّنا» يحاول أن يغش فنهره، فأخذت صاحبنا العزّة بالإثم، ورد عليه، وبصوت عال، وغير مؤدب، فزاد الأخذ والرد بينهما، فأخرج المدرس الطالب من القاعة، وكان هناك امتحان ثانٍ يبدأ بعد الاستراحة، أو ما نسميه «الفسحة».

بحث طلاب فصلنا الأمر، وقرروا أن يقاطعوا الامتحان، لما مسّهم من إهانة من أستاذ ليس من المعهد وإنما من تحضير البعثات، وهي إهانة لا تغتفر، لما بين طلاب المدرستين من حزازات لا موجب لها، ولكن العقول القاصرة للطلاب أوجبتها. وكان بعض طلاب المعهد يعتقدون أن الإدارة تحابي طلاب تحضير البعثات، لأنها مدرسة

حديثة، ومُعتنى بها، ومجلوب لها مدرسون من الخارج، وسنواتها خمس، وفي الوقت نفسه كان طلاب تحضير البعثات يتهمون الإدارة أنها مع المعهديين لأن السيد أحمد العربي مدير المدرستين، أصله معهدي، وخريج كلية أدبية، هي كلية دار العلوم. وعلى هذا فالإدارة مظلومة من طلاب المدرستين.

أخذ أحد طلاب فصلنا يحث على عدم دخول الامتحان الثاني، فنصحتهم أن يدخلوا الإمتحان، لأن عدم دخوله ليس في مصلحتهم، ولأنهم لن يجدوا من ينصرهم على المدرس، خصوصاً وأن التهمة مشينة وهي الغش، ولكن لا حياة لمن تنادي، وكان بعضهم يود أن يدخل الامتحان، ولكنهم

كانوا يخشون من زملائهم المتعنتين.

دخلت شخصياً الامتحان، وتركتهم في غيّهم، ودخل معي الذي كان يحرضهم، وقال، عندما عاتبوه: إنه دخل الامتحان لأنه لا يريدني أن أنفرد بالنجاح وحدي، ولأنه يأمل في أن يغلبني على (الأولوية)، مع إن هذا بعيد، ولكنه أقنعهم بأنه على حق فيما فعل، وتعقّد الأمر وسوئلوا وحوسبوا، والذي اتهم بالغش، أو الشروع فيه استدعي لمقابلة السيد طاهر الدباغ، مدير عام المعارف، قمة رجال التعليم، للسؤال والحساب، ولما أراد هذا الطالب أن يدافع عن نفسه، قال له السيد طاهر: «لا دخان بلا نار»، وكانت هذه أول مرة أسمع فيها هذا المثل الذي أعجبني.

وغضب مني زملائي، وقاطعوني، فلم آبه لهم، وأنا أعرف أنهم بحاجة إليَّ، ولست في حاجة إليهم، وبدأ الأمر يتغير بعد أن وجد الطلاب من أهلهم تأنيباً على ما فعلوه، وبدأ الطلاب يتلاومون، ويضعون الخطأ على من غرّر بهم، وانصبّ أكثره على الذي دخل الامتحان معي، وعادوا وصالحوني، وأخذت أختار منهم من أصالح ومن لا أصالح، إلى أن محا الزمن أثر هذه الواقعة، وعادت المياه إلى مجاريها بيننا. والغريب أن الذي اتُّهم بمحاولة الغش كان مكروهاً من الطلاب، لأنه أحمق، وأقل شيء يثيره، وكثيراً ما تماسك بالأيدي مع بعض من يلمسه بكلمة جارحة.

الخط وتعلّمه:

كان تعلم الخط من أهم الدروس في جميع المراحل الدراسية، وكان من حسن حظي أني بعد أن انهيت الدراسة في المرحلة الثانوية في المعهد وجدت في كلية دار العلوم بجامعة الملك فؤاد (القاهرة) اهتماماً واعتناءً بالخط، وكان أستاذنا فيه سيد إبراهيم أشهر الخطاطين في مصر في تلك الأيام، وكان يتصف حقيقة بصفات مدرس الخط الناجح في الصبر على تعليم الطلاب حسن الخط.

وكنا في المعهد في مكة نتنافس في إجادة الخط سواء الرقعة أو النسخ أو الثلث، ولا نكف على التدرب عليه، في «المَشْك» الذي يكتبه الأستاذ محمد حلمي، أو في الكراسات المطبوعة لخدمة الخط وتحسينه.

ولا نجد ورقة إلا أخضعناها «لشخبطتنا»، ولا قلماً إلا سخرناه لتمريننا على الخط، ننقل نصوصاً، أو نستدعيها من الذاكرة، أو نقلد كتابة مطبوعة، أو عنوان كتاب، أو عنوان مقالة في جريدة أو مجلة. وأمامي الآن ورقة من الأوراق التي كنت أعبث فيها في سبيل تحسين خطي. وهي اليوم ثمينة لما احتوت عليه سواء في مستوى الخط، أو في النص الذي اخترته، ففي هذه الورقة تقليد «لترويسة» مديرية المعارف العامة على «أبواكها»، وفيها توثيق أن هذه الكتابة كتبت وأنا في السنة الثانية معهد (معلمين)، وفيها أبيات شعر من محفوظي، جربت فيها قلمي وخطي، وهذه هي صورتها:

[illegible]

[illegible]

مديرية المعارف العامة

مديرية المعارف العامة

المعهد العلمي السعودي

السنة الثانية علا

عبد العزيز ...

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في الكرى أو خلسة المختلس

[illegible]

نبتت الله ... والعفو ...

كان الخط محل اهتمام من المدرسين ومن أولياء الأمور، ولهذا لا تجد أحداً من مدرسينا من مكة إلا وخطه جميل خاصة في خط الرقعة، ولهذا تعاقب على تعليمنا الخط مدرسون متعددون، كان التركيز على الأستاذ الخطاط يأتي في الاختيار الأول، ولكن إذا لم يتسع وقته لكل الفصول فيمكن لأي مدرس بكل سهولة أن يحل محله، وبين يدي دفاتر للخط، وكراسات له، ومن صححها بعد أن أشرف على درسها أساتذة ليسوا خطاطين رسمياً.

كان المدرس لا يكتفي بما نكتبه في الفصل، ولهذا فإنه يعطينا واجباً منزلياً يزيد عن واجب المدرسة أضعافاً أحياناً. ولم تكن إدارة المعارف تبخل علينا بكراسات الخط، ولكنا لم نكن نكتف بها، وفي مكتبات باب السلام ما يلبي طلبنا.

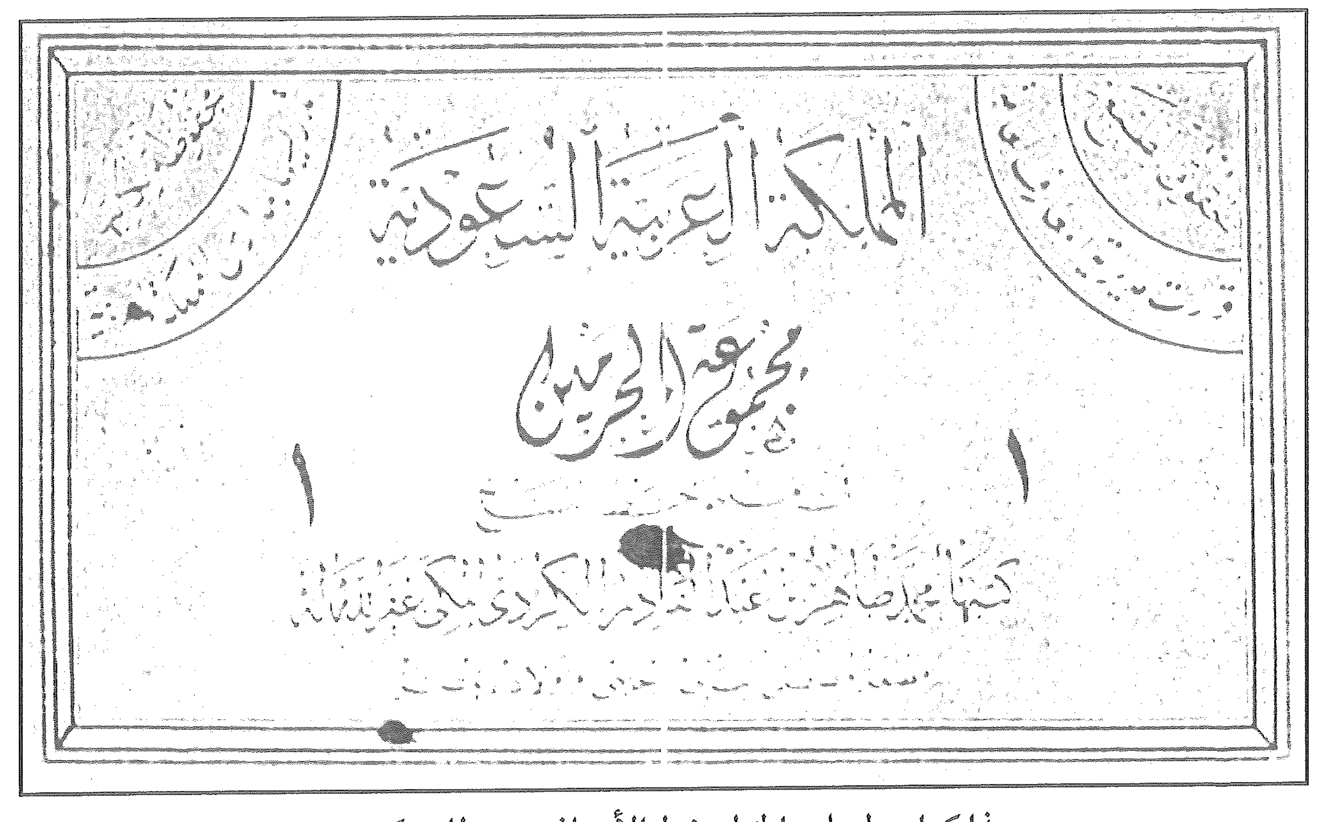
وأنا صاحب حظ كبير في هذا المجال، فقد رعاني عمي - رحمه الله - رعاية كاملة منذ أن بدأت «أفك الخط»، ثم تابع ذلك والدي بعد أن جئت إلى مكة، وكانت المدارس تكمل ما قد ينقصنا. وعندما سافرت إلى مصر وجدت أن الخط له مقام كريم في كليتنا دار العلوم بجامعة الملك فؤاد حينئذ (القاهرة حالياً) كما ذكرت.

ودخل حُسن الخط حياتنا،وأصبحنا من أنصاره وأتباعه، نبتهج عندما نقرأ شيئاً كتب بخط جميل، ونقبل عليه بنفس راضية، فإن لم يكن جميلاً جفلنا منه، وقرأناه قراءتنا لواجب وليس لمتعة.

مع هذا مرفق لبعض ما يتصل بالخط من غلاف للكراسة، ومن تصحيح لمجهود بذلناه، وسأعلق على بعض ما سوف أرفقه بما يزيده بياناً.



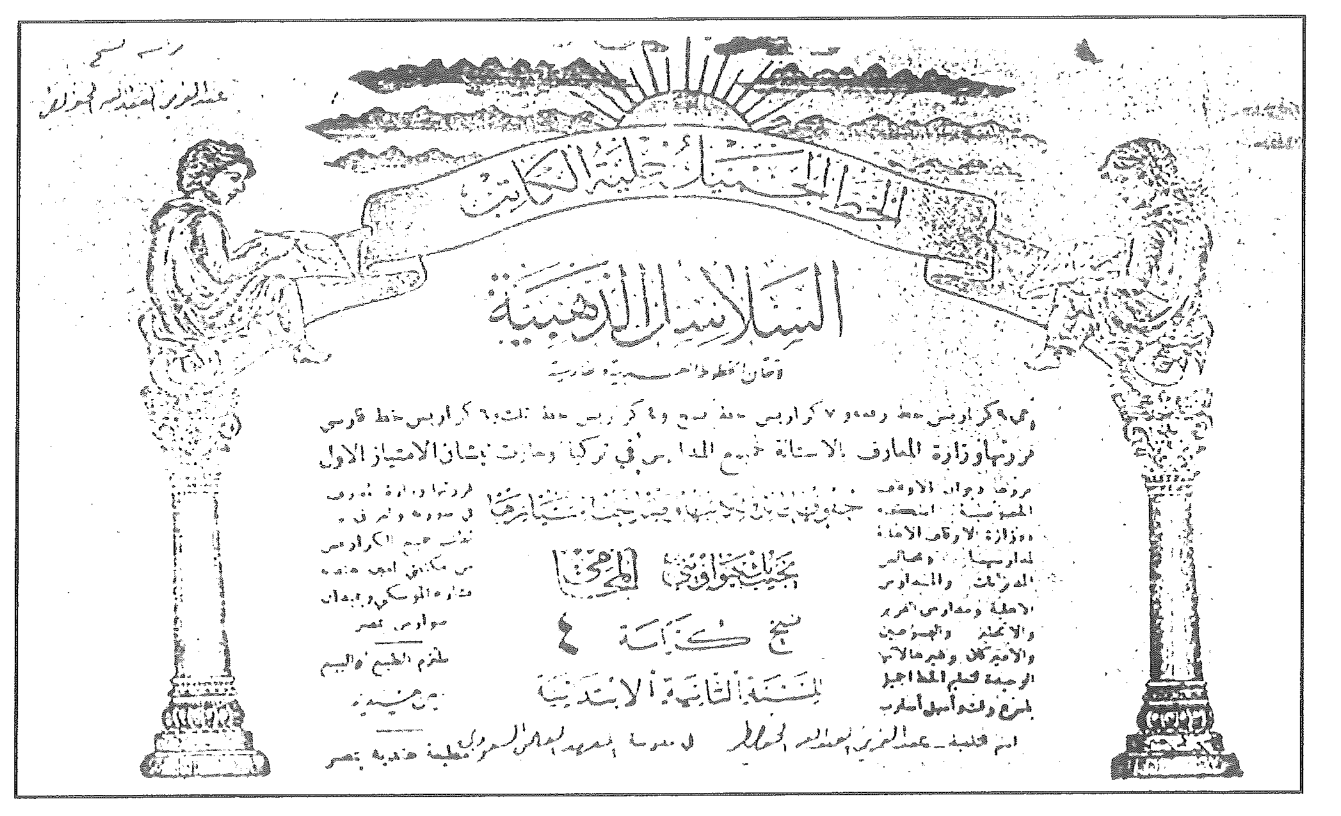
الخطاط المشهور نجيب هواويني له كراسات لتعليم الخط، وهذا غلاف أحدها



هذا كراس لتعليم الخط بخط الأستاذ محمد طاهر كردي،
وكنا نحصل على أعداد منه للتمارين على تحسين الخط



هذا غلاف كراس تحسين الخط بقلم الأستاذ محمد طاهر الكردي



كراسة خط مستوردة من مصر بخط المحامي الخطاط الشهير
نجيب بك هواويني (خطاط الملوك) وصورته في الصفحة التالية

المحامي نجيب بك هواويني خبير الخطوط المشهور

منزله بشارع جلال باشا رقم ٦ مصر تلفون ٥٠٣٣٠



خبير لفحص الاوراق المطعون فيها بالتزوير واعطاء تقارير عنها

واضع كتاب (التزوير الخطي) وهو اول كتاب علمي عملي وضع في هذا الفن
لمعرفة الامضاءات والاختام والخطوط المزورة والصحيحة عربية كانت او افرنجية.
ثمنه ٥٠ قرشاً وصاحب كتاب (جامع الادلة على مواد المجلة) وهو نفس مجلة
الاحكام العدلية مشكلة ومشروحة بفقه

أشّر هذه الصفحة من كراسة الخط أستاذنا
السيد محمد سعيد الدباغ، ووقعها، وكتب بخط يده
اسمي مزخرفاً، فكانت «نيشاناً» لي في ذلك الكراس

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

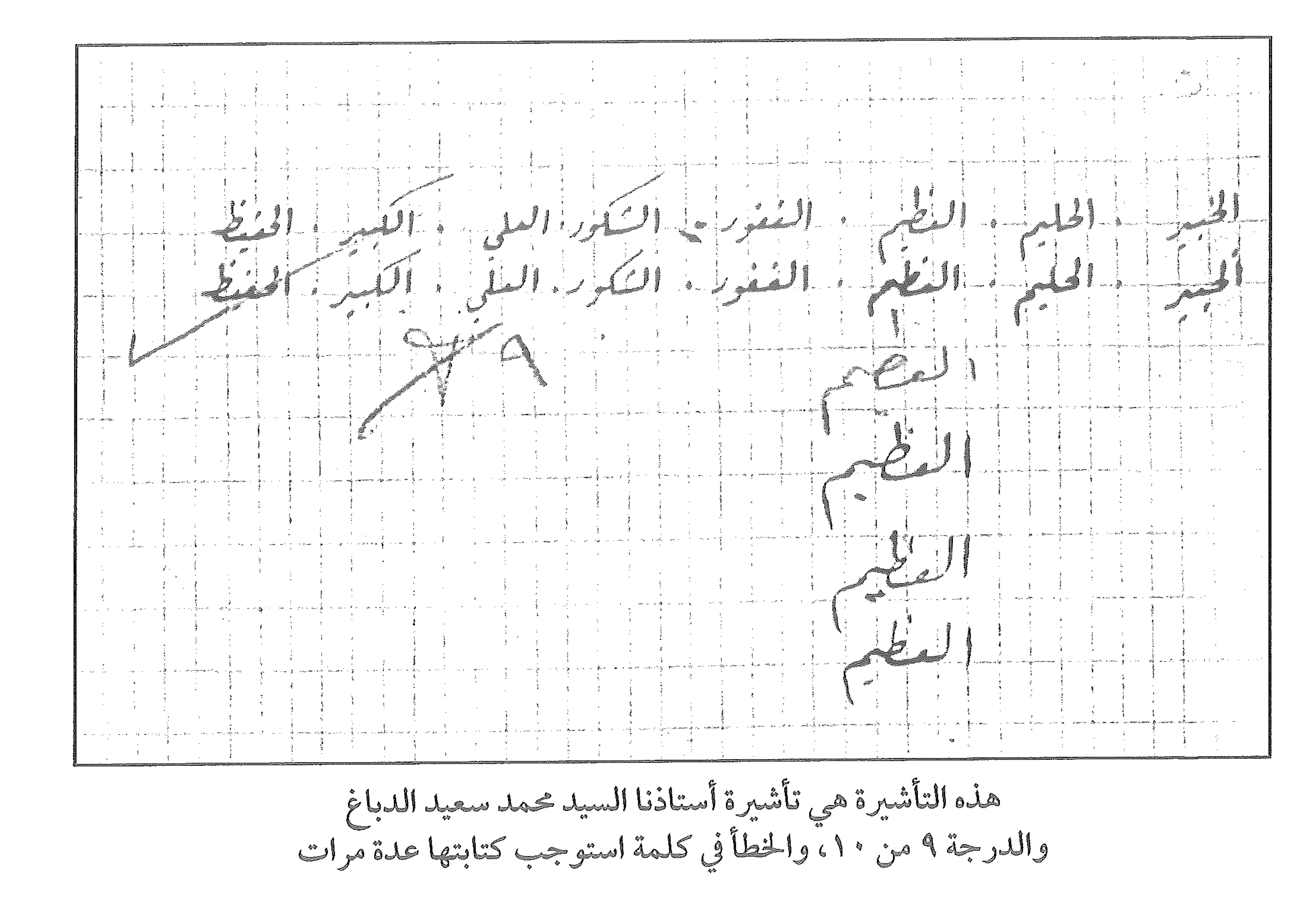
السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

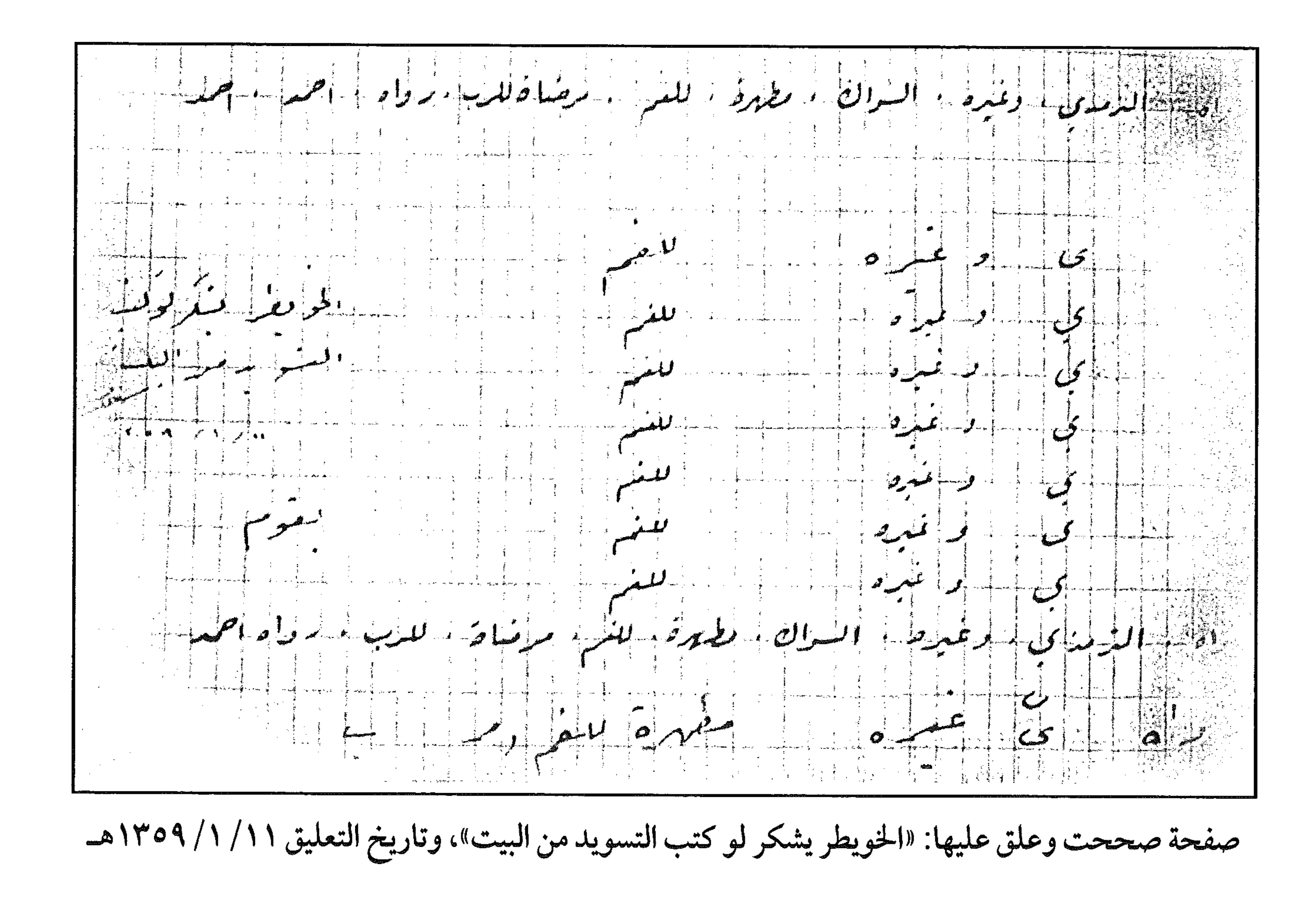
السواك مطهرة للفم مرضاة للرب رواه أحمد والترمذي وغيره

٢٧-١-٥٩

هذه، كما يبدو، مسودة، صححها الأستاذ أحمد بالخيور، والعلامة ١٠ من ١٠ ، والتاريخ ٢٧/ ٢/ ١٣٥٩هـ وكنت في السنة الثانية الابتدائية وتعادل الخامسة اليوم



هذه التأشيرة هي تأشيرة أستاذنا السيد محمد سعيد الدباغ
والدرجة ٩ من ١٠، والخطأ في كلمة استوجب كتابتها عدة مرات



الترمذي وغيره، السواك، مطهرة للفم، مرضاة للرب، رواه احمد، احمد

ي و غيره للاجم

ي و غيره للفم الخويطر يشكر لو كتب

ي و غيره للفم التسويد من البيت

ي و غيره للفم

ي و غيره للفم

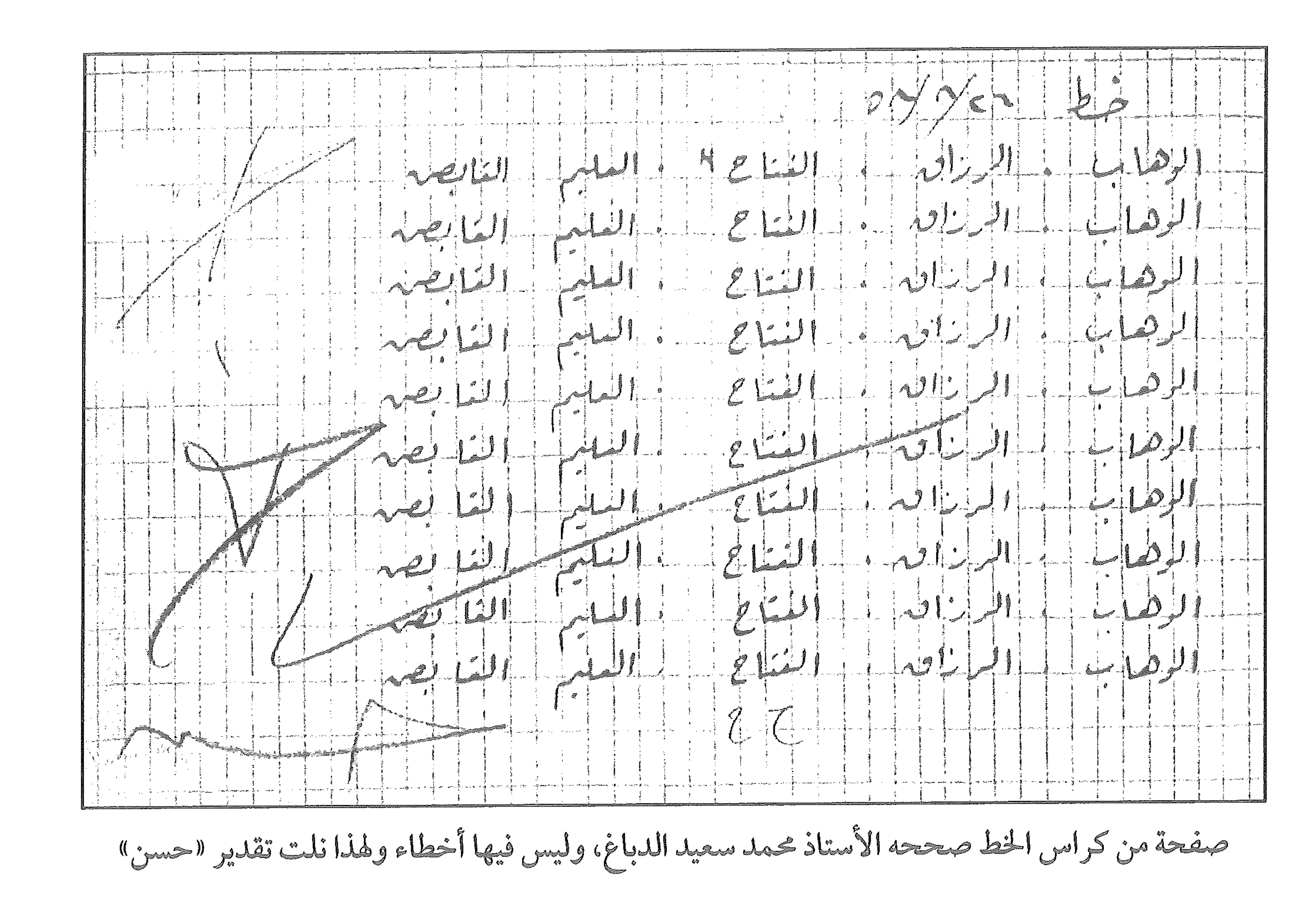
ي و غيره للفم بقوم

ي و غيره للفم

الترمذي وغيره، السواك، مطهرة، للفم، مرضاة، للرب، رواه احمد

ي غيره مطهرة للفم

صفحة صححت وعلق عليها: «الخويطر يشكر لو كتب التسويد من البيت»، وتاريخ التعليق ١١/ ١/ ١٣٥٩هـ



صفحة من كراس الخط صححه الأستاذ محمد سعيد الدباغ، وليس فيها أخطاء ولهذا نلت تقدير «حسن»

صفحة من كراسة الخط صححها الأستاذ محمد سعيد الدباغ وأخذت عليها ٩ من ١٠، والتصحيح واضح فيها

هذه صفحة من كراسة الخط، كتب بها سطران، وأنا أكملت الأسطر التي تحتها، ونلت ٩ من ١٠ من الأستاذ المصحح أحمد باخيور. وكنت في السنة الأولى الابتدائية، وتعادل الرابعة الابتدائية اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي نسخت
شريعته كل شريعة من قبلها وعلى آله الطاهرين وأصحابه أجمعين وبعد فهذه أول مجموعة ظهرت في البلاد
الحجازية كراسة سميتها كراسات الحرمين عبارة عن هذه في تعليم خط النسخ ومثلها في تعليم خط الرقعة كل ذلك بتوفيق الله
في عهد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية حفظه الله نفع الله بها آمين

كاتب المجموعة

[illegible]

محرم سنة ١٣٥٨ هـ

هذه مقدمة كتبها الأستاذ الخطاط محمد طاهر كردي لكراس الخط الذي كتبه لتعليم الخط

صور المسؤولين:

كانت بعض الكتب المقررة في السنوات التحضيرية أو الابتدائية تزين في أولها بصورة من صور المسؤولين عن التعليم. وكانت صورة السيد محمد طاهر الدباغ، مدير المعارف العام من أبرزها، يليه في هذا السيد محمد شطا، المفتش الأول بمديرية المعارف، ومفتش المحاكم الشرعية.

وقد وجدت بين أوراقي في تلك الحقبة كتاب: «علم تقويم البلدان» وهو كتاب الجغرافيا، وقد ألّفه الأستاذ عبدالله الطاهر الساسي والأستاذ عبدالرحمن باحنشل، للسنوات الابتدائية، حسب المنهج الذي وضعته مديرية المعارف العامة.

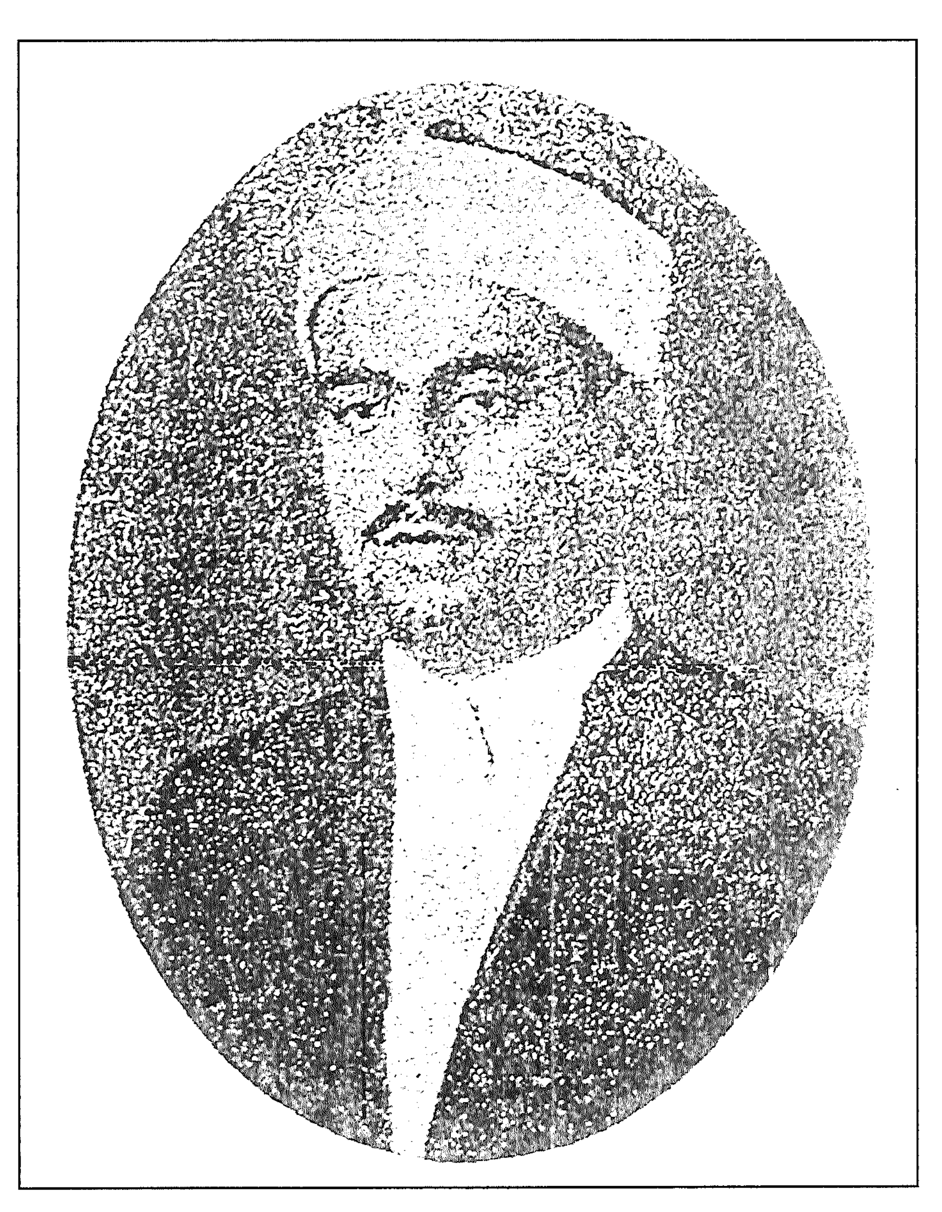
ويلاحظ أن مكتبة المعارف العربية بمكة المكرمة طبعته على نفقتها. وصاحبها هو الأستاذ عمر عبدالجبار، الرجل النشط الذي تقلب في عدة مناصب أذكر منها رئاسته لشرطة الحرم، ثم صار أستاذاً في القلعة، ومساعداً للسيد أحمد العربي مدير المعهد والبعثات.

وقد وضع المؤلفان صورتيهما في مطلع الكتاب وهما مرفقتان بهذا، مع صورة غلاف الكتاب.



صاحب السعادة مدير المعارف

«السيد طاهر الدباغ»



صاحب الفضيلة : «السيد محمد شطا»

المفتش الأول بمديرية المعارف ، ومفتش المحاكم الشرعية



الأستاذ عبدالرحمن باحنشل



الأستاذ عبدالله الساسي



علم تقويم البلدان

تأليف

عبد الله الطاهر السني و عبد الرحمن باحنشل

السلسلة الثانية للسنة الثالثة الابتدائية

قرر مجلس المعارف صلاحية تدريسه ومطابقته للنهج الحديث

طبع على نفقة مكتبة المعارف العربية بمكة المكرمة

لصاحبها : عمر عبد الجبار

مطبعة مصطفى محمد بمصر

١٣٥٧ - ١٩٣٨

العداوة بين المعهد والبعثات :

ذكرت لمحة عن العداوة التي كانت قائمة بين المعهد والبعثات، والتي كانت تظهر بين آن وآخر، ولكن يخمدها العقلاء، إلا إن جمرها يبقى دفيناً تحت الرماد، وعند هبوب أقل ريح يظهر لسان لهبها، وتحرق أصابع العلاقة بين المدرستين.

كان السيد أحمد العربي قد ذهب إلى مصر، لإجراء جراحة له، وعند عودته سالماً معافى رأت المدرستان إقامة حفل له بهذه المناسبة، وبدأ بحث الإجراءات، فاختلفوا إختلافاً شديداً، وكانت الهوة سحيقة، وأظن أن الاختلاف كان على إلقاء الكلمات، فلم يصلوا إلى وسيلة للالتقاء، وقررت كل مدرسة إقامة حفلها الخاص بها وحدها، فأقام جماعة تحضير

البعثات حفلهم في القلعة، ولم يحضره من المعهديين إلا الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ـ رحمه الله ـ وأقام المعهديون حفلهم، ولم يحضره من البعثات إلا عبدالله مراد ـ رحمه الله ـ. وأقيم حفل المعهديين في المدرسة الرحمانية في المسعى، وكان حفلاً جميلاً، وكان السيد أحمد العربي مبتهجاً، وارتجل كلمة ضافية، وهو رجل متكلم، جيد في الارتجال، فصيح اللسان، مرتب الأفكار، وصوته عذب، وإلقاؤه مؤثر.

نحن الشباب:

حدثت حادثة طريفة في أحد الأيام في القلعة لم يحسب أحد حسابها أو يتوقعها، وهو أن الطلاب كالمعتاد كانوا يقفون صفّين متقابلين، وينشدون أناشيد حماسية، وكان اللحن حماسياً معروفاً،

وقد تمرّنا عليه كثيراً، وفجأة قلب الصف الذي يقابلنا الكلمات الحماسية إلى كلمات غير حماسية بل مضحكة على اللحن نفسه، فلاحظ مديرنا السيد أحمد العربي هذا، وجاء من غرفة مكتبه مسرعاً، وضرب طلاب ذلك الصف واحداً واحداً.

ولا يستغرب الخروج في النشيد عن اللحن أو الكلمات، للفكاهة والتسلية، وأذكر حادثة طريفة أخرى، أوحاها نشيد كنا ننشده في أول وقت الدراسة في الصباح، ويبدأ هكذا:

نحن الشباب لنا الغد

ومجده المخلد نحن الشباب

فختل الطالب (ح. د) الطلاب وهم ينشدون، وبصوت عالٍ أبدل البيت بما يلي:

نحن الشباب ناكل كباب ناكل كباب لنا الغدا

وأكمل البيت بما لا أتذكره الآن، وهذا لفت نظر مدير المعهدين وهو في غرفته أمام الصالة التي يقف فيها طلاب الفصول كلها ينشدون النشيد، وكان هناك تحقيق ثم جزاء.

الأناشيد:

كانت روح العروبة تسيطر في المجتمعات العربية، بعد أن تقلص نفوذ الدولة العثمانية، وكان الناس يتطلعون إلى عزّ للعرب زاهٍ، وجاءت قضية فلسطين فألهبت حماس الناس وكان الشعراء يتبارون في تمثيل هذه الروح، وملء الأنفس بها، وكان من بين جوانب الشعر الأناشيد المدرسية، بعضها عن الوطن السعودي، وبعضها تتسع دائرته فتشمل

الوطن العربي، وكان من أبرز الأناشيد التي كنا ننشدها في عنيزة نشيد الأستاذ صالح الناصر الصالح، وأذكر منه الأبيات الآتية:

نشيد الملك

عبدالعزيز بن السعود

هـا كلنـا بيـن يديـك

كل القلوب طوعاً إليك

نفوسـنا تُهْـدَى إليـك

***

هـذه شـبان العـرب

عـادت بمجد قد ذهـب

إذ المُنـى نيـل الأرب

في عهدكم يا ذا النسب

***

راياتنا سُودي بنا

لا تَرْهَبي كيد العدا

آمالنا نيل المُنى

(....نسيت الشطر الثاني)

***

وهناك نشيد آخر لا أذكر منه إلا بيتين، وهما كما نَرَى عن عنيزة:

عنيزة يا أم الوطن

نفديك في غالي الثمن

نهضاً بنا نحو العُلا

والفوز والخُلق الحَسن

ومن الأناشيد التي كنا ننشدها في عنيزة ومكة الأبيات الآتية، وتركيبها غريب، ولحنها مُواتٍ:

من هم العرب

سل القلمـا، سل العلمـا عن العرب

سل السيف، سل الرمـح عن العرب

سل الخيـل، سـل الليـل عن العرب

سل الفضـل، سل النّبـل عن العرب

سل الأدبا، سل الحسـبا عن العرب

سل الشـرق، سل الغربـا عن العرب

سل الصحرا، سل البحرا عن العرب

سـل المدفع، والمـوت عن العرب

سل التاريخ ، ينبيك عن ماضيهم الذهبي

وكما نرى الأناشيد تأخذ دوائر، الواحدة أكبر من التي تليها، تبدأ بالمدينة التي فيها المدرسة، ثم تنداح إلى دائرة الوطن، ثم تكبر الدائرة فتشمل العرب بأجمعهم.

والقطعة التالية تنحو في سبكها منحنى غير معتاد، وهذا قد يكون سببه الاهتمام في أن يكون هناك صور مختلفة، بعضها يحكمه اللحن، واللحن مهم في الأناشيد، والغالب عليه لحن الحماس والقوة. ومن يسمعه آت من أفواه هؤلاء الشبان الأقوياء على الأقل في حناجرهم يقرّ أنهم أدوا ما كان يتوقع منهم، وقد يكون سقط منه بعض العبارات، فأنا لا أذكر المقدمة جيداً، على الرغم أنها كانت تؤدى بلحن:

يا أولى الفضل.. وذوي العلا والكرم

جئتم أهلاً.. جئتم سهلا

تشريفكم لنا.. قد زادنا هنا.. وزال كل عنا

وروح الفؤاد.. وغدا عليه تلالي.. شُهب من الاقبال

يشدو بلسان الحال.. ما طاب من الأقوال

أم بعظيم علا.. ومزيد هنا

وكمال صفا.. دمتم أبدا

أهلاً بكم يا كرام.. أهلاً بكم يا كرام

بمجال الهنا.. ذا اليوم قد سما

وغدا بكمال الجد.. منصوب لواء السعد

يحلو ويطيب عندي..

أم بعظيم علا.. ومزيد هنا

وكمال صفا.. دمتم أبداً

أهلاً بكم يا كرام.. أهلاً بكم يا كرام

أهــلاً وسـهلاً يـا غــايـة الأرب

شرفتمويا كرام الفضل والأدب

اليوم عيد يُرى والكون مبتهج

حيث البشائر تشدو ألسن الطرب

قلدتمـوا جيدنا بأخلـد المنن

حيث قدمتم إلينا فزنا بالأرب

اليـوم له علـى الأيـام مفخـرة

يسمو ويزهو على الأيام والحقب

اليوم تاج على الأيام منتصب

ودرَّة التاج أنتم يا بني العرب

ووجدنا في مكة من الأناشيد مثل ما وجدنا في عنيزة وأكثر، تسير معنا من مرحلة إلى مرحلة، بتنوع مستمر في صوره ومعانيه، وهذا أحد الأناشيد واسمه:

نشـيد الشـبـاب

شـبـاب العلا.. يا شـبـاب العلا

أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

ففيـم التوانـي وفيـم الونـى

وقـد آن أن نسـتـعيد الفخـار

***

خيـالك يا موطـني كل حـين

يشـاغلني في المسـا والصـباح

فمنـك لقـد شـعّ نور اليقيـن

فعـمّ القرى مشرقاً والبطـاح

ومنك الـذي قد هـدى العالمـين

بسـبل الرشـاد ونهـج الفـلاح

ومنك البواسـل في الطامحـين

رجال الفخار وجند الكفـاح

***

شـباب العلا.. يا شـباب العلا

أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

ففيـم التوانـي وفيـم الونـى

وقـد آن أن نسـتعيد الفخـار

***

ومنك أسامة وابن الوليد

جنود الحروب وفرسانها

ومنك الأسود ومنك الفهود

غطارفة البيد شجعانها

ومنك الكماة ومنك الجنود

رجال العروبة فتيانها

أهابت بهم فاستذلوا الخمود

وساد على الدهر قرآنها

***

شباب العلا.. يا شباب العلا

أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

ففيم التواني وفيم الونى

وقد آن أن نستعيد الفخار

***

فيـــا وطـــني إنـنـــي شــعـلـة

تبيــد الظــلام إذا ما ادلهــمّ

وبيــن الجــوانح لــي همّـــة

تفـــوق إذا نافســـتها الأمـــم

فلســت تُضَــام ولــي عزمـــة

تدك الصعاب وتسبي النقــم

***

شـبـاب العلا.. يا شـبـاب العلا

أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

ففيـم التوانــي وفيــم الونــى

وقــد آن أن نســتعيد الفخــار

***

فعش ســالماً تحــت ظل المليــك

مليــك العــروبة حامــي البــلاد

ومن نوره خذ ضياء السلوك

إذا ما سلكت طريق السداد

فليس له في المعالي شريك

فقد فاق بالطيبات العباد

فيا وطني إنني افتديك

بروحي ومالي ليوم المعاد

***

نشيد حماة الحمى

حماة الحمى.. يا حماة الحمى

هلموا.. هلموا.. لمجد الزمان

فقد صرخَت في العروق الدما

نموت.. نموت.. ويحيا الوطن

***

لتدوي السماوات في رعدها

لترمي الصواعق نيرانها

يعز البلاد إلى مجدها

رجال البلاد وفتيانها

فلا عاش من ليس من جندها

ولا طَعم العيش من خانها

نموت ونحيا على عهدها

حياة الكرام وموت الكرام

***

حماة الحمى.. يا حماة الحمى

هلموا.. هلموا.. لمجد الزمان

فقد صَرَخَت في العروق الدما

نموت.. نموت.. ويحيا الوطن

***

بلادي احكمي واملكي واسعدي

فلا عاش من لم يعش سيدا

بحرّ دمي وبما في يدي

أنا لبلادي وأرضي فدا

بلادي العزيزة فاستمجدي

بعزة شبلك طول المدى

ونحن أسود الوغى فاشهدي

وُثُوب أسودك يوم الصدام

***

حماة الحمى.. يا حماة الحمى

هلموا.. هلموا.. لمجد الزمان

فقد صرخَت في العروق الدما

نموت.. نموت.. ويحيا الوطن

***

ورثنا سواعد باني الحرم

صخوراً وفناً كهذا البنا

سواعد يهتز فيها العلم

نباهي به ويباهي بنا

وفيها كفاء العلا والهمم

وفيها ضمان لنيل المنى

وفيها لباغي العداء النقم

وفيها لمن سالمونا السلام

هذان النشيدان كانا من أحب الأناشيد إلينا، ولعل النّغمة التي يسير عليها النشيدان لعبت دوراً مؤثراً علينا.

***

اللهم احفظ الملك

يا رب عبدك خادم الـ

ـحرمين فخر المسلمين

عبدالعزيز بن السعود

توِّجه بالنصر المبين

***

انصر جيوشه وكن

لهم لدى البأس معين

فإنهم جندك حرا

س حمى الدين المتين

***

توج لواءه بنصر

منك وضَّاء السنا

وكن له عوناً وذخراً

فهو مصدر عزّنا

***

احفظه ركنا للعروبة

فقد ضاق الخناق

وحلَّ بالإسلام من

أعدائه ما لا يطاق

***

واحفظ حماة العرش

من آل سعود الناهضين

وانصر جيوش الوحدة

الكبرى وحراس العرين

***

وانظر إلى مهد النبوَّة

بالعنايـــة والرضـــا

وإلى الجزيرة بالرعاية

في الصبـاح وفي المسـاء

أمين يا اللّه .. آميـن يا اللّه

أمين يا اللّه .. آميـن يا اللّه

***

تحيــة العلــم

علــم الوحــدة رفــرف

أنـــت عـــزّ للعـــرب

كــل حــرٍّ بـك يهتــف

كـي يـؤدِّي مــا وجــب

***

كــل طــرف حـين تبـدو

خافقــاً يرنــو إليــك

كــل قلــب ملــؤه الإخـلا

ص يهتـــزّ إلـيـــك

***

أنـــت رمــز للسِّــيادة

أنـــت للمجــد شــعار

أنت مصباح السعادة

أنت عنوان الفخار

حين تخفق ترتاح

لرؤياك النفوس

وترى كل فم يبسم

وإن كان عبوس (كذا)

***

فيك يتلو الجند في الحـ

ـرب تعاليم الحياة

فيسيرون إلى المو

ت ركّابا ومشاة

***

فلتدم للعُرب فخراً

خافقاً حتى الأبد

نرفع الهامات كبراً

بك في كل بلد

***

وعلى من تحت ظلك

شربوا كأس الحِمام

في سبيل الله والحق

من العرب السلام

***

شباب الوطن

يا شباب الوطن

عزِّزوا اسمه

لا تخافوا المحن

وارفعوا ضيمه

مجدنا باهر

أثره لا يزول

مجدنا باهر

ليس يخشى الأفول

***

نجدنا والحجاز

يشهدان بعدنا

أننا في الحياة

فعلنا فخرنا

***

فاهتفوا جاهرين

بحياة الإمام

واصدعوا شاكرين

له هذا الإنعام

***

نشيد الاستقبال

أنشد في استقبال سمو النائب بعد عودته من أمريكا وحضوره إنشاء هيئة الأمم المتحدة.

على الرحب يا شبل فخر العرب

وأهلاً وسهلاً بزاكي النهى والحسب

ويا مرحباً بالأمير الجليل

كريم الأرومة والمنتسب

قدمت فيا مرحباً بالندى

وبالمجد يابن رفيع النسب

وبالنبل والجود من راحتيك

يفيض وأنت المنى والطلب

هو العيد يوم قدوم الأمير

إلى شعبه وهو يوم الأرب

ورؤيته ظافراً سالماً

هي الأمل الباسم المرتقب

فقد شع في الأفق بدر السعود

فزال به همنا والنصب

وأشرقت الأرض بالنائب الـ

ـمعظم «فيصل» فخر العرب

***

نشيد هلّل الشعب وكَبرّ

هــلل الشــعب وكــبَّر

بالمعــالي الســاميات

وصباح المجد أسـفر

بالبــدور الطــالعات

بالبــدور الطــالعات

يا ولــي العهــد أهــلاً

بك فلتزهــو البــلاد

ونحييـــك فســـهلا

جئت والإســعاد عــاد

يــا أميــر العــز

أنــت للعــرب عمــاد

ولنجــد والحجــاز

فهــي اليــوم بــلاد

قــد تولاهــا اعتــزاز

***

نشيد : يا هزار العرب

يا هـــزار العـــرب غـــرّد

حيث قـد نلنـا المـرام

زارنـــا مولـــى عظـــيم

جـــوده فـــاق الغمـــام

ملكـــه واللّٰه خصـــب

وســـعود وســـلام

إبقـــه اللهـــم زخـــراً

ومـــلاذاً للأنـــام

يحـــرس اللّٰه ويحمـــي

ذلك البيـــت الحـــرام

واحـــرس اللّٰه جيوشـــاً

حرســـت عـرش الإمـام

واحفـظ الأنجـال طـرّاً

مـــن كـــبيرٍ وغـــلام

كـــرروا آميـــن دومـــاً

بقعـــود وقيـــام

***

نشيد : يحيا المليك

يحيـا المليك ابن السـعود

محيـي البـلاد مـن الركـود

عبدالعـــزيز مليكـــنا

رب المعـاني والكـــرم

مـن ســطعت أنـــواره

فـــوق الممـالك والأمـــم

وبـه اسـتنارت شبـه الجـزيرة

***

يحيـا المليك ابن السـعود

محيـي البـلاد مـن الركـود

***

أحيا لنـا المجـد الأثيـل

مجـد العـروبة في القـدم

وبنـى لنـا الفخـر الأصيـل

فخــراً لـه تصــبو الهــمم

غــدت البــلاد بــه منيــرة

***

يحيـا المليـك ابن السـعود

محيـي البــلاد مــن الركــود

***

في عهــده العلــم انتشــر

والأمــن خــيّم وانتظــم

والديـــن أصــبح ســائداً

والعــدل والإصــلاح عــم

ديــن وعلــم نعــم كثيــرة

***

يحيـا المليـك ابن السـعود

محيـي البــلاد مــن الركــود

***

يا ربنا احرسه وصُن

مُلكاً بتقوى الله تم

واحفظ له أشباله

وأدمه مولى للنعم

مسدي إلينا مننا كثيرة

***

يحيا المليك ابن السعود

محيي البلاد من الركود

***

الأمير مساعد بن عبدالعزيز :

يزور القلعة بين آن وآخر ضيف، ليرى طلاب هذين المعهدين: المعهد العلمي السعودي، ومدرسة تحضير البعثات، وهما قمة التعليم في المملكة، أحدهما أدبي والآخر علمي.

وقد تعوَّد الطلاب رؤية الزُّوار، والاحتفاء بهم من قبل السيد أحمد العربي، المدير، ومساعده الأستاذ عمر عبدالجبار.

وفي يوم من الأيام طُلب منا الخروج من الفصول والاجتماع في الصالة الوسطى، فخرجنا جميعاً، واصطففنا فيها، وتبين أن هذا احتفاء بضيف كريم زائر هو صاحب السمو الملكي الأمير مساعد بن عبدالعزيز، فرحّب به المدير، ثم ألقى سموه كلمة مكتوبة، وأتصور أن سنّه كانت في حدود السابعة عشرة[1]. ولعل هذا كان في شهر ذي الحجة أو محرم، وهو وقت وجود الملك عبدالعزيز وأبنائه في مكة للحج، وهذا في أوائل الستينات الهجرية ١٣٦٢هـ أو ١٣٦٣هـ.

---

(١) تقديري السن هذا قد لا يكون صحيحاً، يقول الزركلي أن مولد سموه في عام ١٣٤٤هـ.

النشاط الثقافي (المسامرات):

كانت الأفكار لا تتوقف في إدارة المعارف للرفع من شأن التعليم، فبين وقت وآخر يجدّ جديد، وقد ذكرت في هذا السياق محاضرات الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ كل خميس، وكانت أثناء الدوام الدراسي، ثم أُدخل ما سمي بالنشاط الثقافي في مساء يوم الخميس، بعد صلاة المغرب مباشرة، أو بعد صلاة العشاء، وقد أفتتح هذا النشاط بمحاضرة للشيخ محمد بن مانع، وفي الأسبوع الذي يليه محاضرة للأستاذ بهجت البيطار، وهو شيخ سوري فاضل وفد إلى المملكة حديثاً، وقد تبين أن مجيئه كان ليدير مدرسة دار التوحيد التي أنشئت بعد ذلك في الطائف.

سْكُتْ :

بعد أن تم افتتاح النشاط الثقافي بالشيخين الجليلين، تقرر أن يُطلب من أحد الطلاب من المدرستين أن يُعد بحثاً يقرؤه في وقت المسامرات، وهو الاسم الذي أطلق على هذا النشاط الثقافي، فقام الأخ مصطفى طيبه وهو ممن وقع عليه الاختيار لالقاء ما أَعدَّ من بحث، ووقف مصطفى، ونظر يميناً ويساراً، ثم يميناً ويساراً وكأنه ينتظر أن تنقطع الأصوات ليبدأ، ولكنه فجأة، وبصوت عال، قال: «سْكُتْ»، ثم التفت إلى الجهة الأخرى وقال مثل ذلك، وفعل ذلك عدة مرات، وبصوت عال، ووجه متجهم، فظن السّامعون أنه أصيب بمس من الجنون، واعتقد كل واحد من السامعين أنه يُسكّتهم عن

الهمس الذي يأتي عادة من الجمهور عند بدء إلقاء أي كلمة، واستهجنوا تكرار هذا منه، خاصة وأن الجمهور تعدَّى درجة الصمت، وخيّم عليه هدوء لا يُتصور بعده هدوء.

وفجأة قال، بهدوء المحاضر الرزين: «سْكُتْ» رجل اسكتلندي اكتشف القطب الشمالي...» وأخذ يتحدث عن هذا المكتشف، وانفجر المكان بالضحك، وكان هذا استهلالاً بارعاً وموفقاً. وقد استمرت هذه المسامرات سنوات، وأحياها جيل بعد جيل، وقد تحدث الأستاذ عبدالله القرعاوي في مذكراته عن بعض جوانبها، والقائمين عليها، في السنوات التي تلت أيام دراستنا.

مطعم الجاوي:

كنا في الفترة اليومية الأولى من الدراسة، عند الظهر، نذهب إلى بيوتنا لتناول الغداء، ولما كان الطريق يستغرق جزءًا من وقتنا، فقد حاولنا مرتين أو ثلاثاً أن نتناول الغداء في مطعم (جاوي)، عند المدرسة العزيزية، في الشامية، قبل «سويقة»، وكان يقدم أرزاً أبيض فوقه سلطة قوطة وفلفلاً أحمر حارًّاً جداً (شطيطة) وبعد تناول أول ملعقة تلتهب الطبقة العليا للرأس، و «تنطف» عرقاً، وهو لذيذ ونحن نأكله، ولكن اللذة تتبخر بمجرد أن ننتهي، وأوقفنا الذهاب لهذا المطعم، وعدنا إلى الغداء في بيوتنا، وحمدنا الله على سلامة هذه العودة.

بيوتنا في مكة :

إقامتي في مكة قبل أن ابتعث للدراسة الجامعية في مصر تقرب من ثمان سنوات. وقد سكنا خلال هذه المدة في عدد من البيوت بعضها كانت تستأجره الحكومة طوال العام من أجل شغله في شهر الحج، فإذا سافر ساكنه سكناه إلى قرب موسم الحج التالي، ثم يستأجر الوالد بيتاً لنا لمدة الحج، وكانت أجرة البيوت في أيام الحج مرتفعة لكثرة الطلب عليها، ويكاد لا يبقى في مكة أيام الحج بيت شاغر، بل إن بعض السكان يؤجرون جزءًا من بيوتهم، وفي هذا مصدر رزق مقدر ومحمود. ومما أذكره أننا سكنا في شعب عامر أربعة بيوت، واحد منها حكومي، والثلاثة الأخرى مستأجرة.

وسكنا بيتاً في أجياد، أظنه لصدقة كعكي ويقع عند البازان الذي بجوار المالية، مقابلاً لفندق مكة، وكان مدير الفندق عبدالسلام غالي ـ رحمه الله ـ، وكان من جيراننا العم موسى خوجة، والد زميلنا وحبيبنا جميل خوجة. وكان بجوار بيتنا بيت الأستاذ أديب الحبّال، وهو من الخطاطين المشهورين في مكة، وأحد أشهر اثنين هما أستاذنا محمد حلمي وأديب هذا، وأذكر أن الأخ حمد المحمد الدبيان كان يأتي في العصر ليدرس عنده الخط، والأخ حمد ذو خط جميل. ومن جيراننا في أعلى الجبل الشيخ خليل عبدالجبار أحد موظفي إدارة (اللوازمات) بالخزينة الخاصة.

وقد سكنا كذلك بيتاً في «المسْيال» في الطريق إلى المسفلة، أمام بيت الفِدَا، وقريب منا الطريق الوحيد

الموصل إلى قلعة أجياد، ويقع بجانبه قبل المارستان (قراش) سيارة مهدي بك الصلح مدير الأمن العام، وكانت سيارة جميلة لامعة نظيفة، وعليها الهيبة دائماً، وإذا كان الأولاد آنذاك حريصين على «التشعبط» (التعلّق) خلف السيارات الصغيرة، وما أقلها في تلك الأيام، وهي مارّة، فإنهم لم يكونوا يفكرون في الاقتراب من سيارة مهدي بك. وأذكر أن أحد مستشاري الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وهو رشدي ملحس ـ رحمه الله ـ سكن أمام القراش في شهر الحج من إحدى السنوات.

وسكنا كذلك بيتاً في الصفا بجوار بيت الشيبي، وفي الطريق إلى البيوت التي في جبل «أبو قبيس»، وكان زميلنا يحيى شاولي يسكن في هذا الجبل، وكنت

في بعض الأحيان أذهب لزيارته وأبناء أسرته، ونستمع عندهم إلى بعض العازفين على العود والكمنجة، في غفلة من أعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذين يستصعبون الصعود إلى الجبل، لوعورة الطريق من عند الصفا إلى منتصف الجبل تقريباً. وأذكر أن الحاضرين كانوا يحرصون على حضور شخص لا أعرف اسمه ولكنهم كانوا يلقبونه بالدكتور، وهو ضارب «كمنجة» ممتاز. وكان زميلنا علي عوض في المعهد يضرب على هذه الآلة بجودة، وكان يحضر معنا ـ رحمه الله ـ ولقد توفي صغيراً، وكان دمث الخُلُق، ويكتب الشعر الحديث، وكان من أوائل من عالج هذا الفن من الشعر.

وقد سكنا كذلك في «الغَزَّة» بيتاً ملاصقاً لبيت

سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، أمام زقاق «ربع اطلع»، المجاور «للقصر المحروق»، وكان بأعلى الزقاق مبنى اللاسلكي. وبجانب هذا الزقاق دكان لشخص يدعى حمزة بصنوي لديه «ماطور»، وما أقل المواطير» حينئذ، يملأ به بطاريات السيارات و «الروادیو».

وقد سكنا كذلك في بيت في شعب علي لصدقة عبدالمنان، بجوار بازان شعب علي، وكان بيتاً فسيحاً استأجره الوالد، وأقمنا فيه مدة طويلة، وهذا صادف مجيئ الوالد من الرياض، واستقراره في مكة بعائلتيه في هذا البيت، وكان من ميزته أنه قريب من الحرم، وقريب من السوق، وأقرب من غيره من البيوت السابقة للمعهد. وقد تركت مكة إلى مصر، والأهل

لا يزالون فيه.

وللأخ حمد في هذا البيت ذكريات مع الوالد، لأن الوالد أصبح عنده وقت يجلس فيه في البيت، ويدّعي حمد أنه هو الذي جعل الوالد من أنصار الشاي من كثرة ما شربه معه.

وبعد هذا البيت بدأ الوالد يبني لنفسه ليس بيتاً واحداً، ولكن عدداً من البيوت في مكة والطائف.

عودة لبيوت شعب عامر:

شعب عامر نعده حيّنا، لعدة أسباب: أولها أننا سكنا فيه أربعة بيوت، وثانيها كثير من أقاربنا وأهل عنيزة يسكنون فيه، وثالثها نشعر أنه شعب مفتوح وفسيح أكثر من غيره. وقريب من «الجودرية» و

«المعلاة» و «المدّعى»، وهي من المراكز التجارية المتكاملة في مكة، وفي شعبنا بذرنا أول صداقاتنا مع زملائنا في المدرسة السعودية، ومع جيراننا وأبناء حارتنا، ولم تنقطع صلتنا بهم، وكانت شبه معدومة مع زملائنا في الأحياء الأخرى التي سكناها، أو في أحسن الأحوال محدودة جداً.

وأول بيت سكناه في شعب عامر بيت صدقة عبدالجبار، وهو بيت جميل، وكان يسكنه أيام الحج صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وهو البيت الذي تحدثت عن إشاعة أنه مسكون بالجن، وهو خلف «قصر المحروق»، وأذكر أن هناك بيت شعر كتب على جدار أحد مجالس البيت يقول:

نزلنا ههنا ثم ارتحلنا

وهكذا الدنيا نزول وارتحال

وقد علق هذا البيت في ذاكرتي منذ تلك الأيام، لأنه كتب بخط جميل واضح، وقد تركناه، ولم نمحه، فهو بيت شعر صادق.

نحن وابن خالة والدتنا «صالح الضراب» :

هذا البيت شهد إحدى أجمل فترات حياتنا في مكة، إذ كان معنا في البيت خالة والدتي، وهي والدة الأخ الحبيب صالح بن إبراهيم الضراب، وصالح، وهو موظف في «شونة»[1] قدهي، وكان والدي يحبه ويُعزّ والدته، وكنا نشعر أن أسرتنا لا تكتمل إلا بوجودهما معنا. وكان صالح أعزب لم

(١) شونة : تعني المستودع أو المخزن مع إدارته.

يتزوج بعد، ولهذا كان من المناسب والمفيد أن يبقى معنا، وشعرنا أنه أخ كبير لنا، يؤنسنا، ويرشدنا، ويساعدنا في دروسنا، وكان يحصل على روايات الجيب التي تأتي إلى مكة قبل الحرب وأثناءها، ويسارع إلى قراءتها، وبعد أن يقرأها أقرؤها بعده، فكانت مصدر ثقافة لي أنا على الأقل.

وكان أخي حمد يطلب منه طلبات معقولة أحياناً وأحياناً غير معقولة، فيستجيب للمعقول و (غير المعقول)، ومن أمثلة غير المعقول أنه طلب من أبي إبراهيم (صالح) أن يحضر له مسدساً ليطلقه، ليرى كيف يحدث هذا، فوعده بذلك، ووفى بوعده. أحضر له المسدس وذهبا إلى «الحنفية» المملوءة بالماء، وطلب من حمد أن يوجه فوهة المسدس إلى الماء،

وأن يضغط على الزناد، ففعل، ولم تسع الدنيا حمد من الفرح، وأخذ يفاخر بهذا زملاءه.

وكانت والدة صالح ـ رحمها الله ـ تنتقد ابنها في بعض الأمور التي لها علاقة «بالموضة» عند الشباب في تلك الأيام، مثل «الكبك» بالكم، والياقة في الثوب، وثوب «اللاس»، وطوله، وقصَّة الشعر تواليت، وهي ـ رحمها الله ـ من جيل قديم يجفل من هذه الأمور، وكان يقلقها كذلك سهره في الليل لوقت متأخر، فتستعدي عليه والدي لعله يساعدها، فما يزيد الوالد عن أن يقول: اصبري عليه ويعقل، إن شاء الله، و «يطيّب» خاطرها بمثل هذه الكلمات، وكان الوالد ـ رحمه الله ـ يرى أن أبا إبراهيم خميرة طيبة، وأنه سيأتي منه خير، وقد صدق حدسه، إذ كان

ـ رحمه الله ـ يعرف الشباب، وحياتهم، فقد كان شابّاً في يوم من الأيام، ويعرف صعوبة ابتعاد الشاب عن مجتمعه، والضرر الذي قد يأتي من هذا، وليس كل إنسان يدرك هذا الأمر. وطالما رجوت أبا إبراهيم أن يكتب مذكرات عن تلك الحقبة وعن غيرها، فهو أديب مؤهل متميز، وثقافته لا حدود لسعتها، وقد عاصر تطور المجتمع، ولهذا فهو خير من يكتب عن مجتمعه، لأنه مؤهل، ولأنه معاصر، ولأنه في خضم الأحداث، وما عليه إلا أن يكتب عن الأمور الاجتماعية، ولو فعل لجاء من هذا خير عميم.

ولكن يبدو أن الظباء تكاثرت على خراش، وهو لم يبدأ في هذا مبكراً، فوجد الأمر اليوم عليه ثقيلاً، مع أنه ـ والحمد لله ـ صاحب ذاكرة متميزة، وما عليه

إلا أن يضع سن القلم على الورق، وأنا واثق من أن السيل من الذكريات سيأتي مدراراً. لعل الله يهديه فيستجيب، ويمكنه أن يسجل ما يقوله شفاهاً، ويترك نقل التسجيل على الورق لأحد أبنائه ـ حفظهم الله.

وذكريات بيت (الحديد) بيت صدقة عبدالجبار لا تنتهي، وما ذكرته عنه هُنا على قلته يظهر تعلّقنا به، وقد علمت أن هذا البيت اشتري مع القصر المحروق، وهما الآن ضمن عمارة الجفالي المعروفة في هذا الموقع.

بيت الطجل:

كان للعم سليمان الطجل بيت في شعب عامر، وهو عبارة عن «عزْلتين»، أي بيتين، بينهما حوش صغير، وفي إحدى السنوات في أيام الحج استأجرنا

«العزلة» المقابلة «لعزلته» الثانية التي يسكنها هو وأولاده وأهله ـ رحمه الله ـ وقد أحببنا هذا البيت لأنه كان أمامنا جيران يسكنون في بيت صغير هناك، ولهم أولاد في سننا أحببناهم، وكانوا يدرسون كذلك معنا، وأظن الاسم «الدخيل».

وهناك قصة تروى عن العم سليمان وعن ضيف له من عنيزة، وهي قصة تظهر ما يؤدي إليه الفرق بين اللهجات من سوء فهم، والقصة كالآتي:

حج رجل من أهل عنيزة، أو جاء إلى مكة معتمراً، أو تاجراً، فرآه العم سليمان، ودعاه إلى العَشَاء، بعد صلاة العشاء، فجاء الرجل على الموعد، ودخل من الباب الخارجي، ووقف في الحوش تحت بيت العم سليمان، ونادى:

أبو صالح.

فرد أبو صالح: اطلع.

فقال الضيف: طلعت كبدك، وكبد الذي يقبل دعوتك.

فأدرك العم سليمان الخطأ، ونادى ابنه صالح، وقال له:

إلحق هذا الغشيم، وأْت به، نسيت أنه لا يعرف لهجة مكة، وأن «اطلع» بلهجة عنيزة «اخرج»، وأنه كان عليّ أن أقول: «إرق»! ومثل هذا يقع للنجديين عندما يأتون إلى الحجاز، ومثل هذا يقع كذلك للحجازيين عندما يأتون إلى نجد.

وأذكر أن رجلاً مزّاحاً، دخل الحرم ومعه عدد من النسوة، يقصدن الطواف، فأعطى حذاءه لأمرأة من

أصل أفريقي تجلس كالمعتاد على جانب «المشّاية»، وقال لها: خذي هذه، وابقيها إلى أن نخرج عساك «لأبي رُيَيَّة»، وهذه دعوة أن يصيبها الله بذات الرئة، وقد أراد بهذا أن يضحك من حوله.

فقالت: يا ولدي إن كانت دعوة خير فهي إن شاء الله لي ولك، وإن كانت دعوة شر فلك وحدك، فوجئ بهذا الرد، وبِرَدٍّ آخر من إحدى النساء، إذ قالت له:

هذا جواب المرأة في الدنيا، فهيئ ردك لربك يوم الدين.. فانقلب الضحك إلى ضده.

هذه لمحة بقيت في الذاكرة عن بيت الطجل، وبعض ما جاء في الذهن عنه، ولابد أنه الآن أثر بعد عين.

سوء فهم:

يقع سوء الفهم بين اثنين لأن نظرة كل واحد منهما تأخذ منحى مغايراً لمنحى الآخر، وتتسع الفجوة بينهما، أو تضيق حسب الحدث، ونظرة كل منهما إليه. يحدث سوء الفهم عملاً، ويحدث قولاً، ويحدث فكراً. ولا يوقف سوء الفهم على الإنسان بل يتعداه أحياناً إلى الحيوان، والمثل الآتي في ذلك يوضحه التصرف التالي:

إذ تقابل قط وكلب، فمن عادة الكلب عند الفرح أن يهز ذيله، وخلافه القط، فإنه يهز ذيله عند الغضب، فيقترب الكلب من القط ظاناً أنه يرحب به، وهو في الحقيقة في حالة عداء، واستعداد لحماية نفسه، إلى أن يصل الكلب إلى القط فيقفز القط في

وجهه، أو يهرب منه، فيندهش الكلب لهذا التصرف، ولا يجد له تفسيراً.

واللهجات العامية مجال لسوء الفهم بين اثنين أحدهما من منطقة والثاني من أخرى، يفوه أحدهما بكلمة يفهمها الآخر فهماً خاطئاً، لأنها في لهجته تعني غير ما تعنيه عند الآخر، ومن أقرب الأمثلة على ذلك المثل القديم، الذي تتداوله كتب التاريخ والأدب، قصة الملك الحميري، الذي وفد عليه رجل من شمال الجزيرة، ولعله أنشده شعراً، أو مدحه بالقول، فأعجب الملك ما قاله، فقال له: «ثب» يعني اقعد، فظن أن الملك يأمره بأن يقفز من الجبل الذي كانا عليه، فإمعاناً في أظهار قوة الولاء، وثب الرجل من أعلى الجبل إلى السفح.

وقد ذكرت في أول حديثي هذا قصة العم سليمان الطجل، وهو من كان يتحدث بلهجة مكة، مع ضيف وفد إلى مكة من عنيزة، فسببت كلمة «أطلع» سوء فهم إذ أنها تعني في لهجة مكة: «اصعد»، وفي لهجة أهل عنيزة «أخرج»، وتم تلافي الضرر بسرعة.

أمهد بهذا لحادثة طريفة وقعت لي في مكة، وملخصها:

كان يسكن أمامنا في «المسيال» في مكة أسرة مكونة من زوج وزوجته، وكانت الزوجة كثيراً ما تأتي لزيارة أهلي، وكان اسمها «نجمة» وهي من إحدى قرى الحجاز في جبال السراة، وكانت عندما تتحدث عن زواجها تستعمل كلمة النكاح، فتقول سنة ما نكحني محمد، فتصمّ نساء أسرتنا آذانهن،

ويطلبن منها أن لا تنطق بهذه الكلمة، وعليها أن تقول: سنة أن تزوجني أو تزوجته، أو سنة أن أعرست، ولكن لسان نجمة يأبي إلا ما تعوّد عليه. وأحياناً تتدارك اللفظة بعد أن تكون مرت أكثر حروفها على لسانها، فيضحك الجميع.

هذا سوء فهم طفيف عند سوء فهم أكبر، وفي هذه المرة جاء مني أنا، ونَفَّر «نجمة» ـ رحمها الله ـ والقصة كما يلي:

كنت أجلس كالمعتاد، وسني في حدود الخامسة عشرة، في المقعد في الدور الأرضي من بيتنا، عند «المعاميل» أواعي القهوة والشاي، فمرت نجمة، ودخلت وقالت: صب لي فنجاناً من القهوة، فصببت لها فنجاناً، الصبة المعتادة، فشربتها في رشفة واحدة،

فملأت لها الفنجان، وقلت: هذه المرة «زبرته» لك زبراً، فذُعرت، وقفزت، وصعدت جرياً على الدرج ودخلت على النساء غضبى. فسألنها ما بها، فأبت أن تخبرهن، وقالت: عمي عبدالعزيز، هذا العاقل يأتي منه مثل هذا، فسألوها: ماذا أتى من عبدالعزيز، فقالت، قال لي كلمة قبيحة لا أسمح للساني أن ينطقها.

وحدستُ ما أزعجها وأغضبها، فصعدت إلى مجلس النساء، والجميع في هذا الموقف، سؤال ولا جواب، وجواب ليس جواباً، فسألوني ماذا حدث؟ فأخبرتهن، فغشيهن الضحك، مما أغضبها مني، وقلن لها: هل هذا كل ما في الأمر؟ قالت: نعم، وهل هذا هيّن؟ كيف يأتي هذا من الولد الذي نعده من أعقل الناس، فشرحن لها أن هذا بلهجة عنيزة

تعني «ملء الفنجان»، فقالت: لا أريد أن أسمعها، فصرن إغاظة لها عندما تكون هي التي تصب الشاي أو القهوة، يقلن لها: يا نجمة ازبريه، ثم وصلن معها إلى اتفاق، أن تقلع هي عن كلمة النكاح، ويقلعن هن عن كلمة «زبر الفنجان» ـ رحمهن الله جميعاً.

لقد كان هذا موقفاً طريفاً لم أنسه، ولازالت صورته ماثلة أمامي بكل أجزائها ودقائقها، ولم أنسها لأني كثيراً ما أستشهد بها عندما يأتي الحديث عن اختلاف اللهجات وما تسببه من إحراج، وما تستثيره أحياناً من ضحك أو سخرية.

الخـــرازون:

كنا في شعب عامر، وكان فيه دكانان لخرازين، كل واحد منهما منافس للآخر، أحدهما دكانه مرتفع

عن أرض الشارع، والآخر مساوٍ لها. وكان يعمل عند صاحب الدكان المساوي لأرض الشارع صبي طريف، يحب إضحاك الناس، ويتلمس الأسباب لذلك، وبعض ذلك يأتي من قصص يبتدعها، ويدّعي أنه طرف فيها، أو يكون لها أصل، فيصوغها صياغة لا تكاد تعرف الأصل فيها. ولم يبذل جهداً في العمل ـ رحمه الله ـ وكان معروفاً بحب الأكل وكثرته، واسمه المعروف به (ع. ب).

كان هناك قريب لصاحب الدكان يعمل في مطبخ الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم في «الفلق» في مكة، وعندما ينتهي الأمير عبدالعزيز هو ومن معه من العشاء يأتي هذا القريب إلى دكان الخراز قريبه، ومعه قدر صغير فيه أرز ولحم، وبعد أن ينتهوا من

العمل في الليل بعد العشاء بساعة أو ساعتين يأكلون الأكل الذي جاء به قريبهم، وكانوا أربعة، والرجل الطريف (ع. ب) لا يشبع، وكيف يشبع والقدر صغير والأيدي الممتدة للأكل منه كثيرة، فأخذ يفكر كيف يستطيع أن يستولي على القدر بكامله، وأخذ يدير الأمر في ذهنه. وكان سراجهم الذي يعملون خرازتهم تحت ضوئه «لمبة» من النوع الذي في أعلى زجاجته فتحة تسمح بدخول الأكسوجين، وتصفيه لهب السراج،وكثيراً ما يقترب منها صاحبنا هذا (ع. ب)، و «يولع» منها سيجارته. وعلى من يفعل ذلك أن يفعله برفق وإلا انطفأ السراج، لأن من «ولّع» منه «شفط» الأكسجين. وجاء صاحبنا هذا بعد أن وصل القدر، ووُضعَ كالمعتاد في ركن قصي من الدكان، فأَوْهَم أنه يريد أن «يولع سيجارته»،

وشفط الضوء، وانطفأ السراج، وبسرعة البرق أخذ القدر، وعيون الآخرين قد أغشاها الظلام بعد النور، وقال لهم إنه سوف يذهب إلى «البازان» القريب من الدكان ليتبرد بتنكة ماء أو تنكتين من «البازان» يصبها على جسمه.

فذهب إلى هناك، وأكل الأكل بكامله، وعاد ووضع القدر خارج الدكان، وقبل أن ينتهوا من «الخرازة» أعاد الكرَّة في إطفاء السراج، واستطاع، دون ملاحظة من الآخرين أن يُعيد القدر في مكانه. واستأذنهم، وسط لعناتهم عليه لإطفائه السراج مرتين، ليذهب لينام، ولم يكتشفوا ما حدث إلا بعد أن غاب عن عيونهم، ولكنهم بعد ذلك أصبحوا حذرين من كل حركة يأتي بها ولو كانت بريئة!.

وقد جاءت فائدة هذا الرجل ليلة العيد، وهي الليلة التي تكون فيها المنافسة على أشدها في «تشريك» الأحذية على من يشتريها للبسها يوم العيد، فكان يأتي متلصصاً، حانياً ظهره، حتى لا يُرى، مستفيداً من ارتفاع الدكان فينفخ سراج المنافسين، ويهرب، وهذا يُعيقهم بعض الوقت، مما استوجب أن يوقف شخص لمراقبته ـ رحمه الله ـ لقد كان بسمة في محيطه، محبوباً من كل من عرفه.

يروي هو أنه مرّ مرّة على بيت صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبدالعزيز في يوم عيد، قبل أن يعود الأمير من صلاة العيد في الحرم، فنادته الخادمات أن يأتي ويساعد في إنزال الأكل من المطبخ إلى مجلس الرجال، فحمل صحناً كبيراً، وعثر في الدرج الأملس، و «اندلق» الأكل من أعلى

زلفة إلى أسفل زلفة، فنزل وبدأ يأكل من الأكل درجة درجة حتى نظف الدرج، وقال: «أُقرُّ أني قد شبعت هذه المرة».

طريقة للتأديب ناجحة:

قد يخفق أبرع الرجال في تأديب من يحتاج إلى تأديب، وينجح من لا يتوقع منه التأديب الناجح، وقد أوردتُ قصة في كتاب «من حطب الليل» الطبعة الثانية (ص ٤٦) تحت عنوان «مجنون عاقل»، ذكرت قصة مجنون اختطف طفلاً، وصعد به إلى أعلى منارة هناك، وهدّد برميه من أعلاها، وتجمَّع الناس تحت المنارة، وحاولوا إقناعه بإنزال الطفل سالماً، فأبى، ويئسوا منه، وجاء مجنون آخر، فشق الصفوف، وبيده منشار، فهدد المجنون الذي

في أعلى المنارة أنه إن لم ينزل الطفل سالماً فإنه سوف ينشر المنارة من أسفلها، فارتعب المجنون، ونزل مسرعاً، وسلَّم الطفل.

العقل مع الجنون لم ينفع، والجنون مع العقل لم يلتقيا علي صعيد واحد، هذا في الشرق وهذا في الغرب، ولهذا لما تقابل العقلان المنحرفان تفاهما، لأن أحدهما يعرف مجرى تفكير الثاني.

أتيت بهذ التقديم لأقص قصة حصلت في مكة بطلها أخي حمد وهو صغير، ومملوك أسود في سنِّه. هذا المملوك كان عند أسرة في الرياض، وقد أراهم «نجوم الليل في عز الضحى»، وكان من جملة أفعاله أنه عندما ينام الناس في «القايلة» يعمد إلى الحمير السائبة فيدخلها المساجد، فتأذّى الناس

منه، وعجزوا عن إصلاحه أو السيطرة عليه، فباعه سيده بثمن بخس، وعد صفقته هذه رابحة.

أُتي بهذا المملوك إلى مكة، وعانى منه سيده الجديد ما عانى منه سيده القديم. وفي يوم من الأيام ونحن في منى في حج أحد الأعوام أراد أن يُجري أذاه مجرى يلمس الأخ حمد، فتطارح معه وتعاركا، واعتلاه حمد وفي يده حجر، وقال له:

أنا لي زمن وأنا أريد أن أعرف ما إذا كان دمك أحمر مثلنا أو لا، فارتعب المملوك، وتخاذل ورجا أن يعتقه حمد من هذا الاختبار المخيف، ووعده أنه لن يعود إلى طبيعته، فعفا عنه حمد، وأصبح حمد هو «البعبع» الذي يخوف به الناس هذا المملوك إذا همَّ بأذى، وأصبحوا يقولون: «جاك حمد» مثلما يقول

ابن مكة «جاك الجاوة». والجاوي هذا مجنون أخذ ساطوراً في يوم من الأيام وراح يهوي به على من قابله، فيقتله، وقتل عدداً من الأشخاص قبل أن يتمكن الناس من السيطرة عليه.

وبمناسبة الجنون والتهديد، هناك قصة ممتعة، فيها جن وفيها تهديد، وفيها استسلام، وحدثت في غير مكة، وفيها خيال محلق، ولكنها مسلية سوف تساعد على طرد الملل ممن يقرأ هذه المذكرات. وأشعر أني لم أخرج عن الخط المرسوم فكل ما كان في ذهني ذكرى، حتى لو وضعت في مكان أو زمان غير المكان والزمان الذي تتحدث المذكرات عنه، وهذه هي القصة:

كان هناك رجل فقير ومعه عمته، وقد استأجرا

مزرعة صغيرة مهجورة، وكان فيها بئران إحداهما صالحة وفيها ماء، والأخرى جافة «عمياء». وفكر الشاب أن يتزوج حتى تساعده زوجته في العمل. ولم يكن بالمزرعة إلا غرفة واحدة، وليس لها باب، وتزوج الشاب، وكان هذا يقتضي أن ينام هو وزوجته في هذه الغرفة، وصارت العمة تنام خارجها، وتتخذ من عتبة الغرفة «وسادة» (مخدة) لها. وكان العمة كلما سمعت حركة في الغرفة سألتهم: «هل أذَّن الفجر»؟.

رأى الشاب أنه لابد من التخلص من العمة حتى يخلو الجو له هو وزوجته، ولأنه يعرف جشع عمته، وحبها للمال، قال لها: إني رأيت في المنام أن في البئر الجافَّة كنزاً، وقد عزمت على النزول إلى قاع

البئر، وحفر الكنز، وسوف أنزل أنا وأنت تبقين عند شفَّة البئر تُنزلين بي الحبل ولك ربع الكنز.

قالت العمة: لا، أنا الذي أنزل وأنت تُمسك الحبل، لأنك شاب مقبل على الحياة، أما أنا فامرأة كبيرة، وتركت الحياة خلفي، وأنا أفديك، فلابد أنَّ هناك رَصَدا قد وضع هناك ليحمي الكنز، إما أن يكون ذلك الرصد حية أو شبه ذلك.

ولأن هذا هو ما كان يقصده، فقد وافق وأبدى كأنه على مضض، وكان ينوي أنه إذا أوصلها إلى أسفل البئر رفع الحبل، وتركها هناك. ولكن تجري الرياض بما لا تشتهي السفن، وجاء أمر غيَّر مجرى الخطة تغييراً كاملاً، فبعد أن قاربت العمة من القاع سمع صياحاً وصراخاً واستغاثة، ووجد العمة قد

أمسكت برقبة جنّي، مقرّرة أن تخنقه، وكان الجنّي يستغيث، ويستنجد بالشاب، ويقول له:

إن أنت أنقذتني فسوف أغنيك، واستجيب لخمس طلبات تطلبها مني.

فالتفت الشاب إلى عمته، وقال لها:

يا عمتي لم نأت لنخنق الجن، ومادام أن هذا الجنّي سوف يغادر فلنتركه، ونلتفت إلى ما جئنا له من عمل مهم.

وبعد جهد اقتنعت العمة، وأطلقت رقبة الجنّي.

صعد الجنّي إلى أعلى (لم يذكر الراوي ما تم في أمر العمة، ولعلها في البئر إلى الآن!)، واقترح الجنّي أن يذهبا إلى المدينة، وأن يدخل في بنات الناس

(يلابسهن)، وأنه بمجرد أن يقرأ الشاب على من يدخل فيها يخرج الجني منها، فوصلا المدينة، ولابس الجني بنت أحد الوجهاء، وقرأ عليها الشاب، وخرج الجني، وكوفئ بمكافأة سخية، ثم أخذ الجني كلما لابس بنتاً قرأ عليها الشاب فخرج الجني، حتى كملت الملابسات خمساً، فلما لابس السادسة وقرأ عليها الشاب أبى أن يخرج الجني منها.

فقال له الشاب إني سوف أقع في موقف محرج إن لم تخرج.

قال الجني: كان بيننا شرط، وقد وفيت لك به، وقد أعجبني هذا العمل، وأخيراً اخترت هذه البنت ولن أخرج منها.

وحاول الشاب أن يقنعه خاصة وأن أهلها هم

مكانة وسلطة، وهددوه إن لم ينجح في إظهار الجني فإنهم سوف يؤذونه، فضاقت به السبل (هذه نتيجة قطع الرحم و «حوبة» العمة).

فكر الشاب في الأمر، ثم «طاح» على الحل، والتفت إلى الجني، وقال له بلهجة الواثق من نفسه:

إن لم تخرج من هذه البنت فسوف أذهب وأحضر عمتي، وهي كفيلة بذلك.

فصُعق الجني من هذا القول، وارتعدت فرائصه ووعده أن يخرج من البيت ومن المدينة كلها.

وهكذا يأتي الاقناع بطريق التهديد، ويأتي سائراً على طريق معوجّ، ولكنه، يا للعجب هو الموصل عندما لا ينفع الطريق المعتدل!! وأصبحت «جاءتك عمتي» في إحداث الرعب مثل «جاك الجاوة».

من أفضال الحرم:

أفضال الحرم كثيرة، فهو محل العبادة، ويشجع عليها، وإلى الانقطاع إليها، وله روحانية تحلق بالإنسان في أجواء بهجة. في الحرم لا يمل الإنسان الجلوس، سواء كان ذلك للعبادة، أو لإراحة الجسم والأعصاب، وفي الحج، وموسم العمرة، يصبح الحرم مصدر ثقافة واسعة، ونستوحي ذلك من تعدد الأجناس والشعوب، ومن مظاهرهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وملابسهم، وتصرفاتهم، ونظرتهم للحياة، وعسر حياتهم أو يسرها، ولا يمل المرء من دراسة ما يراه منهم وما يتأمله.

والحرم هو المحل الأول في مكة المضاء بالكهرباء، هو بالدرجة الأولى، وقصر الحكم بالدرجة الثانية،

ولهذا فإن إقبال الليل لا يمنعنا من المذاكرة فيه، فالإضاءة على ضعفها نسبة للأنوار اليوم، كانت كافية لنا، إذا ما قورنت بالفوانيس في بيوتنا. وكنت ترى الطلاب، خاصة في أيام الاختبارات، فرادى أحياناً وجماعات، تحت عمود من أعمدة النور المنتشرة في حصوات الحرم، ويختار طالب أو مجموعة من الطلاب أحد الأعمدة، فيصبح معروفاً بهم، ويصبحون معروفين به، وتحدد عنده المواعيد، وتكون منه الانطلاقات.

ومن أفضال الحرم أننا تعرفنا فيه على الأشخاص الذين توطدت الصداقة بيننا وبينهم، ومنهم من كانوا يأتون أيام الحج مع الملك عبدالعزيز، ومن هؤلاء الأستاذ عثمان الناصر الصالح، الذي كان

حينئذ يدرّس أبناء الأمير عبدالله بن عبدالرحمن، وقد توطدت الصلة بيننا وبينه، ودام الاتصال بيننا بالكتابة في ذلك الوقت، وبالزيارات بعد أن صرنا معاً في الرياض، وسوف أرفق خطاباً منه لي، بعثه من الرياض بعد أن عاد إليها بعد حج عام ١٣٦٤هـ، ثم كتب لي بعده خطاباً آخر مؤرخ في ٢٤/ ٥/ ١٣٦٤هـ، ويعتذر عن تأخير الكتابة، لأنه ذهب إلى البرّ صحبة سمو الأمير، والخطاب مرفق.

ومن الذي كانوا يجلسون معنا في «حصوة» الحرم الشيخ عثمان التويجري، وهو رجل يوفّي الموضوع الذي يتكلم فيه حقه، وكنا نأنس بوجوده، ولعل تعرفنا عليه جاء عن طريق الأستاذ أحمد بن زيد الخيال ـ رحمه الله ـ والأستاذ إبراهيم الحجي، مدّ الله

في عمره، وكذلك محمد العبدالله القضيب ـ أسكنه الله فسيح جناته ـ فقد كانت الابتسامة لا تفارق وجه القضيب، وكانت ابتسامته مضيئة.

ومن بين الذين سعدنا بمعرفتهم الأستاذ موسى الكليب، وهو رجل لا يُمل مجلسه، ذا عقل، وتجربة، وللوالد معه بعض التعامل التجاري، وتوطدت العلاقة معه بعد أن عملت في الرياض، وبعد أن انتقل إليها من الأحساء ـ رحمه الله رحمه الأبرار ـ.

وزملاؤنا أحمد الزيد وإبراهيم الحجي ومحمد القضيب كانوا سبباً في معرفتنا ببعض القادمين من سدير، وكان الحرم أيضاً فرصة لنا لنتعرف على بعض القادمين للحج من أهالي الأحساء والمناطق الأخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الحمد

عزيزي الكريم عبدالعزيز بن الخويطر المحترم

تحية وشوقاً: أما السؤال عنكم فهو فوق الوصف

: متقيقي: وربما كنتم عندي وصولي الرياض ونيته العجلة في الظهور

الى حد صحبة سمو الأمير وعدم استطاعتي بعد الوصول معه

غير يوم فقط حالا عن مقابلة بنفسي بتسليم لصاحب البريد

وظني أن أرسل اليكم بالبريد العادي

أخي: ...

ما سمعت بكم أخبار قبله وذكراك ... جميلا في ...

فهل أنتم كذلك: ذكرونا مثل ذكرنا لكم: رب ذكرى قربت من نزحا

: قف: صغر الورق ليس لضيق الوقت فقط وإنما البريد

ربما لا مكنة عليه فلهذا أحررت بغاية العجلة للتذكير

فقط وإنما سنعود مرة أخرى فشرفونا بالإلزام عزيزي

المخلص

٢٤/٥/١٣٦٢هـ

[illegible]

نحن وأصحاب الحرم:

وقد صار لنا أصدقاء من أهل الحرم من أغوات وكناسين وزمزمية، وغيرهم ممن يداوم المجيء إلى الحرم. ومن الأصدقاء الذين لا ينسون أحد الكناسين، وعلى الرغم من أنهم كناسون فقد كان لهم مقام محمود عند الناس، وعند سلطة الحرم، وكان صديقنا الكناس هذا رجل ضخم الجسم، خفيف ظل، مؤنس، وهو من أصل كردي. وكنا نجلس عنده أحياناً قرب الصحن بجوار الكعبة، ويأتي أحياناً عندنا تحت أحد أعمدة النور في الحصوة التي اخترناها، وفي ليلة من الليالي، بعد صلاة العشاء، بعد أن قلّ الناس هناك، صادف أن شخصاً تثاءب، ولم ينقفل فمه بعد أن تثاءب، وصار

يصدر أصواتاً غير مفهومة، ومزعجة، يستنجد بها من حوله، فجاء هذا الكناس، وبهدوء تام أخذ غترة المتثائب وطواها، ثم حشرها في فمه، وأخذ يلمس برفق جوانب وجهه، وتحت حنكه، وفجأة لَكَمَ الحنك الأسفل بقوة فانقفل الفم.

كان هذا تصرّفاً مذهلاً، وعملاً متقناً، وخطة ناجحة، لقد حسب حساب كل شيء. وكان من علامات ذكائه وضع الغُترة في الفم لكي لا يتسبب عند الإطباق المفاجئ السريع المتقن القوي في قطع الأسنان للسان. أمّا حركاته على جانبي الوجه فما هي إلا لطمأنة المتثائب بأن المعالجة ستكون هيّنة وهادئة، وهذه الحركات جعلت عضلاته تسترخي، وكذلك الفكّان، وقد أجرى الحركة القوية لمرة

واحدة، ولم يحتج إلى تكرارها.

وكان صديقنا الكناس رجلاً فكهاً مبتسماً، وصاحب قصص مسلية، ومن بين ما أذكر قصة له حكاها لنا عن أمور حصلت في حرب اليمن، في أوائل الخمسينات الهجرية، قال إنه ذهب مع جيش الملك عبدالعزيز ليحارب بقيادة الأمير فيصل، ويقول إن معنا في الجيش بعض اليمانيين، يركب بعضهم على حمير، فإذا اعترضتنا شعبة ماء حرن الحمار، وأبى أن يقدم علي عبورها، وراكبه لا يريد أن ينزل ليقوده، فكنا نحمل الحمار وراكبه ونعبر بهما شعبة الماء، ومن رأى جسمه وقوته آمن بصحة كلامه.

من شخصيات الحرم:

كان من الشخصيات غريبة الأطوار في الحرم رجل من أهل القصيم (م. ب) جاء ليعمل في مكة طلباً للرزق، ويبدو أنه اتصل بأحد رجال الطرق الصوفية، فأثّر عليه، فزهد في الدنيا، واتجه للآخرة، وكان يأتي ويجلس معنا، وكان محبوباً، لأنه كان خفيف ظل، ويقبل ما يأتي منا من محاولة لمشاغبته، وكان يجلس بسبحة طويلة، ثم فجأة ينظر في السماء، بطريقة تستدعي تعليقات الطلاب غير المريحة له، ولكنه لا يتأثر بذلك، وكان يسكن في رباط، وهو رجل قوي البنية ـ رحمه الله ـ فقد كان من معالم الحرم التي قلَّ أن تُفتقد في تلك الأيام، وكنّا نتطلع إلى مجيئه ورؤيته، ونفتقده إذا غاب.

مفاجأة على الدرج :

بعد المذاكرة في الحرم أعود لبيتنا، وكان في شعب علي، وهو بيت صدقة عبدالمنان، وأظنه شيخ مشائخ الجاوه، ولأجل تبديد الظلام كان أهلي يضعون لي سراجاً عند أسفل الدرج، وجئت في إحدى الليالي، كالمعتاد، عائداً من الحرم، وكان الدرج مظلماً، ولا أدري ما فعل الله بالفانوس، فإما أن يكون أحد قد أخذه ليستفيد منه، ثم نسي أن يعيده إلى مكانه، أو أن القاز (الكيروسين) نفد منه.

بدأت أصعد الدرج، وفجأة عثرت بشيء خشن، وبرزت لي صورة الجن التي نسمع عنها في القصص، وصوفها الخشن، وبسرعة أطبقت يدي عليه، ورفعته وألقيت به خلفي، فثغت،

فتبين أنها «جفرة» (سخلة) الجيران، وأنها رأت الباب مفتوحاً، وأدركها الليل، فنامت بعد أن صعدت درجتين أو ثلاثاً. فإذا كانت انكسرت رجلها، فأنا انكسر قلبي من الخوف، وشاب شعري في ثوان.

هذه المسألة المؤلمة لي وللعنز الصغيرة، صارت مادة تندر وتسلية عند الآخرين، وبقيت كذلك لمدة غير قصيرة، ولعل جزءًا من هذا الألم كان سبباً في أني لا أزال أتذكرها.

ولا أنسى دهشتي بعد أن عاد إليَّ رشدي، وقد تساءلت من أين جاءتني تلك القوة؟! وعلى الرغم من أن الجفرة ليست كبيرة إلا أني لم أكن أستطيع حملها في الوقت المعتاد.

حمد يشتري دفتراً:

لا أذكر كَمْ كان عمر أخي حمد، عندما ذهب إلى باب السلام ليشتري دفتراً، فقال للبائع: هل عندك دفتر بستة قروش؟ لأنه سمع أحداً يقول إنه اشترى دفتره بستة قروش، فأعاد ما سمع، بدلاً من أن يقول: أريد دفتراً، فإذا أراه البائع الدفتر سأله عن قيمته. وقد أخذنا نتندر بهذا الموقف أياماً. وحبّنا للتندر على أخطاء الصغار لم نسلم منه، فقد كنا من الخطأ قاب قوسين أو أدنى.

باب السلام:

هو معلم ثقافي، وهو من أهم أبواب الحرم، وفيه بضاعة الفكر من كتب وقرطاسيات وأقلام وأحبار، وكانت المكاسب فيه أيام الحج عالية،

فمن مشترٍ من الحجاج، وما أكثرهم، ومن بائع. وكانت الدكاكين تعج بأمهات الكتب الدينية، وكانت أثمانها غالية، ولا فصال فيها ولا مكاسرة ولا مجادلة في الغالب، فالسعر محدد، وما لا يشترى اليوم لا يمل منه، وسيشترى غداً. وكان بعض هذه الدكاكين صغيراً، وبعضها كبيراً، ثم فتحت دكاكين حديثة في باب السلام الصغير، تبيع كتباً حديثة، وسرعان ما اجتذبت الشباب، فكانت أشبه بالنادي منها بالمكتبة، خاصة أن من كان قائماً عليها كان بشوشاً، حسن الخُلق، واسع الصدر.

مكتبة الميمَني :

كان في ركن من حارة القشاشية، بجانب مبنى البريد، صاحب دكان يبيع الكتب والمجلات

والجرائد. اسمه الميمني، وكانت الكتب والمجلات تحجز قبل أن تصل بمدة، ولهذا صارت أسعارها غالية، وكنا نتفق على أنَّ من استطاع من طلاب فصلنا أن يشتري كتاباً فعليه بعد قراءته أن يعطيه آخر من طلاب الفصل، وضمنا بهذا أن نقرأ أكبر عدد من الكتب التي ترد من مصر، ولم نكن نهتم بالجرائد، وكنا نحرص على المجلات، وعلى رأسها مجلة المختار (ريدرز دايجست)[1]. ووصلت كتب المنفلوطي، فاقتنيناها تباعاً، العبرات والنظرات، وماجدولين، ومختارات المنفلوطي. ثم جاء كتاب ليلى المريضة في العراق لزكي مبارك. ولم تطل المدة، وانتهت الحرب، وذهبنا إلى مصر، وأشبعنا نهمنا منها بحق هناك.

---

(١) لا يزال عندي منها بعض الأعداد الصادرة في ذلك الوقت.

كانت الثقافة الأدبية في كل البلدان العربية مزدهرة، وكان الشباب مقبلين على التهام ما تدفعه المطابع، وكان الكتَّاب في قمة نشاطهم.

مواضيع مختلفة :

هناك أمور مختلفة، وحوادث متفرقة، وصور لا تجمعها رابطة، ولا تضمها وحدة، إلا صلة الزمن الذي تأتي الذكريات في حدوده، وتَكْمُل في ثنايا رسمه صور صادقة عن حياتنا في مكة حينذاك، بعض هذه الصور عشناها، تمتعنا بها أو عانينا منها، وبعضها رأينا بدء دخوله للمجتمع، وشهدنا خَطوة الوئيد، وبعضها صور شاهدنا غروب شمسها، وأفول نجمها.

ولا تكتمل الصورة العامة لحياتنا الأولى إلا

برصدها، وتبقى ناقصة إذا لم نذكرها بما تستحقه من وصف وتسجيل. وقد رأيت أن آتي بها في هذا الموضع من الذكريات، إذا غابت عن ذهني في أول الأمر، ولكن فكرة مرت بذهني ذكَّرتني بها، فبادرت إلى هذا التدوين.

حمد وعبدالرحمن القاضي:

عبدالرحمن الإبراهيم القاضي ابن عم لوالدتي ـ رحمها الله ـ وكان من «خويا» ابن سليمان، ولم يكن مقيماً إقامة دائمة في مكة ـ شرفها الله ـ ولكنه يأتي إليها لماما، ومجيؤه لم يكن منتظماً، ويبدو أن مجيئه كان محكوماً بالمهمات التي يُكلف بها مثل غيره من «الخويا». وكان يحرص كل الحرص إذا جاء إلى مكة على زيارتنا، وكنا نفرح كثيراً بمجيئه، ونتطلع

إلى الوقت الذي يقتطعه من عمله ليبقى معنا.

وذات مرة صادف مجيؤه إلى مكة يوم عيد، فجاء لزيارتنا، وأصرّت الوالدة، وأصررنا معها، أن يبقى إلى وقت الغداء. وقدّمنا الغداء، وكان صحناً من الأرز وفي وسطه لحم، بجانب «الإدام»، وقرر عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ أن ينفرد بأكبر جزء من اللحم، مازحاً مع حمد، وحمد يعشق المزاح والمداعبة مع من يألفه، ومن يبعد الكلفة بينه وبينه.

كان هذا اللقاء بيننا في بيتنا في شعب عامر، ملك شيخ النحاسين عبدالوهاب مؤمنة، وقد وصفت هذا البيت من قبل. فلما حان وقت الغداء ظهراً، وقدّم الطعام، جلس ثلاثتنا على السفرة، فسارع عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ وقال لأخي حمد:

يا بو شهاب هلا «فزعت» لي وقرأت الكتابة التي على «محبسي» (خاتمي)، لأني منذ كتابتها لم أستطع قراءتها لرداءة خطها، وأنت متعلم وأحربك أن تقرأها بسهولة.

وكانت الكتابة فعلاً رديئة، فأخذ حمد يحاول قراءة ما على الخاتم بأناة وصبر، محاولاً فك رموز هذه الطلاسم، وعبدالرحمن كان جاداً في التهام اللحم، إلى أن أوشك ألا يبقي إلا العظام وعليه «إشاعة» لحم، تنبّه حمد للخدعة في مزاحه مع عبدالرحمن، انقض عليه، انقضاض العصفور على نسر، فالمعركة كانت غير متوازنة لولا أن عبدالرحمن استسلم ليعطي حمد حقه في تفريغ شحنة الحنق الذي شعر به، ولعل الأمر ليس في أهمية اللحم وإنما في نجاح

الحيلة عليه، مما أثار عزّة حمد وكرامته.

وعبد الرحمن[1] هذا خفيف ظل، ويحكى أنه في أحد الأعياد عندما كان صغيراً اجتمع بالصبية من أبناء حيّه، ومثل ما هو معتاد عندما يجتمع لفيف من الصغار يحاولون إغاظة بعضهم بعضاً، وقد اختار هؤلاء الصبية أن يغنوا جميعاً أغنية فيها هجاء لأسرته، فغنى معهم، وصفّق، وأظهر مثلهم البهجة، وكأن الأمر لا يعنيه، فلما رأوا عدم مبالاته تركوا هذه الأغنية والتمسوا غيرها، ونجح عبدالرحمن في مخططه هذا ضدهم كما نجح مع أخي حمد في حرمانه من اللحم!.

بعد أن كتبت هذا بمدة يسيرة عثرت على نص

(١) في الملحق، سوف أرفق صورة مسودة خطاب كتبناه لعبدالرحمن ـ رحمه الله ـ.

طريف، يسير مع قصة حيلة عبدالرحمن في أمر اللحم جنباً إلى جنب:

أورد إبراهيم الحصري في كتابه: «جمع الجواهر في الملح والنوادر»، ص (٣٥١) ما يلي:

قعد عبادي وأعرابي يأكلان، فقال العبادي للأعرابي:

كيف مات أبوك؟ ليشغله بالكلام عن الأكل.

فقال: أصابه كذا وكذا.

فأخذ في حديث طويل، والعبّادي يأكل.

ثم قال الأعرابي: وأنت كيف مات أبوك؟ ليشغله بالكلام عن الأكل، فقال:

اتّخم، فمات».

معالجة مريض:

كان لنا جار بيته ملاصق لبيتنا، وكان له ابنة صغيرة، فمرضت هذه الإبنة مرضاً شديداً، فزارتهم والدتي، ورأت ما بالإبنة، وأخذت تتحسس جسمها، وبتحسس بطنها أدركت أن عندها «قبضا»، وهذا واضح من مجرد جس بطنها، فأعطتها «سنامكي»، وانطلق بطنها، ثم سارعت إليها العافية بشكل مدهش، ولكن أصابها خلل نفسي، وصارت تخاف من الظلمة، ومن أي شيء أسود، ودائماً تجلس في حضن والدتها أو والدتي، وتجفل من الغريب، رجلاً كان أو امرأة، وقد أخذتُها لعدد ممن كانوا يقرؤون القرآن على المرضى، ولكن دون فائدة.

وفي يوم من الأيام، وبدون توقع دخل علينا ابن

عم والدتي، أخوها من الرضاع، واسمه عبدالعزيز المحمد القاضي، وهو رجل سبق أن سافر إلى عُمان، وتعلم هناك الطب الشعبي، وكان يأتيه جموع من البادية، يعالجهم ويقرأ عليهم، وبيته قريب من «السفيلا» بعنيزة، وقد رأيت في سنة من السنوات خياماً للبدو عديدة، كلهم جاؤا بمرضاهم، ليعالجهم ويقرأ عليهم. وسلمنا عليه عندما دخل علينا وجلس، فقفزت الطفلة، وجلست في حضنه، مما أدهشنا.

ثم سألته الوالدة عما دعاه إلى المجيء إلى مكة.

فقال: أن صديقاً عزيزاً عليه من أهل مكة، يسكن في المدّعى، عنده ابنة عندها حالة نفسية، فجئت لأقرأ عليها.

فقالت له الوالدة: لعل هذا سببُ خير إن شاء

الله، فهذه ابنة جارنا مثلها.

ثم قصت عليه القصة. فقرأ عليها في ذلك اليوم فرأينا تحسن حالها، وانطلاقها للعب، ثم أعاد القراءة في اليوم الثاني والثالث. وعادت الطفلة إلى حالها الطبعية.

وسألناه عن ابنة صديقه.

فقال: إن حالها مثل هذه الصغيرة، وأنها شفيت والحمد لله.

فسألته عما يقال عن الجن، وأنهم يتلبسون الإنس، وأن أحدهم لا يخرج إلا بالضرب، وأن الجني يخاطب الضاربين بصوت يختلف عن صوت المريض الذي يتكلم على لسانه.

فقال: الجن موجودون، ولكن المسلم الخيّر منهم

لا يتلبس المسلم. أما إذا كان الجني شريراً، وتلبّس شخصاً، ونطق المُتلبَّس به، أو من حوله، بذكر الجلالة أو بشيء من القرآن، فالجني يحترق، أما الجني الخيّر، فلا يتلبس المسلم.

فسألته إن كان قد ضرب أحداً.

فقال: لم أضرب في حياتي أحداً، يُؤتى بالمختل عقلاً، وقد سلسلوه بالسلاسل، فأقرأ عليه، وأتحرى عن سبب جنونه، فإذا عرفت سبب جنونه منه، أو ممن أحضره، سهل العلاج بإذن الله.

وقال: قبل أيام، على سبيل المثال: جيء لي برجل موثق، وتبين أن في أعلى أنفه جفافاً سبب له صداعاً أخرجه من عقله، خاصة وأن من حوله أوهمه أنه ملابس بجني، وزاد الوهم عنده مع الصداع، فدخل

في حالة جنون.

قلت: ماذا عن تغير الصوت.

قال: جزء منه مجرد تصور وتخيّل، وجزء منه ينشأ من تشنج أوتار الحلق فيختلف الصوت كما يختلف في أوقات الزكام.

قلت: بماذا عالجت الرجل؟

قال: عالجته بأن «حمست» عدداً من البيض، واستخرجت من صفاره مادة زيتية خلطتها ببعض السمن، وببعض أدوية أخرى، توصف عادة لمثل حالته، وبعد أن استعمل هذا العلاج أياماً، عاد إلى طبيعته، وعادت إليه صحته، وعرف أسباب ما أصابه، وحرصت، وهو في صحته على أن يعرف أنه لم يُخالط بجن، وأن الأمر عضوي، وأرشدته إلى

طريقة مقاومة الجفاف في الأنف.

أنا أدهش كلما تذكرت هذه الحادثة، أدهش من الصدفة التي جاءت بخالي من عنيزة، لتشفى على يديه، بإذن الله، هذه الطفلة، وأدهش عندما أتذكر هذا البيان عن الجن والعلاج، وعندما أتذكر مخالفة ما قاله خالي تماماً لما هو سائد.

وأدهش من تقدم العلم بالطب الشعبي في عُمان في ذلك الزمن، وفي عُمان اليوم سمحوا للطب الشعبي أن ينظم في عيادات، وأن تصرف إعانات يشتري بها ما يحتاجه الطبيب الشعبي من مواد للعلاجات التي يصفها، وأدهش كيف أن الطفلة بمجرد دخول خالي الغرفة، وهو غريب، رمت نفسها عليه، ولم تخف منه.

حَمَام الحرم :

من الأمور التي تدهش القادم لأول مرة من نجد حمام الحرم. وحمام الحرم يُرى في كل مكان، ويعشش ويبيض في أي مكان يختاره، وأكله محرم على الناس، وله أوقاف تُدر مبالغ يُشترى بها حبوب له، ترمى في وقت معين على حصوات الحرم، وتُرى أسراب الحمام تأتي «فروقاً» إذا جاء وقت تغذيتها، أو رأت الحب يُنثر. ولا يخلو وجودها في الحصوات لالتقاط الحب من عيب، فهي توسخ الحصوات، وزِبلها إذا إذا جاء المطر له رائحة كريهة.

ولا عدو للحمام إلا القطط، فقد كان يقال إن من يأكل من حمام الحرم يصاب بالجرب، وكانت هناك قطط تصاب بأمراض بسبب الجوع أحياناً،

تراها تذبل تدريجاً، ويقول الناس إنها جرباء بسبب أكل الحمام، والحقيقة إن ما بها من الجرب أو المرض بسبب الجوع أو العدوى أو الهرم.

آكلو الحَمَام:

جاء أربعة أو خمسة من شباب عنيزة، وهم من «عيايرة» عنيزة، أي الذين يخرجون من خط العادات المستقيم بطرق مضحكة، جاؤا طلباً للرزق، وأمضهم الجوع في مكة، فتشاوروا فيما بينهم، فقال أحدهم:

لماذا لا نأكل من الحمام «المُسبَّل»، فنحن أولى من القطط؟

فقال آخر: إن من يأكل من حمام الحرم يصيبه الجرب.

فقال الثالث: لنا مدة الآن، ونحن نرى كثرة افتراس القطط للحمام، ولم نر قطاً واحداً أجرَب.

وغلب صوت الجوع كل الحجج، وبدأ القوم يفترسون الحمام افتراساً، ومادام الأمر مخالفاً للمتعارف عليه، فلا داعي للاقتصاد. وكان همهم إخفاء الريش، واتخذوا لإخفائه طرقاً متنوعة متعددة، من السهل إخفاء أماكنها.

وفي يوم من الأيام بدأ أحدهم يحك جلده فقال له أحدهم:

هذه أول علامات الجرب.

فرد الآخر بقوله: بل علامات دبيب العافية التي ما عرفناها من قبل.

هتلر القطط في الحرم:

كان هناك في الحرم قط ضخم سمين، شرس مع القطط، سماه الطلاب المذاكرون في الحرم: «هتلر»، وهتلر في ذلك الوقت كان في قمة مجده، مكتسحاً للحلفاء. وبقي هذا القط في عنفوانه وعنجهيته، ثم بدأ يضعف جسمه تدريجاً، ثم مات في الأسبوع أو الشهر الذي انتحر فيه هتلر الحقيقي، فكان هذا مثاراً للعجب!.

بعض أماكن الترفيه:

كانت أماكن الترفيه في مكة محدودة، وكما سبق أن ذكرت، كان من وسائل التسلية، صعودنا لبيت أهل الأخ يحيى شاولي فوق أوائل جبل أبو قبيس،

والاستماع لبعض العازفين على العود والكمنجة، والأغاني بألحان حجازية، وكان هذا يتم بتكتم شديد، فإذا تم شيء من الاستمتاع بالأغاني بدأنا نشعر بخوف من هجوم رجال الهيئة، وهو شعور يقلل من لذة الاستمتاع، ولهذا السبب لا أذكر أني حضرت أكثر من جلستين.

ومن وسائل الترفيه أن نذهب في وقت العصر في أيام المطر أو الغيم ونطبخ «معدوساً» هناك في بستان الزاهر، والرزّ المعدوس مرتبط بفرح وترح، فهو عشاء أيام المطر وغذاؤها، وهو كذلك عشاء أيام العزاء. في بستان الزاهر ننطلق نتنسم عليل النسيم هناك، بعيداً عن البيوت.

صور من حجّنا:

منذ وصولنا مكة، ونحن نحج في كل عام، وكان الحج كله على الجمال إلا قليلاً من الناس يحج على رجله أو بالسيارات، ونحن نحج على سيارة، ويسبقنا من ينصب الخيام والشُّرع، الخيام للنساء، والشُّرع للرجال، وللمطبخ شراع، وللصبيان شراع. وكنت ترى الناس في منى غير متزاحمين، بل مبددين، بعيداً بعضهم عن بعض، وقد قلّ عدد الحجاج بعد قيام الحرب بسنة، فوصل عدد من حج في إحدى سنوات الحرب إلى خمسة وثلاثين ألفاً فقط، بما في ذلك حجاج الداخل، وكانوا أكثر في تلك السنة. وكان مخيمنا ملاصقاً لمسجد الخيف في منى، ملاصقاً لقبلته، ولم يكن بيننا وبين الجبل خيام حُجّاج.

وكان الناس في عرفة لا يضيعون لقلة الإزدحام، ووجود بيارق يرفعها المطوفون، يهتدي إليهم بها من ضاع من حجاجهم، ولم يكن عدد من يصعد على جبل الرحمة كثيراً، وترى الناس يبدون من بعيد وكأنهم حمام أبيض فوق الجبل.

وفي النفرة يحدث هناك ازدحام طفيف تحدثه «الشقادف» والجمال، لأن الناس يحرصون على عدم الانصراف من عرفة إلا بعد غياب الشمس، خاصة التابعين لبعض المذاهب. وفي مزدلفة يستريح الناس، فلا تسمع فيها إلا رغاء الإبل باركة أو ناهضة، وأصوات الرجال. ثم يبدأ الناس بجمع الجمرات، وتراهم، إذا طلع القمر، كأن أحدهم انفرط له عقد لؤلؤ، وهو يبحث عنه. ثم يصلّون الفجر، ويبدأ الرحيل إلى منى.

كنا نبقى يوماً إضافياً في منى حتى لا نزاحم الناس في الدخول إلى مكة، لأن المدخل إليها كان ضيقاً، من جوار قصر السقاف في المعابدة (أم عابدة). وبعض المجربين من حجاج المملكة يعرفون هذا فيرتبون أمرهم على هذا منذ أن ينووا الحج.

وأذكر أن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في إحدى السنوات، رأى أن ينزل من منى، في أول أيام التشريق، ليقضي حجه، قبل صلاة الفجر، لكي لا يزاحم الناس، ونوى كثير من الناس أن ينزلوا في اليوم نفسه لقضاء حجهم قبل صلاة الفجر، لكي لا يزاحموا الموكب الملكي، فأراد الله للفئتين أن تنزلا معاً، وأن تطوفا وتسعيا معاً، وكانت هذه الصدفة في قضاء الحج حديث الناس لأيام.

يقرأ على السيارة:

وحين كنا في منى في اليوم السابع من شهر ذي الحجة في إحدى السنوات، وكانت سيارة الوالد «البيوك» (بويك» واقفة، وفيها عطل، وأرسلوا من يجلب لها قطعة «الغيار» اللازمة، عندئذ قام أحد الرجال الفكهين (ع. ق)، وأخذ «فنجال» قهوة ممتلئاً، ودار به على الحاضرين في الشراع، وطلب من كل واحد أن يقرأ وينفث في «الفنجال»، فلما انتهى أخذ الفنجال وصب ما فيه على السيارة، فقال له الوالد:

لم فعلت هذا، حسبي الله عليك، وسختها زيادة على الغبار الذي قد طلاها!.

قال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، أقوم، وأدور «بالفنجال»، وأتعب، وهذه هي العاقبة، و (ع. ز) (رجل فَكه آخر) بمجرد أن يفتح فمه يكاد يغشى على الحاضرين من الضحك.

قال الوالد ـ رحمه الله ـ: يا فلان، «التتن» (الدخان) فيه حار وبارد.

فضحك الجالسون، وصارت مثلاً في محيطنا. المهم أن الضحكة التي كان يبحث عنها الرجل جاءته بطريق آخر، لم يُضحك له، وإنما ضحك عليه ـ رحمهم الله جميعاً ـ صاحب «التتن» البارد و «التتن» الحار، وواصفهما.

الخُلِّيف في مكة:

الذين لا يؤدون الحج يسمون مخلّفين، وبعد الحج إذا قابل أحدهما الآخر قال له: هل أنت حاج أم داج؟ لأنه إذا كان حاجّاً دعا له بقبول حجه. وكنا نظن أن كلمة «داج» تستعمل بالمعنى المعروف في نجد وهو الهائم. ولكن الشاعر المعروف الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي كتب عنها في مجلة المنهل مقالة بيّن فيها أن المعنى هو «المُتَاجر في الحج»، وقد ورد هذا في مجموعة مقالاته: «شذرات».

ويقال إن بعض الحارات تصبح في أثناء الحج موحشة، وإنّ السائر فيها من الرجال في خطر، وإن الخطر عليه يأتي من النساء، لأن النساء يأخذن حريتهن، على أساس أن الرجال كلهم في الحج،

وكل رجل إما أن يكون حاجاً، أو خادماً للحجاج، فإذا فوجئوا برجل انقّضوا عليه، ولم يكن هذا يحدث في كل الأحياء، وإنما يحدث في قليل منها.

أم الدود .. أم الجود :

كثيراً ما كنا نتساءل لماذا سميت «أم الدود» بهذا الاسم، لأنه اسم غريب حقاً، فجاء من فسّر لنا هذا، وقال: إن وراء هذا الاسم قصة:

كان أحد حكام الأشراف يخشى من أقاربه على حكمه، فأكثر من المماليك السود، لما يمتازون به من ضخامة الأجسام، وجرأة القلوب، وأكثر منهم، وجعل أحدهم عليهم رئيساً، فقوي نفوذ هذا الرئيس، وبدأ يُدلّ على سيده حتى أنه طلب منه أن يزوجه ابنته.

لم يكن بإمكان الشريف رفض طلبه، لأن معنى هذا أن هذا المملوك سوف يحنق منه، ويقضي عليه. ففكر في حيلة يتخلص بها منه، فاتفق مع رجال القبائل أن يتجمعوا في ليلة معلومة خلف الجبال التي في أم الدود، لأنه سوف يقيم حفل الزواج الذي وافق عليه هناك، واتفق مع رجال القبائل على إشارة عندما يهجمون، فلما حمي اللعب والطرب، والمماليك كلهم حاضرون، وبلباس الزينة، أعطى الإشارة المتفق عليها، فانقضّ «العربان» انقضاض الأسود، وفاجؤا المماليك، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يبقوا منهم واحداً، ثم جمعوا الجثث ورموها في بئر هناك، فاهترأت الجثث، وخرجت منها الروائح التي تُزكم لها الأنوف، وسرى الدود في الجثث. ولهذا سميت أم الدود بهذا الاسم.

ثم جاء الأستاذ عبدالله عريف ـ رحمه الله ـ رئيس بلدية مكة فسماها «أم الجود»، وفي عنيزة حارة اسمها «أم حمار»، وهي التي فيها الكتّاب الذي درست فيه. سمعت أنه مع تمهيد الشوارع، ونزع ملكية البيوت سميت «أم خمار». وقيل لي: إن المعابدة في أعلى مكة أصلها «أم عابدة»، وعابدة أصلاً من أسماء الشريفات في مكة.

جريدة (صوت الحجاز)

في يوم الثلاثاء ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ ـ الموافق ١٣ يوليه سنة ١٩٣٧م

الى وادى النيل [illegible]

[illegible]

غرضك فى الحياة

[illegible]

الطفل فى الدول الاول

[illegible]

بوستان حسين [illegible]

قائد الدفة رفقاً بالسفين ... الأماني قد علقن بالسفين
تتقاذفه الموج ويهوي خلفها ... وهنا [illegible] سفين
تارة يعلو [illegible] ... ثم يهوي [illegible] فيلين
[illegible] في أرجائه ... ما فتئت [illegible] ذات زينة
هي عذراء [illegible] ... غير أن قد لفها ما بينها
[illegible] ... [illegible] للموج والموج رزين
[illegible] والبحر بها ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] الأشجار والجبال [illegible]
[illegible] ... [illegible] الأصل [illegible]
قلت ما [illegible] جبره ... [illegible] لبال [illegible]
وعدا [illegible] ... كيف [illegible]
[illegible] ... ليتني لم أسمع [illegible]

عبد العزيز [illegible] في ٢/٢٩ ١٢٩١ هـ

[illegible] السعودي

أ ـ الأشعار :

هذه صور لبعض الأشعار التي أتيت بها، وهي بخط يدي في أواخر المرحلة الثانوية من المعهد العلمي السعودي، رتبت هنا حسب ورودها في هذا الجزء من المذكرات:

جهانكير.. مهلاً !!:

جريدة (صوت الحجاز)، في يوم الثلاثاء ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ ـ الموافق ١٣ يوليه سنة ١٩٣٧م.

كنت قد ذكرت في صفحة (١٦٠) أن للأستاذ الكبير إبراهيم فطاني قصيدة الشطر الأول من مطلعها:

«جهانكير» مهلاً إن قلبي لخفّاق

وأمّلت أن أجدها فأثبتها في أحد أجزاء «وسم على أديم الزمن»، وبعد التفكير توصلت إلى أنها لابد أن تكون في إحدى الصحف التي تصدر بمكة في أوائل الخمسينات الهجرية، واستنهضت همّة الأخ الكريم محمد القشعمي لعله، وهو القريب

من أعداد صحف ذلك الوقت، ليساعد في البحث، ولم يمر يومان إلا وقد وافاني بالصفحة التي نُشرت فيها القصيدة في صوت الحجاز، كما هي في صورة الصفحة المرفقة، فجزاه الله خيراً، وأدام عليه توفيقه، وقد نذر نفسه للبحث، ونعم النذر!.

ديوان الأسبوع:

إلى وادي الخليل توّاق

من قصيدة بعث بها الأستاذ صاحب الإمضاء من ظهر الباخرة (جهانكير) في طريقه إلى الهند:

«جهانكير» مهلاً إن قلّبي لخفّاق

تنازعه نحو المحبين أشواق

فإن كنت مشتاقاً لهندك مسرعا

فإني إلى وادي الخليل لتواق

إلى مائه الصافي إلى نسماته

إلى لحن ورقاء أحن وأشتاق

إلى زمزم والبيت والركن دائماً

حنيني فدمعي للتذكر دقـاق

إلى مهبط الرحمات ملتزم التقى

إلى حيث دمع الواصلين يراق

إلى رفعة نبـل وأهـلٍ أعـزّةٍ

لهـم في فؤادي مرتـع ورواق

***

فإن كان جسمي نحو «بومباي» سائراً

فقلبي إلى تلك المآثر ينساق

«جهانكير» ما هذا التلاعب جهرة

وفوقك طود للمكارم سـبّاق

تعلَّم ثباتي لا يزحزحك الهوى

عن المقصد الأسمى فخدعك برّاق

وأنت تريد الدار لا شيء غيرها

وإني أريد المجد والمجد مرهاق

جهانكير لولا المجد ما اخترت غربة

وما كان يرضيني النوى وفراق

على أنني صادفت فوقك رفقة

كراماً بهم تجلى الهموم وتنحاق

خلا لهمو تحكي النسيم لطافة

ولا عجب فالقوم للفضل عشاق

إذا حدَّثوا فالدر منثور قولهم

وفيه لمكلوم الحشاشة ترياق

فحدث كما شئت عن خصالهم

فإنهموا في المكرمات قد فاقوا

«إبراهيم فطاني»

الصوت الحزين

لقد وفقت في العثور على قصيدة أستاذي الشاعر المبدع حسين فطاني، لقد وجدتها بين أوراق منزوية كتبت على ورقة بخط يدي (مرفقة ص...) وتاريخ كتابتها ٢٩/ ٣/ ١٣٦٤هـ، أي في آخر سنة لي في المعهد العلمي السعودي، وهي القصيدة التي أشرت إليها في صفحة (٢٠٩)، **والقصيدة:**

قائد الدفة رفقاً بالسفين
إنها جذلى فدعها للخدين

تعشق الموج ويهوى ظلها
وهما خلان من منذ سنين

تارة يقسو عليها عنوة
ثم يدركه غرام فيلين

سرت النسمة في أرجائها
فانتشت من قبلة ذات رنين

هـي عـذراء ومـا ربّانهـا

غير ربان قد كفاها ما بشين

جعـل المجداف في جانبهـا

فانبـرى للمـوج والمـوج رزيـن

خضت فيها اليم والفجر بدا

والأمانـي تتهـادى في سـكون

فتحـيرت لصـوت راعـني

هيّج الأشجان والحب الدفين

مصـدر الصـوت فتـاة روعـت

بفـراق الأهـل والخلّ الأمـين

قلت ما الخطب فقالت جيرة

فارقـوا منـذ ليـال صائفـين

وغـداً يأتـون أو بعـد غـد

كيف لو غابوا شهوراً أو سنين

فتأوهـت وفي قلـبي ضنـى

ليتني لم أسمع الصوت الحزين

ملحق الفهارس

أولاً : فهرس الموضوعات

ثانيـاً : فهرس الأعلام

ثالثـاً: فهرس الأماكن

رابعـاً: ملحق الوثائق

(أ) الأشـعـار

(ب) الأناشـيد

(جـ) أمورٌ متنوعة

أولاً : فهرس الموضوعات

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

ثانياً : فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

ثالثاً : فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(س)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

رابعاً : ملحق الوثائق

(أ) الأشــــعـار

بين الرياض

عاتبت لبلابي بين الورد والآس	وبها سحب صباء معطرة الراس
بينا عشا البدر [illegible]	نظرات [illegible] واياس
اذ ما [illegible] منظر بهج	ام رأت حمرة في خد الماس
[illegible]	بنسيبه عن [illegible] واحساس
فلم يكن [illegible]	[illegible] عن اعين الناس
قالت دع قول لا عطف [illegible]	ترنو بالعطف [illegible] واياس
اما ترى الورد من زهو [illegible]	[illegible] ثنايا [illegible]
والنرجس الغض لا ينفك [illegible]	كالمستهام بطرف جد نعاس
والياسمين [illegible]	[illegible] كالماس
[illegible]	كانما [illegible] الناس
وللنسيم [illegible]	[illegible] في الجيد [illegible]

وقال بعض الشعراء

الله يعلم لو أنها لبدر مال له   شوقا ولو كلفت صخرا لزاد له

صدري لو أنها ما به لسال   [illegible] بحار [illegible] فما لا

عرفت زماني [illegible] من شكوى

قال وقد [illegible] من قول [illegible]   [illegible] [illegible] الوصل

فهم انه [illegible] [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

فتعجب فاصرخ لا بد لها [illegible]

عبد الله [illegible]

اخوك المطيع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

خلية فأخفت بمنصور [illegible] ورسنا فأمست الخلاية

وعز عيون زراع نعمة ... بعث المنا سد والمغفرة

يدعى أهل الهوى أخلوه بيم لمعصوم

ودع يدعى أهل الهوى ... أخلوه بيم لمعصوم

جعلت شأنين الحب ... لمعاني بالأسعد سبيا

وعند شخص [illegible] ... أمر الحديث له وشكوه ... [illegible]

ف أنزع صنم لعين ... وهو المسطرة الجبين

ق لن تراه كمسا ... ما بين الطلاقة المصوره

امرأة لنا الأبعاد له ... ضيا بها الضد تكوين

فاصبغ لما عهدت ... ليس الهوى ما تدعينا ... فاصبغ به نعهد

[illegible] ... دحسن له صنع في

امر الهوى الم ... نجلو لنقلب الطعين ... با منيتي يا [illegible]

وعساه ف

ومشقة ونيل [illegible] ... أو الرجل للسماء

واد عهد [illegible] ... يرضى السوء فتستلين

قل ودعت شج ... صبر وسهر أبينا

وصل وهو لذة ... تنور ما تقصدين

ا [illegible]

[illegible] ... تدعت أفدم ولتقضا الدهر

[illegible] كركه الدهر

مقطع لأحمد شرادي [illegible]

يا عروس الروض يا ذات الجناح   يا حمامة
سافري مصحوبة عند الصباح   بالسلامة
واحملي شوق فؤاد ذي جراح   وهيامه

اسرعي من قبل يشتد الهجير   بالنزوح
واسبحي ما بين أمواج الأثير   مثل روح
وإذا لاح لك الروض النضير   فاستريحي

رددي ردده بلحن الطير   وتغني
واذكري صبوتي عند الأصيل   وتأني
وأعيدي ما لقيت من عليل   كأني

ذكريني بأوقات الصفاء   والتصابي
حين كنا كالصبي وصفاء   ذا اقتراب
عندما كنا كأزهار اللقاء   من عذاب

حدثي أنه شوق المستهام   زاد وجدا
وحديثي كيف ذاب الغرام   صار صدا
ودماه لم يبرح هيام   لن يهدا

ها أنا أطرق حائرا   [illegible] تبيانا
واحملي ما حملت من عذب   واشتاقا

تابع : ملحق الوثائق

(ب) الأناشـــيد

هذه صور الوثائق التي دونت عليها الأناشيد في مراحل الدراسة من الابتدائية إلى نهاية الثانوية. وهي بخط يدي في الغالب عندما كنت في السنوات النهائية من المرحلة الثانوية، وإحداها تشير إلى أنها كتبت عندما كنت في المدرسة السعودية في المعلاة، في المرحلة الابتدائية.

نشيد الملك — نظم سعادة صبحي باشا صاحب [illegible]

عبد العزيز بن السعود — ها كلنا بين يديك

كل القلوب طوعا إليك — نفوسنا تفدى إليك

هذه شبان العرب — عادت بمجد قد ذهب

ابن الملك نجل العرب — في عهدكم يا ذا النسب

راياتنا سودي بنا — لا ترهبي كيد العدا

آمالنا نيل المنى

بالأرض الفضل [illegible] / [illegible] / [illegible] نشر [illegible] لنا /

[illegible] / [illegible] / [illegible] / [illegible]

[illegible] / [illegible] / [illegible] / [illegible]

[illegible] / العهد بكم يا كرام العهد بكم يا كرام

[illegible] / [illegible] / [illegible] / [illegible]

[illegible] / العهد بكم يا كرام العهد بكم يا كرام

العهد [illegible] بكم [illegible] ... [illegible] يا كرام [illegible] ...

اليوم [illegible] ... حيث الشام [illegible] ...

[illegible] ... [illegible] ...

[illegible] ... [illegible] ...

[illegible] ... [illegible] ...

[illegible]

[illegible] [illegible] ... [illegible] ...

[illegible] [illegible] ... [illegible] ...

[illegible] [illegible] ... [illegible]

[illegible] [illegible] ...

[illegible] [illegible] ...

[illegible] [illegible] ...

: نشيد الشباب :

شباب المجد يا شباب المجد — أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

نعيم التراث ونعيم الوني — وقد آن أن نستعيد الفخار

فيا موطني كل حين — بنا تغتني في الملاحم الصباح

فنحن لقد شع نور اليقين — فعم القرى مشرقا والبطاح

ومنا الذي قد هدى العالمين — سبيل الرشاد ونهج الفلاح

ومنا الأوس في المعمعة — رجال الفخار وجند الكفاح

شباب المجد يا شباب المجد — أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

نعيم التراث ونعيم الوني — وقد آن أن نستعيد الفخار

ومنا أسامة وابن الوليد — جنود الحروب وفرسانها

ومنا الأسود ومنا الفهود — غطارفة الصيد شجعانها

ومنا الكماة ومنا الجنود — رجال الحروب فتيانها

أصابت بهم فاستقلوا الخلود — وساد على الدهر قرآنها

شباب المجد يا شباب المجد — أذلوا الصعاب وخوضوا الغمار

نعيم التراث ونعيم الوني — وقد آن أن نستعيد الفخار

فيا وطني أنت مسعدنا — تهب الخصوم إذا ما دهم

وبين الجوانح لك حبنا — نقدمه إذا ما قضى الأمم

ولي أن أروع العدو بهمتنا — نقدمه بهمة صبح الأمم

فنحن نظام ولي عزمنا — نذلل الصعاب ونبني العلم

شباب العمر يا شباب العصر ... لأنتم الشباب وهم ضوء النهار

نفيتم الثواني وفيهم الرخا ... وقد آن أن نستعيد الفخار

فنمشي سالمًا تحت ظل المليك ... مليك العروبة حامي الديار

ومن نوره ضياء السلوك ... إذا ما سلكت طريقه السداد

فليس له في المعالي شريك ... فقد فاق بالطيبات العباد

فيا وطني إنني أفتديك ... بروحي ومالي بيوم الجهاد

عبد العزيز ...

المعهد العلمي السعودي

حياة الحر يا إخوة الحمى ... هلموا هلموا المجد لنرضى

فقد صرفت في العدو لديها ... نموت نموت ويحيا الوطن

* * *

لشدوا السواعد في عهدها ... لتحمي العز عن حيانها

بني البلاد إلى مجدها ... رجال البلاد وفتيانها

فقد عاش من ليس من جندها ... ولا طعم العيش من خانها

نموت ويحيا على عهدها ... حياة الكرام وموت الكرام

* * *

حياة الحر يا إخوة الحمى ... هلموا هلموا المجد لنرضى

فقد صرفت في العدو لديها ... نموت نموت ويحيا الوطن

* * *

بغدادي أهلي وأملي وسعدي   فلا عاش من لم يعش سيدا

بجسمي وروحي أفديك   أنا البغدادي وأهلي فدا

بغدادي العزيزة فاستعدي(1)   بعزة شعبك طول المدى(2)

وكوني أسود العرين فاستعدي   وثوري أسود ليوم الصدام

★ ★ ★

حماة الحمى يا حماة الحمى   هلموا هلموا لمجد الزمان

فقد صرخت في العروق الدما   نموت نموت ويحيا الوطن

★ ★ ★

ورثنا سواعد مثل الحديد   صخورا وفينا لهيب الشبا

سواعد يهتز فيها العلم   تباهي به ونباهي بها

وفيها كنار العلا والهمم   وفيها ضمانة لنيل المنى

وفيها لبانة المجد والنعم   وفيها لهيب سالم والوئام

عبد العزيز [illegible]

[illegible]

اللهم اغفر [illegible]

الملك [illegible]

ينشد الطلبة عقب كل صلاة

يا رب عبدك [illegible] في [illegible]

(عبد العزيز ابن السعود) [illegible]

[illegible] اللهم [illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] ومناح [illegible]

[illegible]

تحية العلم

[illegible]

أهلاً وسهلاً بكم يا غاية الأدب

أهلاً وسهلاً بكم يا غاية الأدب × شرفتمونا يا كرام الفضل والأدب

اليوم عيد تزين الكون مبتهج × حيث البشائر تشدو بالسرور للأدب

قد عم حينا يا أهل العلى × حيث قد تم البناء بالأرب

~~اليوم له على الأيام منصب × ودرس للتاج [illegible]~~

اليوم له على الأيام مفخرة × حيث يسمو بره على الأيام والعجب

اليوم يعلو على الأيام منصب × ودرس التاج أنتم يا بني العرب

عشت يا الحبر عشت

(١) يا شباب الوطن عز برأسه

(٢) لا تحسبن [illegible] الرحمن صحبه

(٣) هيا ناهض أقر [illegible]

(٤) حتى بالهدى ليس بغير الأول

(٥) حبنا في العلى ليس [illegible] لعبا

(٦) أنتم في الحياة فعملنا حرا

نشيد الاستقبال

على الرحب يا شيخ فخر العرب
واهلا بزاكي الندى والحسب
قدمت فيا مرحبا بالأمير الجليل
كريم الأرومة والمنتسب
قدمت فيا مرحبا بالندى
وبالمجد يا مرحبا رفيع النسب
وبالنبل والجود من راحتيك
يفيض ودانت المنى والطلب
هو العيد يوم قدوم الأمير
المشبه وهو يوم الأرب
ورؤيته طالعا باسما
هي الأمل الباسم المرتقب
لقد شع في الأفق نور السعود
فزال به همنا والنصب
واشرقت الأرض بالمذهب
معظم فيصل فخر العرب

[illegible] السعودية
عبد العزيز [illegible]

مهرجاننا نشيدنا في المعهد العلمي السعودي

هلل الشعب وكبر ... بالمعالي باسمات ... إذا هتفوا بحياة المليك

وصبا في المنبر ... بالجدود الطيبات

بالسعود وأن صحوت

يا [illegible] ... بيت [illegible]

[illegible] ... [illegible]

يا سعود [illegible]

أنت للعرب عماد ... للمجد والجهاد

[illegible] ... [illegible]

يا أخا العرب غرد ... حيث قد نلت المرام

زانها سعود عظيم ... بجوده فاحت الخزام

[illegible] ... وبسعود وسلام

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... دون [illegible]

واحمدوا لهم جميعاً ... [illegible]

واحفظ [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

نشيد:

يحيى المليك بالسعود   يحيى البلاد في الرغود
عبد العزيز مليكنا   رب المعالي والكرم
من سطعت أنواره   فوق الممالك والأمم
وبه استضاءت شبه الجزيرة

يحيى المليك بالسعود   يحيى البلاد في الرغود
أحيا لنا مجد الأوائل   مجد العروبة في القدم
وبنى لنا الصرح العلي   فخر العصور والأمم
غدت البلاد به منح

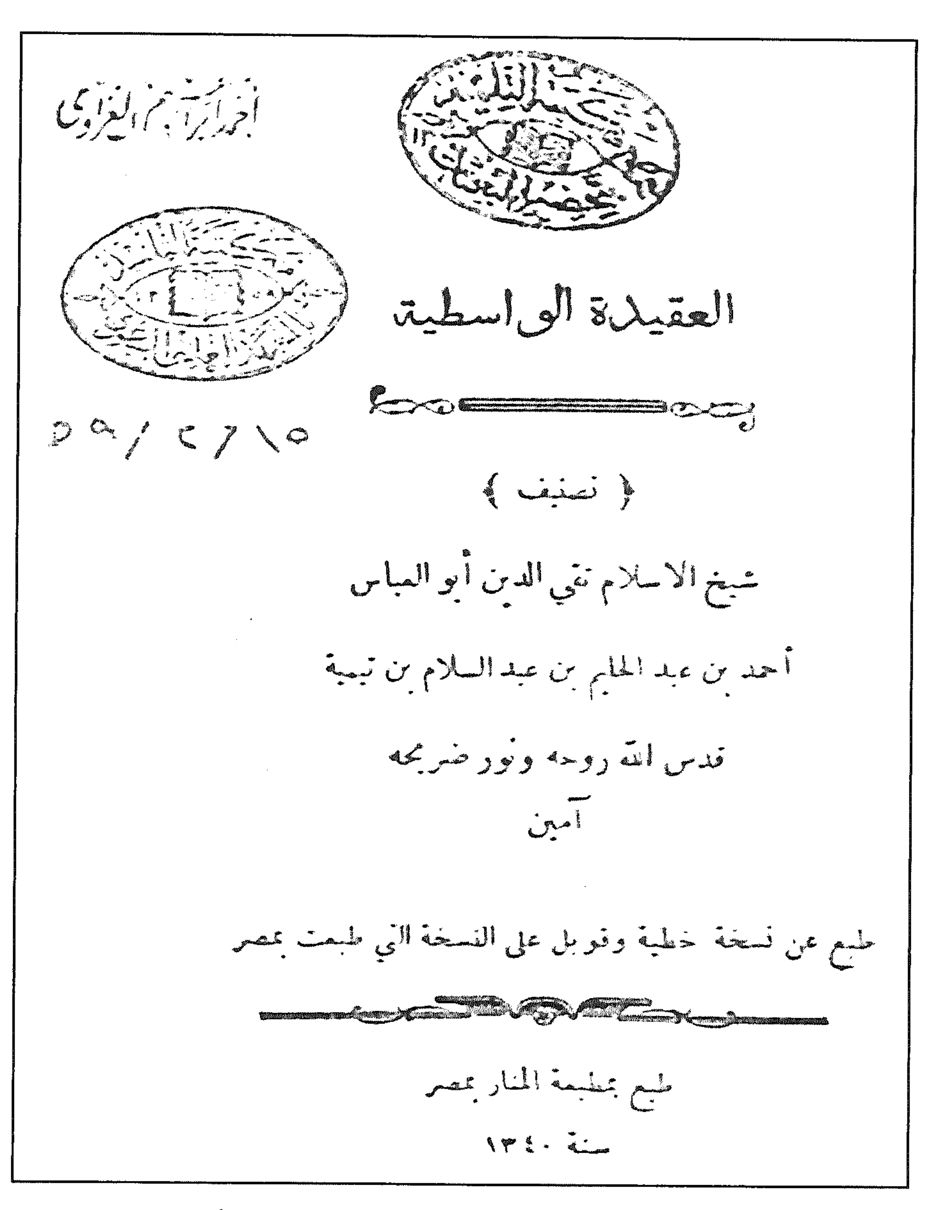
يحيى المليك بالسعود   يحيى البلاد في الرغود
أعزز به العلم انتشر   والأمن عم وانتظم
والدين أصبح سائداً   والعدل والإصلاح عم
دين وعلم نعم كنز

يحيى المليك بالسعود   يحيى البلاد في الرغود
يا ربنا احرس وصن   ملكاً بتقوى يعتصم
واحفظ له أشباله   وأدم مواهب النعم
سدد إلينا خطانا كي
يحيى المليك بالسعود

شباب العلا يا شباب
عشنا سالما تحت ظل المليك   مليك الهدى ربان البلاد
ومن نوره خذ ضياء السلوك   إذا ما سلكت طريق السداد
فليس له في المعالي شريك   فقد فاق بالطيبات العباد
فيا وطنا إننا نفتديك   بروحي ومالي ليوم المعاد

تابع : ملحق الوثائق

(ج) أمور متنوعة



أحمد إبراهيم الغزاوي

العقيدة الواسطية

﴿ تصنيف ﴾

شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

قدس الله روحه ونور ضريحه

آمين

١٥/٢/٥٩ هـ

طبع عن نسخة خطية وقوبل على النسخة التي طبعت بمصر

طبع بمطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٤٠

* هذا كتاب العقيدة الواسطية أهداه الشاعر لمكتبة أحد المعهدين ثم نقل إلى المكتبة الأخرى، ثم أعطي جائزةً للأخ حمد لتفوقه مع آخرين.

دفتر الحساب

للطالب بالسنة الأولى الثانوية

بالمعهد العلمي السعودي

قسم المعلمين

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

في ٢٠/١/١٣٦٤هـ

* مظهر من مظاهر العناية بالخط والدفتر، وتكاد تكون كل دفاتري بهذه الصورة، ومثلي غيري في تلك الحقبة.

كل مثال ؟ وما الذى أفاد الشرط ؟ لم نجد سبباً سوى دخول « ما » فهى إذاً كَنْ تجزم مضارعين وتفيد الشرط ، غير أنها تدل دائماً على غير العاقل .

هذا ، وهناك أدوات أخرى تعمل هذا العمل وتفيد الشرط ، و إليك بيانها و إجمال معانيها :

إذ مَا	وهى كإن تفيد الشرط	ومثالها إذ ما تَفْعَلْ شرّاً تَنْدَمْ .
مَهْمَا	« لغير العاقل كما	« مهما تُنْفِقْ فى الخير يُخْلِفْهُ الله .
مَتَى	« للزمان	« متى يُسَافِرْ أخى أُسَافِرْ معه
أَيَّانَ	« «	« أَيَّانَ تُنَادِ أُجِبْكَ .
أَيْنَ	« للمكان	« أين تذهبْ أَصْحَبْكَ .
أنى	« «	« أنى يَنْزِلْ ذو العلم يُكْرَمْ .
حَيْثُمَا	« «	« حيثما يَنْزِلْ مطرٌ يَنْمُ الزرع .
كَيْفَمَا	« للحال	« (كيفما تُعَامِلْ صديقك يُعَامِلْكَ
أَيٌّ	« تصلح لجميع المعانى المتقدمة	« أَىَّ بُسْتَانٍ تَدْخُلْ تَبْتَهِجْ

القاعدة

(٥٠) الأدواتُ الّتى تَجزِمُ فِعْلَيْنِ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَدَاةً : إِنْ وَإِذْمَا وَهُمَا حَرْفَانِ ، وَمَنْ وَمَا وَمَهْمَا وَمَتَى وَأَيَّانَ وَأَيْنَ وَأَنَّى وَحَيْثُمَا وَكَيْفَمَا وَأَيٌّ . وَجَمِيعُهَا أَسْمَاءٌ .

ج ٢ (٥)

* تحية لمعالي الصديق الزميل عمر فقيه ، وقد وضع اسمه في «برواز» هنا !!

* هذه جملة كان الطلاب يعجز بعضهم بعضاً بنطقها دون خطأ: أَفَسَنِستَتْبَكْتُو كَنْفتَكُمُوهَا. إن كنتم رجالاً فانطقوها.

حضرة المكرم الأخ عبدالرحمن البراهيم القاضي المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد نجدد دعانا لكم بالعز [illegible] وصار ذلك

كان [illegible] دوام صحتكم الله يديم ذلك على الجميع

* هذه مسودة الخطاب الذي كتبناه للأخ عبدالرحمن البراهيم القاضي.

جدول الأختبار النهائي لعام

جدول الأختبار النهائي لعام ١٣٦١ هجرية

اليوم	التاريخ	المادة	المادة	المادة	الرقم
الأثنين	١٤/٧/١٣٦١	فقه	تهذيب		١
الثلاثاء	١٥/٧/١٣٦١	قواعد	مطالعة		٢
الأربعاء	١٦/٧/١٣٦١	توحيد	إنشاء		٣
الخميس	١٧/٧/١٣٦١	قرآن	تاريخ		٤
السبت	١٨/٧/١٣٦١	حساب	محفوظات		٥
الأحد	١٩/٧/١٣٦١	تقويم	خواص		٦
الأثنين	٢٠/٧/١٣٦١	هندسة	املاء	خط	٧
الثلاثاء	٢١/٧/١٣٦١	لغة	شفهي	تحريري	٨

عدد دروس الرابعة

جداول الأختبار النهائي للسنة الرابعة الأبتدائية

للتلميذ عبد العزيز الخويطر لعام ١٣٦١

١٣٦١

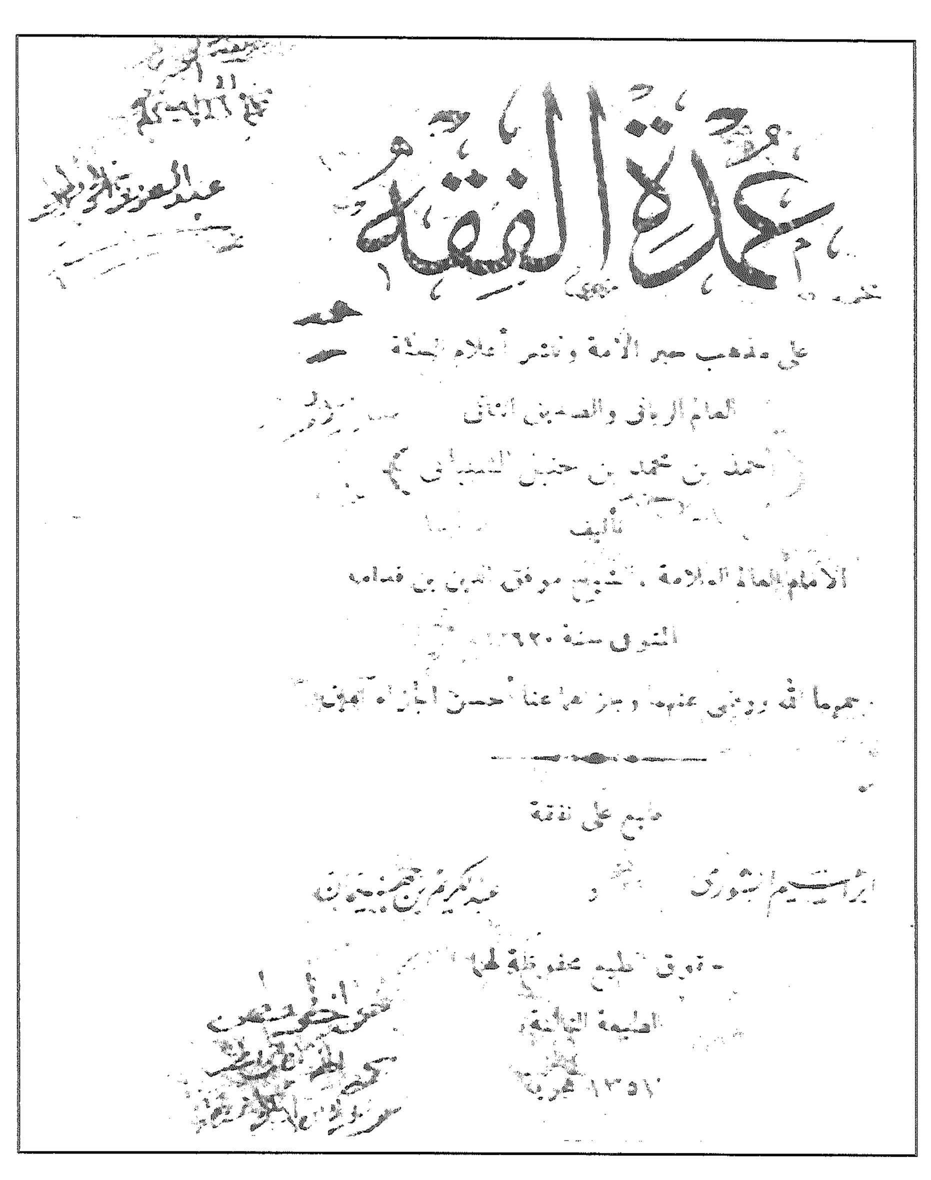
* وهذا نموذج لجدول الأختبار يعطي فكرة عن الدروس وعن تقسيمها على أيام الأختبار.

الايام	(((جدول الدراسة للسنة الثانية الابتدائية)))					
السبت	تهذيب	جغرافيا	حساب	محفوظات	قواعد	قرآن
الاحد	خط	لغة	حساب	انشاء	محادثة	املاء
الاثنين	صحة	فقه	حساب	قواعد	قرآن	توحيد
الثلاثا	خط	لغة	حساب	تاريخ	توحيد	فقه
الاربعا	تاريخ	توحيد	فقه	قواعد	مطالعة	قرآن
الخميس	خواص	املاء	قرآن	فقه		

الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

* هذا نموذج لجدول من جداول الدراسة، وقد احتفظت به لأنه مكتوب بالآلة الكاتبة، وشيء مكتوب بالآلة الكاتبة آنذاك يُعتز به.



عمدة الفقه

على مذهب حبر الأمة وناصر أعلام السنة

الإمام الرباني والصديق الثاني

(أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني)

تأليف

الإمام العالم العلامة الشيخ موفق الدين بن قدامة

المتوفى سنة ٦٢٠

رحمهما الله ورضي عنهما وجزاهما عنا أحسن الجزاء آمين

طبع على نفقة

حقوق الطبع محفوظة لهما

الطبعة الثانية

هجرية

* لي تعليقان على هذه الصفحة:

الأول: تحية للأستاذين الكريمين على طباعة هذا الكتاب المفيد على نفقتهما.

الثاني: استفدت من هذه النسخة من الكتاب ثم استفاد منها شقيقي حمد.

العربيه - ٣٢ - المفردات العربيه

حرف النون

عامية	عربية	عامية	عربية
ناموسية	كِلّة	وابور الفحم	منفخ
نعنعة	[illegible]	وش	وجه
نوري	[illegible]	وش الماء	[illegible]
ناعورة	[illegible]	ورشة	معمل ، مصنع
نيشان	وسام	ولعة	قبس

حرف الهاء — حرف الياء

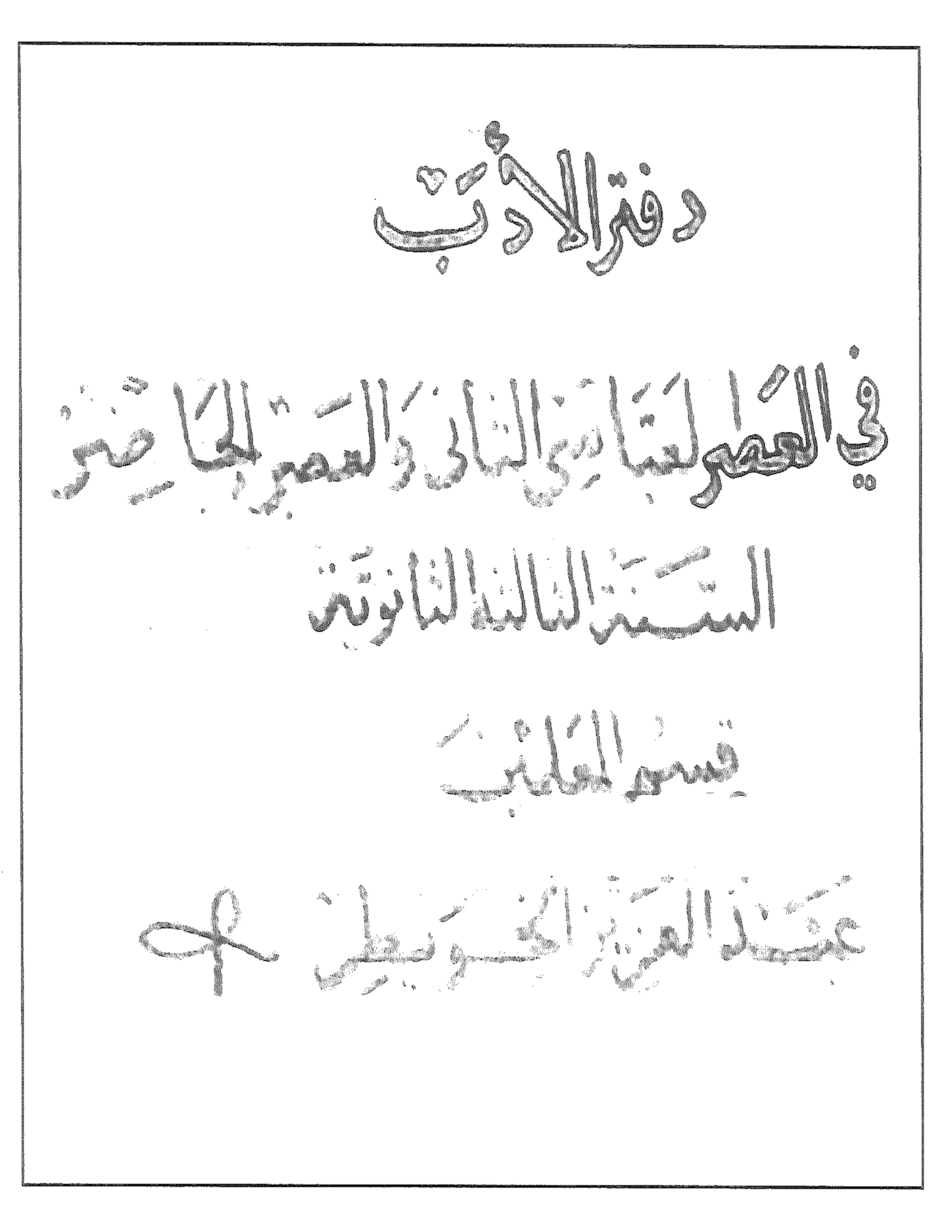
عامية	عربية	عامية	عربية
هون	هاون ، مهراس	ياقة (ماس)	زيق
هبات (نسمة)	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تم بحمد الله تعالى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

وهو مقرر السنة الثانية الابتدائية

تم بحمد الله ... عامية عربيه ...

* أبعث بتحية للأخ العزيز أحمد مخلص وكان له من اسمه ولقبه نصيب فهو محمود الأخلاق ومخلص لدروسه ولإخوانه.



دفتر الأدب

في العصر العباسي الثاني والعصر الحاضر

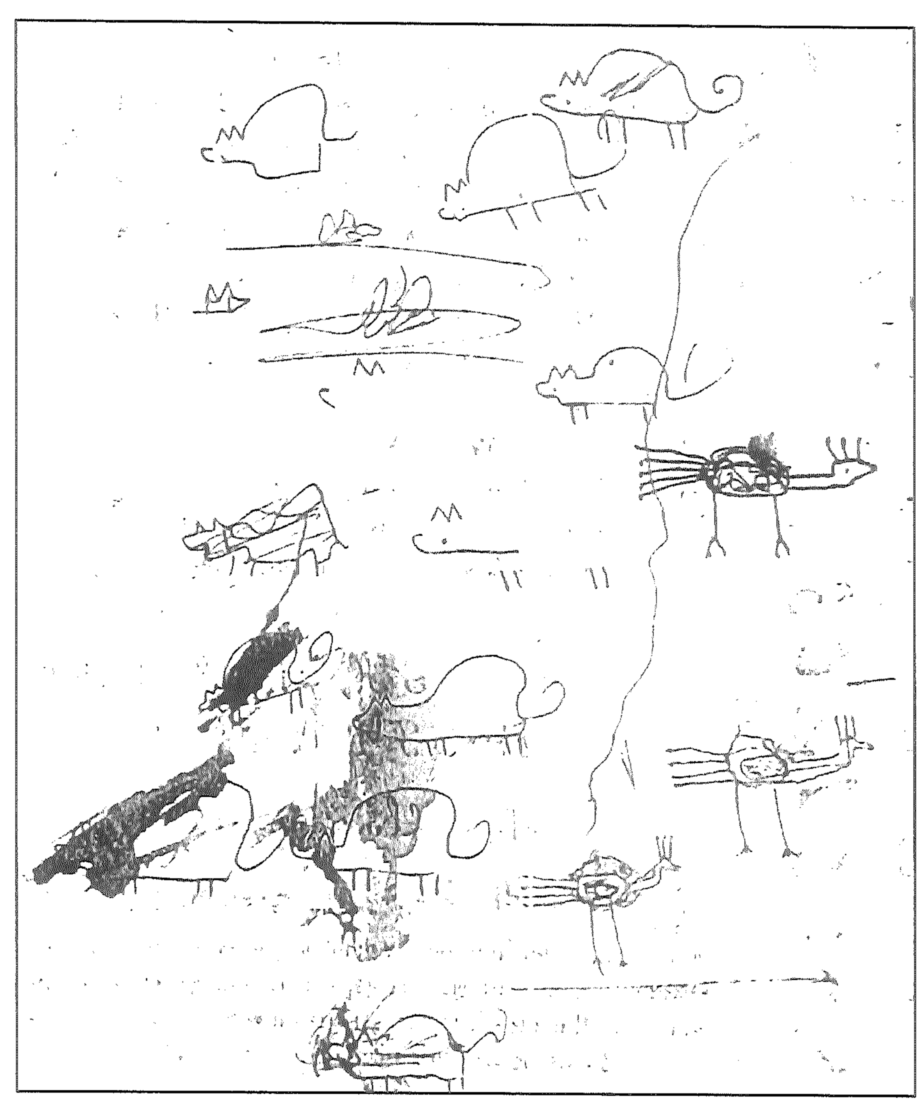
السنة الثالثة الثانوية

قسم المعلمين

عبد العزيز الخويطر

* وهذا نموذج للعناية بدفتر الأدب وبالخط وفيه : [توقيع] وهي توقيع أستاذي السيد محمد سعيد الدباغ، أسكنه الله فسيح جناته.

* كل إنسان يأتي عليه وقت يحاول أن يصل إلى صيغة في الإمضاء «يرسي» عليها وتستقر توقيعاً له. وفي أعلى هذه الصفحة محاولة لاختياري لصيغة توقيعي، وقد وصلت إلى قرار فصار توقيعي مشبهاً لتوقيع والدي: عبدالله الخويطر وما رآه مناسباً رأيته جيداً



* هذه من جملة العبث الذي كنا نقوم به وأصلها أرقام ١١ قدمي الفأر و ٢٠ فمه وعينه و ٨٨ أذناه ، إذا وصلنا هذه الأرقام بخطوط ظهرت صورة فأر!! وقد نجعلها طاوساً أو حيواناً آخر حسب موقع الأرقام.

* الأخ حمزة عابد كان يشاطرني «الماصة» التي نجلس عليها ، فلا غرو أن أحسَّن خطي بكتابة اسمه معي في ذيل هذه الأبيات الجميلة (رحمك الله يا أبا محمد) .

لغز في سراج :

هبني أسأت يا حمزة

أكنت تلوم ؟

(١) لغزان أحدهم قد حل، والثاني لم يحل، ولعل أحد القراء يعرفه.

(٢) البيت إعتذار للأخ حمزة عابد من أمر لا أذكره وقد محا اسمه ولكنه واضح.

(٣) والبيتان المقلوبان في آخر الصفحة تدرج الشاعر في فداء محبوبته بنفسه بل بأبيه وأمه، بل بقبيلة عبس، بل بنجد كلها، بل بملك العربي!!

المملكة العربية السعودية

مديرية المعارف العامة

المدرسة السعودية

المدرسة السعودية

عدد ١ — كشف درجات اختبار الفصل الثانية لعام ١٣٥٨ – ١٣٥٩ هـ

للطالب عبد العزيز الخويطر بالسنة الدراسية الثانية الابتدائية

	العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	الدرجة المعطاة
العلوم الدينية	القرآن الحكيم	٣٠	١٥	٢٠
	التجويد	٢٠	٨	–
	التوحيد	٣٠	١٥	٢٢
	الفقه	٣٠	١٥	٢٠
	التهذيب	٣٠	١٥	٢٥
العلوم العربية	القواعد	٣٠	١٥	٢٤
	المطالعة	٢٠	١٠	٢٠
	الانشاء	٢٠	٨	٢٠
	المحادثة	٢٠	٨	٢٠
	المحفوظات	٢٠	٨	٢٠
	الاملاء	٣٠	١٨	٢٠
	الخط	٢٠	٨	١٩
العلوم الرياضية	الحساب	٣٠	١٥	٢٠
	الهندسة	٢٠	٨	...
العلوم الاجتماعية	التاريخ	٢٠	٨	١٧
	تقويم البلدان	٢٠	٨	١٧
	خواص الاجسام	٢٠	٨	٢٠
	الصحة	٢٠	٨	٢٠
	اللغة الانكليزية	٣٠	١٥	٢٠
	مجموع درجات العلوم	٤٦٠	٢١٣	٢٩٥
	السلوك	٣٠	١٥	٢٠
	المواظبة	٥٠	٣٠	٥٠
	المجموع الكلي	٥٤٠	٢٥٨	٤٧٥

ملاحظات

ترتيب التلميذ ... ١

عدد تلامذة الفصل ٢١

ايام الغياب ... ...

ايام التأخر ... ...

حرر في ٧ / ٢ / ١٣٥٩

مدير المدرسة بمكة

محمد [illegible]



مديرية المعارف العامة

المدرسة

عدد ١   كشف درجات اختبار الشهر الثالث لعام ١٣٥٨ – ١٣٥٩ هـ

الطالب عبد العزيز الجوهري بالسنة الدراسية الثانية الابتدائية

	العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	الدرجة المحصلة	ملاحظات
العلوم الدينية	القرآن الحكيم	٣٠	١٥	٢٧	ترتيب التلميذ ... ١
	التجويد	٢٠	٨	٢٩	عدد تلامذة الفصل ٢٥ ...
	التوحيد	٣٠	١٥	٢٨	
	الفقه	٣٠	١٥		
	التهذيب	٣٠	١٥	٢٠	
العلوم العربية	القواعد	٣٠	١٥	٢١	
	المطالعة	٢٠	١٠	١٨	
	الانشاء	٢٠	٨	١٧	
	المحادثة	٢٠	٨	٢٠	
	المحفوظات	٢٠	٨	٢٠	
	الاملاء	٣٠	١٨	٢٠	
	الخط	٢٠	٨	٢٠	
				٢٠	
العلوم الرياضية	الحساب	٣٠	١٥	٢٠	
	الهندسة	٢٠	٨		
العلوم الاجتماعية	التاريخ	٢٠	٨	١٨	
	تقويم البلدان	٢٠	٨	١٧	
	خواص الاجسام	٢٠	٨	٢٠	ايام الغياب ...
	الصحة	٢٠	٨	٢٠	يوم التأخر ...
	اللغة الانكليزية	٣٠	١٥	٢٩	
	مجموع درجات العلوم	٤٦٠	٢١٣	٣٨٥	حرر في ٨ / ٤ / ١٣٥٩
	السلوك	٥٠	١٥	٢٠	مدير المدرسة الفخرية
	المواظبة	٥٠	٣٠	٥٠	[signature]
	المجموع الكلي	٥٤٠	٢٥٨	٤٦٥	

ناجح

المملكة العربية السعودية

مديرية المعارف العامة

المدرسة الســعودية بمكة

عدد كشف درجات الاختبار النهائي لعام ١٣٥٨ - ١٣٥٩ هـ

١ للطالب عبد العزيز الجزيري بالسنة الدراسية الثانية ابتدائية

	العلوم	النهاية الكبرى	النهاية الصغرى	الدرجة المتحصلة	ملاحظات
العلوم الدينية	القرآن الحكيم	٣٠	١٥	٢٨	ترتيب التلميذ ... ١
	التجويد	٢٠	٨		عدد تلامذة الفصل ٢٤
	التوحيد	٣٠	١٥	٢٠	
	الفقه	٣٠	١٥	٢٨	
	التهذيب	٣٠	١٥		
العلوم العربية	القواعد	٣٠	١٥	٢٠	
	المطالعة	٢٠	١٠	١٩	
	الانشاء	٢٠	٨	٢٠	
	المحادثة	٢٠	٨	١٥	
	المحفوظات	٢٠	٨	٢٠	
	الاملاء	٣٠	١٨	٢٢	
	الخط	٢٠	٨	١٦	
العلوم الرياضية	الحساب	٣٠	١٥	٢١	
	الهندسة	٢٠	٨		
العلوم الاجتماعية	التاريخ	٢٠	٨	١٩	
	تقويم البلدان	٢٠	٨	٢٠	
	خواص الاجسام	٢٠	٨	٢٠	ايام الغياب ـــــ
	الصحة	٢٠	٨	٢٠	ايام التأخر ـــــ
	اللغة الانكليزية	٣٠	١٥	٢٠	
	مجموع درجات العلوم	٤٦٠	٢١٣	٢٨٨	حرر في ٢٤/٦/١٣٥٩
	السلوك	٣٠	١٥	٢٠	مدير المدرسة المنتدب
	المواظبة	٥٠	٣٠	٥٠	محمد [illegible]
	المجموع الكلي	٥٤٠	٢٥٨	٤٦٨	

المملكة العربية السعودية

مديرية المعارف العامة

ملاحظات

المملكة العربية السعودية

مديرية المعارف العامة

١

المدرسة المعهد العلمي السعودي

عدد

كشف درجات اختبار نصف السنة لعام ١٣٥٩ — ١٣٦٠ هـ

للطالب عبدالعزيز خياط بالسنة الدراسية (الثالثة فصل ج)

العلوم		نهاية كبرى	نهاية صغرى	درجة التلميذ
العلوم الدينية	القرآن الحكيم	٣٠	١٥	٢٠
	التجويد	٢٠	٨	٥
	التوحيد	٣٠	١٥	
	الفقه	٣٠	١٥	٢٨
	التهذيب	٣٠	١٥	٢٤
العلوم العربية	القواعد	٣٠	١٥	١٧
	المطالعة	٢٠	١٠	٢٠
	الانشاء	٢٠	٨	١٩
	المحادثة	٢٠	٨	٢٠
	المحفوظات	٢٠	٨	٢٠
	الاملاء	٣٠	١٨	٢٩
	الخط	٢٠	٨	١٦
العلوم الرياضية	الحساب	٣٠	١٥	٢٦
	الهندسة	٢٠	٨	١٥
العلوم الاجتماعية	التاريخ	٢٠	٨	٢٠
	تقويم البلدان	٢٠	٨	١٦
	خواص الاجسام	٢٠	٨	١٩
	الصحة	٢٠	٨	
اللغة الانكليزية		٣٠	١٥	٢٢
مجموع درجات العلوم		٤٦٠	٢١٣	٢٦٧
السلوك		٣٠	١٥	٢٠
المواظبة		٥٠	٣٠	٤٩
المجموع الكلي		٥٤٠	٢٥٨	٤٤٦

ملاحظات

ترتيب التلميذ ٦

عدد تلامذة الفصل ٢٧

ايام الغياب ٢

ايام التأخر ——

حرر في ٢٧/ ٢/ ١٣٦٠

مدير المدرسة

أحمد العربي

المملكة العربية السعودية

مديرية المعارف العامة

المدرسة المعهد العلمي

كشف درجات اختبار نصف السنة لعام ١٣٦٠ – ١٣٦١ هـ

للطالب عبد العزيز [illegible] بالسنة الدراسية الرابعة الابتدائية فصل [illegible]

	العلوم	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ملاحظات
العلوم الدينية	القرآن الحكيم	٣٠	١٨	٢٩	ترتيب التلميذ ٦
	التجويد	٢٠	٨	١٠	
	التوحيد	٣٠	١٨	٢٥	عدد تلاميذ الفصل ٢٤
	الفقه	٣٠	١٨	٢٠	
	التهذيب	٣٠	١٥	٢٠	
العلوم العربية	القواعد	٣٠	١٨	١٨	
	المطالعة	٢٠	١٠	١٨	
	الإنشاء	٢٠	٨	١٢	
	المحادثة	٢٠	٨	١٠	
	المحفوظات	٢٠	٨	١٨	
	الإملاء	٣٠	١٨	٢٦	
	الخط	٢٠	٨	٢٠	
العلوم الرياضية	الحساب	٣٠	١٥	(١٢)	
	الهندسة	٢٠	١٢	١٥	
العلوم الاجتماعية	التاريخ	٣٠	١٥	٢٨	أيام الغياب ٢١
	تقويم البلدان	٢٠	١٥	١١	
	خواص الأجسام	٢٠	٨	١٥	أيام التأخر ١
	الصحة	٢٠	٨	١٠	

المملكة العربية السعودية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ملاحظات
٢٥
٧

[illegible]



* أخذت لي هذه الصورة في عام ١٣٦٤هـ قبيل ابتعاثي لمصر، والذي أوجب أخذها هو أني مطالب بصورة فوتوغرافية لجواز السفر، فانتهزتها فرصة وأخذت لي هذه الصورة بالحجم الكامل للجسم، أخذها المصور «البُشناق» في حي أجياد بمكة المكرمة.

كتب صدرت للمؤلف

* نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب: الشيخ أحمد المنقور في التاريخ.
* ألَّف عام ١٣٩٠هـ كتاب: «عثمان بن بشر».
* ألَّف عام ١٣٩٥هـ كتيب: «في طرق البحث».
* طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية.
* حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره.
* حقق كتاب: «حسن المناقب السريّة المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ.
* من حطب الليل: الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، والثالثة عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
* ألَّف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م كتاب: «قراءة في ديوان محمد بن عبدالله ابن عثيمين».
* ألَّف بين عامي ١٤٠٩ و ١٤١٤هـ كتاب: «أي بُني» في خمسة أجزاء.
* ألَّف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب: «إطلالة على التراث» سبعة عشر جزءًا.
* ألَّف عام ١٤١٨هـ كتاب: «يوم وملك».
* ألَّف عام ١٤١٩هـ كتاب: «ملء السلة من ثمر المجلة».
* ألَّف عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠١م حديث الركبتين.
* ألَّف عام ١٤٢٤هـ كتاب: «لمحة من تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية».
* ألَّف عام ١٤٢٥هـ كتاب: «دمعة حرى».
* ألَّف عام ١٤٢٦هـ كتاب: «وسم على أديم الزمن ـ لمحات من الذكريات».. الأجزاء الأول، والثاني، والثالث..



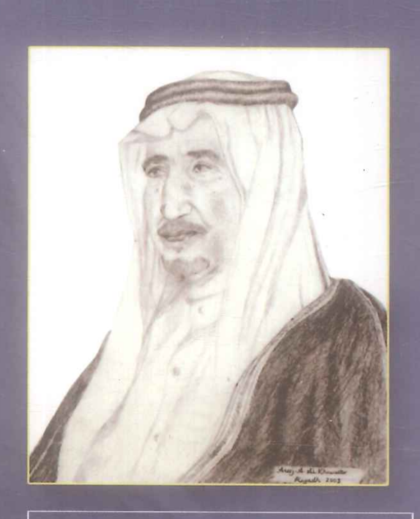
• نبذة عن المؤلف •

- ولد عام ١٣٤٤هـ في مدينة عنيزة في القصيم في المملكة العربية السعودية .
- جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة .
- حصل على الليسانس من دار العلوم في جامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ .
- حصل على الدكتوراة في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ .
- عيِّن في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود .
- عيِّن وكيلاً للجامعة عام ١٣٨١هـ حتى عام ١٣٩١هـ .
- درَّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب .
- انتقل منها رئيساً لديوان المراقبة العامة مدة عامين ثم وزيراً للصحة ثم وزيراً للمعارف .
- عيِّن في عام ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس الوزراء .

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض

• هذا الكتاب •

يرسم صورة لطفل يدب نحو الثالثة عشرة من عمره ، في مدينة عنيزة ، حياته مثل آلاف من الصبيان غيره ، وهذا الجزء هو واحد من ثلاثة أجزاء يؤمل أن تعطي صورة صادقة لحياة الصبيان في ذلك الزمن .



ردمك : ٥ - ٦٨٠ - ٤٩ - ٩٩٦٠